

الحجّ في أحاديث الإمام الخميني عليه السلام

- إنّ المراتب المعنوية للحج هي رأس مال الحياة الخالدة، وهي التي تقرّب الإنسان من أفق التوحيد والتنزيه، ولن نحصل عليها ما لم نطبق أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح وحسن. وحرفاً بحرف، وإذا ما دفنتم في عالم النسيان الجهات المعنوية، فلا تظنوا أنكم قادرون على التخلص والتحرر من مخالب شيطان النفس. وما دمتم في أسر وقيد ذواتكم وأهوائكم النفسانية، فلن تستطيعوا جهاداً في سبيل الله ودفاعاً عن حرّماته تعالى.
- على الحجاج المحترمين والعلماء المعظمين مسؤولي قوافل الحجاج أن يصرفوا وقتهم، ويكون كل همّهم تعليم وتعلم مناسك الحج.
- على العارفين مراقبة من يرافقهم من الحجاج حتى لا يتخلف أحدٌ عن أداء المناسك والأوامر لا سميح الله.

- إعلموا - جميعاً - أن البعد السياسي والاجتماعي للحج لا يتحقق إلا بعد أن يتحقق البعد المعنوي الإلهي.
- إن كلمة (لبيك) التي تتلفظون بها هي استجابة كبيرة وعميقة لدعوة الحق تعالى، وبها تنقون صفة الشرك بجميع مراتبها، وعليكم أن تشعروا بذلك أنفسكم وبها تهاجروا بأنفسكم التي هي منشؤ الشرك الكبير نحو الباري جلّ وعلا. وعندئذ تنالون أجركم وهو على الله تعالى حتى وإن أدرككم الموت في هجرتكم هذه.
- في المواقيت الإلهية والمقامات المقدسة، في جوار بيت الله المليء بالبركات، راعوا آداب الحضور في الساحة المقدسة للعليّ العظيم، وحرّروا قلوبكم أيها الحجاج الأعزّاء من جميع الارتباطات المتعلقة بغير الله، وأخرجوا من قلوبكم غير حبّ الله ونورها بأنوار التحليات الإلهية، حتى تكون الأعمال والمناسك في سيرها إلى الله مليئة بمضمون الحج الإبراهيمي وبعده بالحجّ المحمدي، وبمقدار تخفيف الحمل من أفعال الطبيعة يسلم الجميع من أوزار المنى والمنية، وبحمل ثقل معرفة الحق وعشق المحبوب تعودون إلى أوطانكم، وتجلبون للأصدقاء هدايا النعم الإلهية الأزلية بدل الهدايا المادية الفانية، وبقبضات مليئة بالقيم الإنسانية الإسلامية التي بعث لأجلها الأنبياء العظام من إبراهيم خليل الله إلى محمد حبيب الله صلى الله عليهم وآلهم أجمعين، تلتحقون بالرفاق عشاق الشهادة. هذه القيم والدوافع التي تحرّر الإنسان من أسر النفس الأمّارة بالسوء، وتنجّي من الارتباط بالشرق والغرب، وتوصل إلى شجرة الزيتون المباركة اللأشرقية والأغربية.

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنّي (مد ظله العالی)

... وإذ وفق الله - سبحانه - جمعاً من السعداء الذين توافدوا من كلّ فجٍّ عميق؛ لينالوا حظّهم من الأيام المعلومات وحج بيت الله الحرام، فإنني أتضرّع وأبتهل إلى الله - سبحانه وتعالى - أن يكون حجّهم مقبولاً ما جوراً، وأن ينعم بمنافعه على كلّ الأمة المسلمة، وأتقدّم ضمناً بتوصيات إلى الإخوة والأخوات بما يلي:

- ١ - اغتنموا هذه الفرصة لبناء النفس والإنابة والتضرّع، وخذوا منها زادكم المعنوي لجميع عمركم.
- ٢ - إسألوا الله سبحانه أن يفرّج عن المسلمين مشاكلكم الكبري، وكرّروا هذا الطلب مرّات ومرّات في أدعيتكم ومناجاتكم.
- ٣ - اغتنموا كلّ فرصة للتعرف على المسلمين الوافدين من جميع أرجاء العالم، واستفيدوا ممّا في مجريات حياتهم من جوانب سلبية أو إيجابية.

وعلى المسلمين، غير الإيرانيين خاصة، أن يسمعوا حقائق وقضايا إيران الإسلام من لسان إخوتهم الإيرانيين، ليميزوا الصحيح عن غير الصحيح مما سمعوه بشأنهم من الإعلام العالمي. وليسعوا اليوم ودائماً أن يستوعبوا تعاليم الإمام الراحل العظيم الإمام الحسيني - رضوان الله تعالى عليه - بشأن ما يرتبط بمسائل المسلمين، وأن يتعرفوا عن قرب، وبشكل أفضل، على هذا المصلح الكبير في تأريخ الإسلام.

٤- انقلوا كل معلوماتكم وإطلاعاتكم الصحيحة عن وضع الأمة الإسلامية، أو عن بلدكم إلى المسلمين القادمين من البلدان الأخرى.

٥- في حديثكم مع إخوانكم المسلمين، من أي صقع كانوا، ركّزوا على مسألة «الأمة الإسلامية» والنظرة الشمولية التوحيدية للعالم الإسلامي، ولتتجاوز أفكاركم وأفكار من تحاورونه إطار الحدود الجغرافية والعنصرية والعقائدية والحزبية وأمثالها، وارتفعوا إلى مستوى هموم الإسلام والمسلمين.

٦- ذكروا مخاطبيكم دائماً بما أنعم الله به على المسلمين من نفوس تزيد على المليار، وبلدان تبلغ العشرات، ومن ثروات مادية ومعنوية ضخمة، وتراث عظيم ثقافي وحضاري وديني وأخلاقي.

٧- حطّموا أسطورة قدرة الغرب التي لا تقهر! خصوصاً أمريكا. هذه الأسطورة التي يحاول الاستكبار العالمي دائماً أن يلقيها في أذهان المسلمين عن طريق تهويل قوّته. وذكروا أنفسكم وذكروا المسلمين الآخرين؛ أن قوّة المعسكر الشيوعي، التي كانت تبدو أنها لا تقهر، قد تحطّمت منذ قريب أمام أعين هذا الجيل، وأصبحت أثراً بعد عين ..

- القوى المتعلّقة الحالية، ومنها قوّة أميركا، هي الأخرى من الممكن أن تنهار بالسهولة نفسها وينقطع أثرها.
- ٨- ذكّروا علماء الدين والمتقّين في البلدان المسلمة بمسؤولياتهم الكبرى الثّقيلة دائماً، وذكّروا الآخرين أيضاً بذلك.
- ٩- انطلاقاً من واجب النصيحة لأئمة المسلمين، ذكّروا زعماء البلدان المسلمة بمسؤولياتهم تجاه الأمة المسلمة، وتجاه إقامة وحدة المسلمين والابتعاد عن القوى الاستكبارية.. ذكّروهم بضرورة التوجه إلى شعوبهم والاعتماد عليها، وإحلال الرابطة الحسنة بين الشعوب والحكّام. واطلبوا من الله سبحانه إصلاح أمورهم.
- ١٠- كونوا متفهّمين دائماً أن مسؤولية الزعماء لا تعني رفع المسؤولية عن كلّ فرد من أفراد الشعوب المسلمة، فكل أبناء الأمة يستطيعون أن يكون لهم دور فاعل في كل هذه الأهداف الكبرى.
- آمل من الله بفضله، وبدعاء وليّ الله الأعظم المهدي المنتظر (أرواحنا فداه وعجل الله تعالى فرجه) أن يمنّ بحج مقبول على الحجاج المحترمين، وبرحمة واسعة ونعمة سابغة على الأمة الإسلامية وآحاد المسلمين.

إبراهيم الخليل مؤسس أم القرى

عبدالله جوادى آملى

قال الله تبارك وتعالى:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١).

تضم المدينة الفاضلة نقطة مركزية وأربعة أركان، وتتحمل النقطة المركزية للمدينة الفاضلة مسؤولية «الحكومة والقيادة»، التي لو تتسم بالقسط والعدل، لتم في ظلها تأمين «ازدهار» المنطقة و «أمنها وحريتها». وإقامة الاقتصاد السالم، وتعلق القلوب وإحساسها بالهدوء والسكينة في هذه المدينة.

إن المدينة الفاضلة بحاجة إلى أناس يتمتعون بما يلي:

١ - التقوى في الأمور الأخلاقية.

٢ - مراعاة الأمور العائلية والحقوق المتبادلة للأهات والآباء والأبناء.



٣ - العمل على ضمان الأمن الوطني والحرية والأخوة والمساواة، ونحوها في المسائل الاجتماعية.

٤ - الابتعاد عن الاستبداد والاستعمار والاستثمار في المسائل السياسية، وبناءً على ذلك، فإن المدينة ستكون فاضلةً، باحتوائها على جميع هذه الأمور. ولو أراد مجتمع ما أن يقيم مدينةً فاضلةً، من المؤكد أنه لا يمكن تحقيق ذلك بغير امتلاك الحكومة، وإنما تكون الحكومة فاضلةً، عندما يقف على رأس الهرم فيها حاكمٌ واع، ومتحرر، ومدير ومدبر، يأخذ على عاتقه إدارة أمور الدولة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن تكون أمة تلك المدينة أمةً واعية ومطبعة، فلا الإمام قادرٌ على إقامة المدينة الفاضلة من دون «الأمة الواعية»، ولا الأمة الواعية من دون «الإمام» تستطيع أن تقيم المدينة الفاضلة. وإن مسيرة الأنبياء الإبراهيميين على خطى إبراهيم الخليل من هذا القبيل، حيث إنهم يطلبون في أدعيتهم وتوسلاتهم إلى الله - تبارك وتعالى - أن يهديهم إلى السبيل ذاته الذي عينه القرآن الكريم للناس على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام. وفي الوقت ذاته الذي سعوا فيه إلى إعداد أركان المدينة الفاضلة، فإنهم كانوا يسعون إلى أن تلوح بارقة حب تنفخ الروح في مساعيهم.

لقد نظم إبراهيم الخليل - معمار ومهندس المدينة والحضارة - خارطة المدينة الفاضلة على أساس الأركان الأربعة والنقطة المركزية سائلاً ذلك من الله - تبارك وتعالى - والأركان الأربعة تشمل:

١ - البناء والإعمار.

٢ - الأمن.

٣ - الاقتصاد السالم.

٤ - عواطف وسكينة القلوب.

يمكن أن تكون مكة ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾^(٢) وعندئذ تصبح أنموذج المدينة الفاضلة. إن إبراهيم الخليل هو باني الكعبة، وهو الذي جعل البلد غير ذي الزرع أُمَّ الْقُرَى، ومن أجل أن تتحول هذه الديار غير ذي الزرع إلى أُمَّ الْقُرَى، ويرتفع منها النداء إلى العالم أجمع، ويشتاق ساكنوا الأرض للقاء هذه الفلوات، فقد توجه الله - تعالى - بالسؤال:^(٣)

١ - ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا...﴾ اللهم! تفضل على هذا الوادي غير ذي الزرع بالإعمار واجعله بلدًا، ومن البديهي أنه لو أريد للوادي غير ذي الزرع أن يتحول إلى مدينة فاضلة، لابد من إعادة بنائه وتحويله إلى مدينة أولاً.

٢ - ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾ أي وفر أسباب الأمن لأهل هذه المدينة.

٣ - ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾ أي أؤمن الاقتصاد السالم لساكني هذه المنطقة.

وتمثل هذه الطلبات الثلاثة، ثلاثة أركان فقط من أركان أُمَّ الْقُرَى، وهي لا تكفي لإقامة المدينة الفاضلة وإن كانت لازمة ومهمة. ومن هنا فإن سيدنا إبراهيم ﷺ طلب الركن الرابع أيضاً من الله - تعالى - فقال: ﴿... فاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...﴾^(٤).

ومن هنا فإن المدينة إنما تصبح فاضلة عندما تهوي إليها القلوب وتتعلق بها. اللهم! فاجعل أفئدة من الناس ترنوا إلى هذه البلاد وتهاجر إليها، من دون أن ترحل عنها.

فلو فقد «الأمن» في البلد، و«الحرية» جرّت الويلات، ولم يبق «للاقتصاد السليم» أثر يذكر، ولا تضح من ذلك بأن ثقافة أهل ذلك البلد قد تدنّت واضمحلت، ولا أثر من مراعاتهم للمسائل الأخلاقية، وتهيئ أرضية الرحيل

عن البلد، حتى بفقدان واحدة من تلك الثلاثة. وما أَلطف مقولة مصلح الدين سعدي الشيرازي في هذا المجال: «لا أقوى على العيش بعناء على أني ولدت هنا». إذن ليس بوسع العاقل أن يحيا في مدينة، تفتقد أركان المدينة هذه. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «ليس بلد أحق لك من بلد، خير البلاد ما حَمَلَكَ»^(٥)؛ نعم، خير البلاد وأفضلها ما كان يضمن إمكانية التطور والنمو للإنسان.

لقد لاحظ الأنبياء الإبراهيميون أن النبي إبراهيم عليه السلام قد أولى عناية خاصة أيضاً بالركن الرابع عند دعائه: اللهم! اجعله بلداً من جهة، وآمناً من جهة أخرى، وذا اقتصاد سليم من جهة ثالثة، إلا أن الفضائل الثقافية والمزايا الأخلاقية أيضاً ضرورية لازمة لنمو الإنسان ورفقيه، لكي لا تنفر القلوب عن هذه البلاد، فضلاً عن ولوها إليها.

أجل، فقد اعتبر مهندس المدينة والحضارة إبراهيم الخليل عليه السلام هذه الأصول الأربعة لازمة وضرورية لتأسيس أم القرى.

المحور الأساس لهذه الأركان:

إن المحور الأساس والقطب الذي تدور في فلكه هذه الأركان الأربعة، والعنصر البناء الذي يجعل بلداً ما آمناً، ويمتلك اقتصاداً سليماً، مؤمناً حرية الناس وجاعلاً أفئدتهم تهوي إليه، ذلك العنصر هو الحكومة المتبلورة في ظل الوحي، وقيادة الإنسان الكامل (المعصوم)، الحكومة المتشكلة في ظل سلطة رجل الدين والسياسة، المدير والمدبر، والواعي، وفي ظل القانون المدون على أساس التوجيهات السماوية.

ومن هنا، فإن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يجعل من هذا المعنى وهذا العنصر ركناً

خامساً في تسلسل الأركان الأربعة فحسب، بل عدّه العنصر الأصل، والمحور الذي تطوف حوله الأركان الأربعة.

﴿رَبَّنَا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتِكَ ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويُزَكِّهم إِنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحكيمُ﴾^(٦).

اللهم! لئن طلبت منك أن تجعل هذا المكان بلدًا، وآمنًا، وينعم بالاقتصاد السليم، وأن يعي الناس بعضهم بعضاً... وإلى غير ذلك، فلا يمكن أن يتيسر قيام كل ذلك دون حكومة سماوية، فابعث فيهم رسولاً مرسلًا من قبلك ليتلو على الناس قوانينك ويعلمها لهم، ويطلعهم على الحُكم السماوية، ويهذبهم بالتربية الصحيحة.

اللهم! إن الذين ينعمون بالأمن والاقتصاد السليم والحرية، لئن لم يستمدوا العون من مدرسة وحيك، ستقلب نعمهم إلى نقمات.

فابعث اللهم فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك، ولا يجعلهم يراوحن في مرحلة قراءة القرآن فحسب، بل يأخذ بأيديهم إلى مرحلة العلم والعمل لكي يفقهوا الكتاب والحكمة، ويصبحوا من أهل الكرامة وتهذيب النفوس و....

ومن هنا يجب القول: بأن واجب النبي إنما يكمن في تأسيس وإقامة الحكومة وليس الوعظ والنصح فقط. ولو أن رسالة الأنبياء أمكن اختصارها بالوعظ والنصحية، لأصبحت قوافل الأنبياء على طول التاريخ غير ذات معنى! ولها تعرض أكثر الأنبياء للقتل. وهذه موارد متعددة من آيات القرآن الكريم تذكر ذلك، وتحدث عن استشهادهم سلام الله عليهم:

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٩).



﴿... وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾^(١٠).

إن القرآن الكريم وفي كثير من الموارد يذكر هذه الكلمات بـ«الألف» و«اللام»، حيث يراد بذلك، أن أعداء الدين قتلوا الكثير من الأنبياء. ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربّيون كثير﴾^(١١)؛ أي أن الكثير من الأنبياء ندبوا طائفة من الناس إلى جهات القتال، ودعوههم لمقارعة الطواغيت. ولو كان عمل الأنبياء مقتصرًا على النشاطات الثقافية والوعظ، لما دعتهم الحاجة إلى المواجهات العسكرية ولا إلى المواجهات السياسية، ولم يتعرض لهم المتعرضون بالقتل والاستشهاد. ويتضح من ذلك أنهم كانوا في صدد تأسيس الحكومة. حكومة يقف على رأسها قائد إلهي، يتلو على الناس آيات الله، ويدلّهم إلى علوم الغيب ومعارفه، ويجعل الحكيم السماوية نصب أعينهم، ويجتهد في تهذيب وتربية وتركية الأمة. الأمة التي تعيش في ظل الوحي، لا مُتسلّطة ولا مُتسلّط عليها، لأنه جاء في كتاب الحكمة (القرآن) ﴿فلا تظلموا﴾^(١٢) ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴿... لا تظلمون ولا تُظلمون﴾^(١٣) فإن مقارعة الطواغيت ومحاربة الأجانب من ضمن أوامر القرآن الكريم. وإن طرد الاستبداد، ومحاربة الاستعمار درس علمه الوحي للمسلمين، وهذا هو محور المدينة الفاضلة.

الهوامش :

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) الأنعام: ٩٢؛ الشورى: ٧.

(٣) ﴿ربّ اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنع قلبيلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (البقرة/١٢٦) ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنًا واجنّبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (إبراهيم/٣٥).

(٤) إبراهيم: ٣٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ٨٣: ٥.



٩٨٨/٤

- (٦) البقرة: ١٢٩.
(٧) البقرة: ٩١.
(٨) البقرة: ٦١.
(٩) آل عمران: ٢١.
(١٠) آل عمران: ١٨١؛ النساء: ١٥٥.
(١١) آل عمران: ١٤٦.
(١٢) التوبة: ٣٦؛ هود: ١١٣؛ البقرة: ٢٧٩.

الحجّ في السنّة (٢)

واعظ زاده الخراساني

روايات الحج، ورواتها في كتب الشيعة:

أقصد بالشيعة هنا ثلاث فرق منهم، لكلٍّ منها فقه مستند، وأتبع موجودون حتّى الآن، وهي الإمامية الاثنا عشرية أو الجعفرية، والزيدية، والإسماعيلية. نتحدّث أولاً باختصار عن الزيدية والإسماعيلية، ثمّ ندرس ما عند الإمامية من روايات الحج التي تبلغ أضعاف روايات الفرقتين الآخرين، بل أضعاف روايات أهل السنّة.

١- روايات الزيدية في الحج: مرجعنا في هذه الروايات كتاب «مسند زيد» وحده، ويسمى أحياناً «المجموع الفقهي» لزيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويُعدّ أهم مصدر فقهي للطائفة الزيدية، وكتبت عليه شروح^(١). سند الكتاب، كما ذكر في بدايته، وصرّح بذلك الباحثون والمحقّقون، ينحصر بأبي خالد الواسطي^(٢). وأبو خالد روى أحاديث زيد بن عليّ وفتاواه

دون واسطة، ويمكن اعتباره أقدم كتاب بقي في الحديث والفقہ حتّى يومنا هذا. لأنّ الكتب الأخرى، بما في ذلك «موطأ» مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ) ألفت بعده.

زيد بن علي ولد سنة ٧٦ هـ واستشهد في محرّم سنة ١٢٢ هجرية في الكوفة بعد ثورته الدموية البطولية^(٣).

أبو خالد الواسطي، راوي مسند زيد، من موالي بني هاشم، وكوفي انتقل بعدها إلى «واسط» وتوفي في الخمسينيات من القرن الثاني الهجري، وروى عنه ثلاثة هم: إبراهيم بن الزبرقان، ونصر بن مزاحم صاحب كتاب «صفين» وحسين بن علوان الكلبي^(٤).

كان هذا الكتاب في الأصل يتكون من مجموعتين: الأولى حديثية، والأخرى فقهية، ثمّ ضمت المجموعتان في كتاب واحد على يد عبد العزيز بن إسحاق البقال (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ)^(٥). سند هذا الكتاب يبدأ اليوم بهذا الشخص، وترجمته مشروحة في مقدّمة المسند^(٦)، وفي شرح الحديث الأوّل^(٧).

تناول الكثيرون بالبحث سندية هذا الكتاب المروي عن طريق شخص واحد. ودرس الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «الإمام زيد بن علي» هذه المسألة دراسة مستوفية. غير أن الكتاب وراويه موثقان عند الزيدية^(٨)، ولهم إليه طرق متعددة، منها طريق عبد الواسع بن يحيى الواسعي الذي رفع سلسلة روايته إلى زيد بن علي، كما جاء في مقدّمة المسند^(٩).

أبو خالد يدعي أن أصحاب زيد الآخرين سمعوا منه ذلك أيضاً، لكنهم استشهدوا جميعاً، ولم تتسنّ لهم فرصة رواية الكتاب، وهو الوحيد الناجي بينهم، والراوي للكتاب^(١٠). ويقول: إنّّه لازم زيداً في المدينة خمس سنوات قبل أن يتّجه إلى الكوفة، وكان يلازمه في موسم الحج كلّ عام عدّة أشهر، وسمع منه كلّ



حديث مرة أو مرّات، حتّى إنّه سمع منه الحديث الواحد خمس مرّات أو أكثر^(١١)، علماء الشيعة ومنهم النجاشي، لهم طريق إلى مسند زيد^(١٢)، وروايات زيد في كتب الإمامية كثيرة، وهكذا في كتب أهل السنة، فالإمام الترمذي ينقل في حجة الوداع بسنده عن زيد بن عليّ عن آبائه عن عليّ عليه السلام ممّا لم يرد في مسند زيد أيضاً.

على أيّ حال ورد في كتاب الحج من مسند زيد^(١٣) ما يقارب من سبعين حديثاً، بعضها يرتبط بالصيد ولا علاقة له بالحج. ولم يرد ذكر حجة الوداع في هذا الكتاب، ولكن بعض جوانبها وبعض كلمات الرسول وردت في عدد من روايات الكتاب. كلّ روايات الحج تقريباً، مثل سائر روايات المسند، منقولة عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام ويمكن القول: إنّ مسند زيد يضمّ مجموعة روايات وفتاوى عليّ عليه السلام ويستند أحياناً إلى أحاديث الرسول، ويتضمّن كذلك فتاوى زيد نفسه.

المسألة الملفتة للنظر في مسند زيد ترتبط بالخلاف بشأن حج التمتع. فهو يذهب إلى التخيير بين حج التمتع، والقران بين الحج والعمرة، وحج الأفراد، دون ترجيح لواحد على الآخر^(١٤). وينسب هذا إلى عليّ عليه السلام وهذه الفتوى تتناسب تماماً مع أسلوب زيد السياسي بشأن مسألة خلافة عليّ، حيث لم يتخذ زيد من هذه المسألة الموقف الصريح الذي اتّخذه سائر الشيعة، ولم يعرّض بخلافة الخليفين الأوّل والثاني. وهناك مواقف أخرى في المسند تنسجم مع روايات أهل السنة.

٢- روايات الإسماعيلية في الحج: ومصدرنا في هذا المجال محدود أيضاً بكتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي المصري، وهو أوثق مصدر فقهي، بل لعلّه المصدر الوحيد لهذه الطائفة. مؤلف الكتاب، أبو حنيفة، النعمان بن محمد

بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي الداعي الأكبر، والقاضي، وعالم الإسماعيلية في مطلع حكومتهم. أدرك عدداً من أئمتهم، ثم رحل مع «المعزّ لدين الله» الخليفة الفاطمي الرابع إلى مصر، ودوّن كتباً كثيرة في الدفاع عن ذلك المذهب منها في الفقه كتاب دعائم الإسلام بأسلوب جذاب^(١٥).

كتاب دعائم الإسلام في الحقيقة كتاب حديثي فقهي، ويشبه كثيراً كتاب «من لا يحضره الفقيه» لمعاصره علم الشيعة الإمامية الشيخ الصدوق (المتوفى سنة ٣٨١ هجرية) لكنّه أكثر نظاماً منه، وفي بدايته فصل مشيع بالولاء لآل البيت^(١٦). توفي القاضي النعمان سنة ٣٦٣ هجرية في القاهرة، وتولّت أسرته القضاء لأجيال عديدة^(١٧).

روايات هذا الكتاب منقولة غالباً دون ذكر السند عن الإمامين محمد بن عليّ الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عن آبائهما عن عليّ، أو عن الرسول. وتكتفي الروايات أحياناً بالنقل عن الإمامين، وأحياناً تستند فقط إلى أئمة آل البيت، وتكاد تكون جميعها نصوص أحاديث الشيعة الإمامية، ولذلك أورد العلامة المجلسي في «بحار الأنوار»، والمحدث النوري في «مستدرك الوسائل» وآية الله البروجردي في «جامع أحاديث الشيعة» روايات الدعائم في صفّ روايات الإمامية، وأصرّ المحدث النوري في خاتمة المستدرك على اعتبار المؤلف شيعياً إمامياً. والبحث في هذا الصدد واسع لا مجال لنا أن نلجّه الآن^(١٨).

في كتاب الحج من «دعائم الإسلام» ورد ٣٩٤ حديثاً ليس بينهما وبين روايات الإمامية أي تفاوت^(١٩). حتى مسألة «حجّ التمتع» الخلافية، جاءت الروايات فيها موافقة لبعض روايات الإمامية^(٢٠) ويشاهد فيه مقاطع من حديث حجة الوداع بشكل متفرّق مطابقة لروايات الإمامية^(٢١)، التي سنستعرضها فيما بعد. من هنا فليس لنا في هذا المجال بحث مستقل أكثر ممّا تقدم



سوى ما سنورده ضمن شرحنا لروايات، ورواة الحج لدى الشيعة الإمامية.

٢- روايت الحج، ورواتها في كتب الشيعة الإمامية: رواة الحج في كتب الإمامية كثيرون، وعن كل منهم نقلت عدة أحاديث عن أحد الأئمة، وأكثر الروايات عادة منقولة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، وبعده في عدد الروايات الإمام محمد بن علي الباقر. ونظراً لسعة نطاق أحاديث الشيعة وكتبهم، لا نستطيع هنا أن ندرسها جميعاً، لكننا نستطيع أن نتناول نموذجاً كاملاً جامعاً يمكن اعتباره معياراً لسائر الكتب، وهو كتاب «الكافي» للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية)، هذا الكتاب في قدمه وشهرته وجامعيته والوثوق به منقطع النظر بين كتب الإمامية، وغني عن التعريف.

الكافي أحد الكتب الحديثية الأربعة الرئيسة عند الشيعة الإمامية، ويشتمل على روايات الأصول والفروع والأخلاق والتاريخ وغيرها من الروايات، وهو يختلف من هذه الناحية عن سائر الكتب الأربعة المقتصرة على الأحاديث الفقهية. عدد أحاديثه تزيد على ١٦ ألف حديث، وهو في هذه الناحية يفوق الكتب الثلاثة، ويفوق كذلك الصحاح الستة لدى أهل السنة.

كتاب الحج في الكافي^(٢٢) يشتمل على ١٤٨٥ حديثاً^(٢٣)، أكثرها مروية عن الإمام أبي عبد الله الصادق، ولعل مجموع هذه الروايات مع ما ورد في سائر الكتب الحديثية الشيعية حول الحج يبلغ ألفي حديث، بعد الإدغام وحذف المكررات كما ذكرنا بشأن أحاديث أهل السنة.

لا نستطيع هنا أن نُشخص هذا العدد بشكل دقيق؛ لأن هذه المكررات جاءت بشكل متفرق في كتب الحديث المطولة مثل وسائل الشيعة، ومستدرك الوسائل، وبحار الأنوار. والكتاب الوحيد الذي أدغم مكررات الكتب الأربعة

هو «الوافي» للفيض الكاشاني. أما كتاب «جامع أحاديث الشيعة» فقد أجرى عملية إدغام المكررات بالنسبة لجميع الروايات، غير أن كتاب الحج من هذا الجامع لم يخرج من المطبعة تماماً، كي تقدم إحصائية دقيقة في هذا المجال بين رواة الحج في الكافي، يمتاز معاوية بن عمار بأنه روى أكثر من الآخرين، وقد يأتي بعده في عدد الروايات عبيد الله بن علي الحلبي الذي ينقل أحياناً مع معاوية بن عمار حديثاً واحداً (٢٤).

معاوية بن عمار بن أبي معاوية الخباب العجلي الذهني، بائع السابري (نوع من القماش)، أبو القاسم الكوفي، من موالي بني دُهن، وهي فخذ من قبيلة بجيلة. الكشي في رجاله ذكر أنه عمّر ١٧٥ عاماً، وهذا خلاف المتعارف، لذلك ذكر آخرون هذا الرقم باعتباره سنة وفاته (٢٥). صاحب الأعلام ذكر أن سنة وفاته حوالي سنة ١٤٥ هجرية، ويقول: إنه روى عن سعيد بن جبير، وروى عنه سفيان الثوري (٢٦). قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: إنه صدوق، ونقل أقوالاً مختلفة في توثيقه وقال: إنه روى عن أبيه عمار وأبي الزبير، وعنه روى يحيى بن يحيى، وقتيبة وجماعة. يتناول الذهبي والده عمار، بعد أن يذكر مشايخه ورواته، يقول: وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والناس، ثم ينقل عدم توثيقه عن العقيلي، ويتحدث عن رأيه في تشييعه، ويذكر أن سنة وفاته ١٣٣ هجرية (٢٧).

معاوية بن عمار، على أي حال، من وجوه الإمامية، وموضع ثقتهم، ووالده عمار موثق عند أهل السنة. روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، وعن الإمام موسى بن جعفر. النجاشي يذكر بين كتبه كتاب الحج ويقول: روى هذا الكتاب جماعة من أصحابنا، ويذكر بعض طرقه إلى ذلك الكتاب (٢٨). وكان لعدد آخر من أصحاب الأئمة كتب في الحج (٢٩)، ولكن يبدو أن كتاب معاوية بن عمار كان موضع اعتماد أكثر من غيره من الكتب. ويبدو من رواياته أنه تابع



مسائل الحج، وجمع ما وسعه من أحاديث الحج بحيث لا يخلو باب من أبواب الحج في الكافي من روايته، وينقل أحياناً روايات مطوّلة في آداب الحج وأدعيته عن الإمام الصادق. وتشتمل بعض رواياته على عدة أسئلة.

في الكافي وحده روي ما يقارب من مائتي حديث في الحج برواية معاوية بن عمار^(٣٠)، بينها ١٥ حديثاً تتعلّق بحجة الوداع^(٣١)، وبين أحاديث حجة الوداع حديث مفصّل كامل عن حجة الوداع منقول عن الإمام أبي عبد الله الصادق^(٣٢). هذا الحديث يمكن مقارنته بحديث جابر وإن فاقه في الدقة. وفيما يلي ندرس حديث حجة الوداع بطرقه ونصوصه المختلفة من كتب أهل السنة والشيعة الإمامية.

حديث حجة الوداع:

حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أدّاها رسول الله ﷺ بعد الهجرة، وفيها علّم المسلمين أحكام الحج ومناسكه، ولهذا الهدف وجهت الدعوة العامة إلى المسلمين في الجزيرة العربية، للاشتراك في تلك الحجة^(٣٣). ومن هنا فحجة الوداع قبل كلّ شيء سفر تعليمية عملية، كما تؤكد ذلك المصادر المختلفة، كي يأخذ المسلمون عملياً طريقة أداء مناسك الحجّ عن قائد الإسلام الأول، وهذه المسألة تزيد من أهمية حديث حجة الوداع في باب الحج، ويمكن اتخاذها حكماً ومرجعاً في المسائل المختلف عليها بين الفقهاء والمذاهب الإسلامية.

حج رسول الله قبل الهجرة مرّتين استناداً إلى روايات أهل السنة^(٣٤). بينما تذكر الروايات الشيعية أرقاماً تزيد على ذلك، وتبلغ العشرين^(٣٥). أما بعد الهجرة، فإضافة إلى حجة الوداع اعتمر الرسول أربع فترات^(٣٦)، كما يلي:

١ - عمرة الحديبية: في السنة السادسة للهجرة، وفيها حال مشركو مكة

دون اتمام العمرة. والرسول الأعظم أحلّ من إحرامه في محل الحديبية ومسجد الرضوان، وفرض على المسلمين أن يحلّوا أيضاً وهم كارهون، ثم أعقب ذلك «صلح الحديبية» مع المشركين، و«بيعة الرضوان» مع أصحابه، ومن هناك عاد إلى المدينة.

٢- عمرة القضاء: بعد عام من العمرة الأولى، أي في السنة السابعة للهجرة، وفيها اعتمر الرسول استناداً إلى اتفاقية صلح الحديبية لقضاء العمرة التي لم تتم، ولذلك سميت بعمرة القضاء.

٣- عمرة الفتح: في سنة فتح مكة، أي السنة الثامنة للهجرة، وفيها أحرم الرسول من «الجعرانة» (منطقة خارج مكة) واعتمر، ولذلك تسمّى أحياناً بعمرة الجعرانة^(٣٧).

٤- عمرة حجة الوداع: وأدّاها الرسول مع الحج، وجاء شرحها في حديث حجة الوداع وأحاديث أخرى، وحدث اختلاف بعد ذلك في كيفية عمل الرسول فيها. ونقلها الصحابة بأشكال مختلفة. وكلّ الروايات ترتبط بمسألة «حج التمتع» و برأي الخليفة الثاني فيها. وينبغي أن تدرس بشكل مستقل.

وسميت «حجة الوداع» لأنّ الرسول الأعظم ودّع الناس بعد انتهاء خطبته في عرفات أو منى، ومن هنا قال الناس عنها: إنّها حجة الوداع^(٣٨). ويقول الطبري: إنّها سميت حجة الوداع وحجة التمام، وحجة البلاغ^(٣٩). ووجه التسميتين الأخيرتين يعود إلى نزول الآية التي أعلنت إتمام الدين «اليوم أكملت لكم دينكم» في تلك السفرة، وإلى قول الرسول «ألا هل بلغت اللهم اشهد» تكراراً في خطبته.

ويقول ابن سعد في الطبقات^(٤٠): إن هذه هي الحجة التي يسميها الناس حجة الوداع، بينما كان المسلمون يسمونها «حجة الإسلام»، وكان ابن عباس



يكره أن يسميها حجة الوداع، وكان هو يقول «حجة الإسلام»^(٤١).
 في بحار الأنوار نقلاً عن خصال الصدوق رواية عن عبد الله بن عمر تقول:
 إن سورة الفتح نزلت على رسول الله في أيام التشريق (أيام الإقامة في منى) ففهم
 النبي أنها علامة الوداع فامتطى ناقته وألقى خطبة^(٤٢)، ويمكن أن يكون ذلك
 باعثاً على تسمية هذه الحجة بحجة الوداع.

يبدو أن حجة الوداع ذات أهمية في فقه أهل السنة وحديثهم بلحاظ
 أحكام الحج نفسها، وهي كما ذكرنا مهمة بهذا اللحاظ. غير أنها لدى الشيعة
 تحظى بأهمية أكثر، بسبب إعلان الرسول الأعظم عن ولاية أمير المؤمنين عليّ
 بن أبي طالب، بعد اختتام هذه الحجة ولدى عودته، في محل «غدير خم» قرب
 «المحفة»، بأمر الله - تعالى - وما أعقب هذا الإعلان من أخذ البيعة من الناس.
 وبعبارة أخرى فإن مسألة غدير خم قد طغت على مسائل الحج في حجة
 الوداع^(٤٣). في بعض روايات الشيعة جاءت قصة الغدير في أعقاب حديث حجة
 الوداع. والشيخ المفيد في «الإرشاد» نقل حجة الوداع في باب فضائل عليّ
 ويهدف نقل قصة الغدير^(٤٤).

يبدو أن حديث حجة الوداع كانت له أهميته الخاصة عند علماء أهل
 السنة: فالإمام يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي الشافعي
 (٦٣١-٦٧٦هـ) في شرحه لصحيح مسلم^(٤٥) يقول: هو حديث عظيم مشتمل
 على جملة من الفوائد والنفائس من مهمات القواعد.. حتى يقول: وقد تكلم
 الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا. وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءاً كبيراً
 وخرّج فيه من الفقه مائة ونيفاً وخمسين نوعاً، ولو تقصى لزيد على هذا القدر أو
 هو قريب منه..

والنووي في شرح أحاديث الحج من صحيح مسلم يستند مراراً إلى هذا

الحديث، ويشرح بالتفصيل مبهمات ومشكلاته (٤٦).

الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر في كتاب «التاج الجامع للأصول» الذي يشتمل على روايات خمسة من الصحاح (عدا سنن ابن ماجه) يقول: هذا حديث جليل القدر عظيم الفضل، حوى كل ما فعله النبي ﷺ في حجة الوداع من أركان وواجبات ومندوبات إلا قليلاً، وهو أول حديث طويل في كتاب التاج ويليه في الطول حديثا الإسراء والهجرة الآتيان في كتاب النبوة... ثم ذكر أحاديث أخرى وقال أخيراً: وجابر رضي الله عنه كان يقود راحلة النبي ﷺ في حجة الوداع، فلذا كان أعلم الناس بها (٤٧).

يخطر في ذهني أن أستاذنا الكبير المرحوم آية الله حسين الطباطبائي البروجردي تسلم هدياً من الملك سعود، لدى زيارة هذا الأخير إلى إيران، ومعها قطعة من ستار الكعبة، فكتب آية الله البروجردي إليه رسالة طبعت في مجلة «رسالة الإسلام» (٤٨)، ذكر له فيها أنه استلم الهدايا، ولكنه يعيدها؛ لأنه ليس من عادته أن يقبل هدايا الملوك، واحتفظ بقطعة ستار الكعبة فقط تبركاً. والمرحوم الأستاذ بعث مع الرسالة حديث حجة الوداع بتفاصيله. ويبدو أن الأستاذ أراد من إرسال الحديث الإشارة إلى أن هذا الحديث الشريف يُشكّل في سنده نقطة التقاء حديثي بين السنة والشيعة، إضافة إلى أن العمل بمحتواه يستطيع أن يوحد المسلمين في عمل الحج، ويزيل على الأقل بعض الاختلافات الموجودة في مسألة الحج بما في ذلك «حج التمتع».

مصادر وأسانيد حديث جابر بن عبد الله حول حجة الوداع:

روى عدد من أصحاب الصحاح وكتب الحديث المعتبرة رواية جابر في حجة الوداع جميعها أو بعضها بأسانيد مختلفة عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن



جابر بن عبد الله هم:

١ - الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٤-٢٦١هـ) في صحيحه (٤٩).

٢ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) في كتاب السنن (٥٠).

٣ - المحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (١٨١-٢٥٥هـ) في كتاب السنن (٥١).

٤ - المحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المعروف بابن ماجه (٢٠٧-٢٧٥هـ) في كتاب السنن (٥٢).

٥ - إمام أهل الحديث، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (١٦٤-٢٤١هـ) في كتاب المسند (٥٣).

٦ - المحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) في كتاب السنن (٥٤).

٧ - المحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ) في السنن الكبرى (٥٥).

□ سند مسلم على النحو التالي: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن حاتم قال أبو بكر: حدّثنا حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر... (٥٦)

وحدّثنا عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا جعفر بن محمد، حدّثني أبي قال: أتيت جابر بن عبد الله... وزاد (٥٧).

مسلم ينقل كلّ الحديث بهذين السندين، كما ينقل إضافة إلى ذلك قطعات

من هذا الحديث بالسند نفسه^(٥٨). أو بأسانيد أخرى^(٥٩) تصل جميعاً إلى جعفر بن محمد.

□ سند أبي داود على النحو التالي: حدّثنا عبد الله بن محمد النفيلي وعثمان بن أبي شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيان، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء، قالوا: حدّثنا حاتم بن إسماعيل، حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله...^(٦٠) وينقل أبو داود أيضاً قطعاً من الحديث بسنده عن جعفر بن محمد^(٦١).

□ سند الدارمي بالشكل التالي: أخبرنا إسماعيل بن أبان، حدّثنا حاتم بن إسماعيل بن أبان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر بن عبد الله، قال أبو جعفر: دخلنا على جابر...^(٦٢) وأخبرنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد عن جابر...^(٦٣) الدارمي نقل قطعة مستقلة من هذا الحديث أيضاً^(٦٤).

□ سند ابن ماجه كالتالي: حدّثنا هشام بن عمار، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر...^(٦٥) ونقل أيضاً قطعاً من هذا الحديث.

□ سند أحمد بن حنبل بالشكل التالي: حدّثنا يحيى، حدّثنا جعفر، حدّثني أبي، قال: أتينا جابر بن عبد الله وهو في بني سلمة فسألناه عن حجة النبي فحدّثنا أنّ



رسول الله مكث بالمدينة^(٦٦) ... ورواية أحمد بن حنبل خلاصة للحديث، فلم تتضمن كيفية لقاء أبي جعفر الباقر بجابر، ولا أحكام الإحرام في يوم التروية حتى يوم الأضحى، غير أنه يحتوي على مكان لقاء الإمام الباقر بجابر، وهو بيته في قبيلة بني سلمة (في المدينة).

□ سند النسائي متعدد كثيراً على النحو التالي: أخبرنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي قال: أتينا جابراً فسألناه عن حجة النبي^(٦٧) ...

أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد^(٦٨) ... أخبرني عمران بن يزيد، قال: أنبأنا شعيب، قال: أخبرني ابن جريج، قال: سمعت جعفر بن محمد يحدث عن أبيه عن جابر في حجة النبي^(٦٩). أخبرنا علي بن حجر، قال: أنبأنا إسماعيل، وهو ابن جعفر، قال: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ...^(٧٠)

أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب، أنبأنا الليث، عن ابن الهاد عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: أقام رسول الله تسع سنين^(٧١) ...

أخبرني عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر^(٧٢) ...

أخبرنا محمد بن سلمة والحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع، عن ابن القاسم، قال: حدثني مالك، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ...^(٧٣)

أخبرنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن الوليد بن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ...^(٧٤)

أخبرني إبراهيم بن هارون، قال: حدّثنا حاتم بن إسماعيل، قال: حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه، قال: دخلنا على جابر... (٧٥)

العجيب أن النسائي يروي الحديث بتسعة طرق عن جعفر بن محمد قطعة قطعة. ويكرر بداية الحديث في عدة مواضع، لكنه لا ينقل الحديث كاملاً في أي موضع من المواضع. لو أن هذه القطع المتفرقة من الحديث رواها النسائي بطرق متشابهة، لاحتملنا بل لتأكدنا أن النسائي نفسه قطع الحديث. لكن اختلاف الأسانيد يدفع هذا الاحتمال. وعلى أي حال لو وضعنا هذه القطع المتفرقة إلى جانب بعضها لألفيناها مشتملة على أكثر موضوعات الحديث عدا بداية الحديث التي تدور حول كيفية لقاء الإمام الباقر بمجابر.

□ سند البيهقي بالشكل التالي: حدّثنا أبو الفضل بن إبراهيم، حدّثنا الحسين بن محمد بن زياد وأحمد بن سلمة، قالوا: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا حاتم بن إسماعيل (ح وأخبرنا) أبو علي الروذباري - واللفظ له - أنبأنا أبو بكر محمد بن بكر بن داسة، حدّثنا أبو داود السجستاني، حدّثنا عبد الله بن محمد النفيلي وعثمان بن أبي شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّان وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء، قالوا: حدّثنا حاتم بن إسماعيل، حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فلما انتهينا إليه سأل عن القوم... (٧٦).

□ □ □

لو أمعنا النظر في هذه الأسانيد وقارناها لوجدنا أن أربعة من أصحاب السنن والصحاح أعني مسلماً، وأبا داود والدارمي وابن ماجه يروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق بواسطتين. وواسطتهم الثانية حاتم بن إسماعيل. وأحمد



بن حنبل يروي عن الصادق بواسطة واحدة، أعني (يحيى بن سعيد). والنسائي يروي بواسطةين أحياناً الثانية منهما يحيى بن سعيد، وأحياناً بثلاث وسائط الثالثة في إحداها مالك بن أنس وفي الأخرى حاتم بن إسماعيل نفسه. والبيهقي لأنه متأخر عن الجميع يروي بأربع وخمس وسائط عن الإمام جعفر بن محمد، والواسطة المتصلة بالإمام، حاتم بن إسماعيل وطريق البيهقي الثاني يصل إلى نفس طريق أبي داود.

إضافة إلى ما سبق هناك آخرون من القدماء من رووا قطعاً من حديث جابر عن طريق الإمام الصادق هم:

١ - مالك بن أنس بن مالك الأصبجي الحميري أبو عبد الله، صاحب المذهب المالكي (٩٣-١٧٩هـ) في كتاب «الموطأ». نقل أربع قطع من الحديث عن جعفر بن محمد دونما واسطة^(٧٧)، إضافة إلى نقله حديثين آخرين في الحج عن الصادق عدا حديث جابر^(٧٨). مالك نقل في الموطأ تكراراً عن الإمام جعفر بن محمد.

٢ - محمد بن سعيد بن المنيع الزهري المعروف بالكاتب الواقدي (١٦٨-٢٣٠) في كتاب «طبقات الفقهاء»^(٧٩).

٣ - أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) في جامعه الصحيح^(٨٠).

٤ - الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهاني النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ)، في كتاب «المستدرك على الصحيحين في الحديث» طريق الحاكم يصل إلى محمد بن إسحاق صاحب المغازي (المتوفى سنة ١٥١هـ) الذي يروي عن الإمام محمد بن علي الباقر عن جابر، دون واسطة الإمام الصادق^(٨١).

مما تقدم يتبين أن محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) انفرد وحده بين أصحاب الصحاح والسنن في الامتناع عن ذكر حديث جابر عن طريق جعفر بن محمد في صحيحه. بينما نقل تكراراً عن جابر بأسانيد أخرى مواضيع بشأن حجة الوداع أو بشأن الحج بشكل عام. أما آخرون، وفيهم محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) في تاريخه، نقلوا عن طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر مما لم يرد في حديث جابر التفصيلي^(٨٢).

تجدر الإشارة إلى أن رواية آخرين غير الإمام جعفر بن محمد عن أبيه الباقر، نقلوا قطعاً متفرقة من حجة الوداع، أو أحكام الحج الأخرى عن جابر موجودة في مواضع عديدة من الكتب المذكورة، لكن أي واحد من الرواة عدا الإمام الباقر لم ينقل جميع الحديث عن جابر. وهؤلاء الرواة هم:

- ١- أبو الزبير^(٨٣).
- ٢- عطاء بن أبي رباح^(٨٤).
- ٣- عبد الله بن عامر بن ربيعة^(٨٥).
- ٤- عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار (أو أبي عامر)^(٨٦).
- ٥- محمد بن المنكدر^(٨٧).
- ٦- طاووس اليماني^(٨٨).
- ٧- مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي تلميذ ابن عباس^(٨٩) (٢١-١٠٤هـ).
- ٨- المطلب بن عبد الله بن حنطب^(٩٠).
- ٩- عمرو بن دينار^(٩١).
- ١٠- مهاجر المكي^(٩٢).
- ١١- أبو عيثاش^(٩٣).
- ١٢- أبو سفيان^(٩٤).



هؤلاء الرواة جميعاً من التابعين، وبعضهم من الفقهاء والمفسرين والمحدثين المعروفين. نقلوا مضامين روايات جابر بما فيها رواية حجة الوداع يمكن مشاهدتها في روايات سائر الصحابة تكراراً في كتب الحديث، ولا حاجة لاستعراضها.

حديث جابر في مصادر الشيعة الإمامية:

العلامة المجلسي في بحار الأنوار^(٩٥) ينقل حديث جابر عن كتاب «أمالى الطوسي» لأبي جعفر بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) الفقيه، والمتكلم، والمفسر، ومحدث الشيعة الملقب بـ «شيخ الطائفة الإمامية» بهذا السند حتى حاتم بن إسماعيل: حمويه بن علي، عن محمد بن محمد بن بكر، عن الفضل بن حباب، عن مكّي بن مروق (خ مردك) الأهوازي، عن علي بن بحر، عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: دخلنا على جابر ... ينقل نص الحديث مثل مسلم في صحيحه وآخرين إلى «حتى أتينا ذا الحليفة» ثم يقول: فذكر الحديث «وقدم علي من اليمن» حتى «صدقت صدقت» ولم ينقل ما بعده. إضافة إلى هذا، ثمة شاهدان آخران على ارتباط حديث الشيعة برواية جابر:

□ الأول: الكليني في الكافي ينقل رواية عن «حريز» مرفوعة إلى الرسول تتضمن نزول الوحي على النبي بعد الإحرام وإقرار التلبية وتقديم الهدى، ثم يضيف حريز نقلاً عن جابر بن عبد الله بشأن بُحّ صوت المسلمين قبل أن يصلوا «الروحاء»^(٩٦) (محل يبعد ٤٠ ميلاً عن المدينة).

و «حريز» المذكور هو أبو محمد حريز بن عبد الله الأزدي الكوفي السجستاني أحد الرواة والأصحاب الموثقين للإمام الصادق. وصاحب الكتاب الكبير «الصلة» الذي كان مشهوراً جداً بين الشيعة^(٩٧) فحريز هذا نقل الرواية المذكورة عن جابر بن عبد الله، ولا بد من أن يكون نقله بواسطة، وهذا يوضح معرفته بروايات جابر في الحج.

□ الثاني: في سنن الدارمي رواية بهذا السند: أخبرنا إسماعيل بن أبان، حدثنا معاوية بن عمار الدهني، عن أبي الزبير عن جابر، ثم ينقل أن الرسول الأعظم كان عند فتح مكة مرتدياً عمامة سوداء^(٩٨) يبدو من قول «الذهبي» في «ميزان الاعتدال» أن «مسلم» في صحيحه نقل هذا الحديث أيضاً مسنداً إلى «معاوية بن عمار» عن أبي الزبير عن جابر، وعدّ الذهبي ذلك من متفرقات معاوية بن عمار^(٩٩).

معاوية بن عمار هذا هو الذي ذكرنا من قبل أنه روى أكثر روايات الحج بما في ذلك حديث حجة الوداع التفصيلي عن الإمام الصادق. وسنقارن روايته برواية جابر.



مما تقدم يتضح أن دراسة «الحج في السنة» في إطار كتب أهل السنة المعروفة ينبغي أن تدور حول رواية جابر لحجة الوداع، وجابر هو أيضاً متفهم لأهمية روايته إذ قال: «على يدي دار الحديث»^(١٠٠). أما الدراسة في إطار أحاديث الشيعة فيجب أن تتخذ رواية «معاوية بن عمار» محوراً لها، ونحن فعلنا ذلك، وفيما يلي أسانيد هذه الرواية وطرقها ومصادرها.



مصادر وأسانيد حجة الوداع في كتب الشيعة الإمامية:

إضافةً إلى أن حديث جابر - كما مرَّ سابقاً - له ذكر في مصادر الشيعة الإمامية، هناك حديث معاوية بن عمار عن الإمام جعفر بن محمد الصادق في كتب الحديث الشيعية، وهو أطول حديث بشأن حجة الوداع، ورد هذا الحديث في الكافي^(١٠١) للكليني (المتوفى ٣٢٩هـ) وتهذيب الأحكام^(١٠٢) للشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) مسنداً كما ورد قسم منه مرسلاً في كتاب «من لا يحضره الفقيه»^(١٠٣) للشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨٧هـ) كما يلي:

□ سند الكليني على النحو التالي: علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج... الكليني بهذا السند أو بأسانيد تختلف عنه. روى أحداث حجة الوداع، وأحكام الحج بشكل عام، عن معاوية بن عمار والأسانيد التالية توضح ما بينها من تفاوت:

١ - علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد، عن معاوية بن عمار... (١٠٤)

٢ - علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار (١٠٥).

٣ - علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن صفوان عن معاوية بن عمار (١٠٦).

٤ - علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى عن معاوية بن عمار (١٠٧).

٥ - علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن

الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى بن أبي عمير جميعاً عن معاوية بن عمار (١٠٨).

٦- صفوان، عن معاوية بن عمار (١٠٩). مثل هذا السند يطلق عليه في الاصطلاح اسم «التعليق»، حيث يرتبط هنا بالسند الذي يسبقه ويكمّله.

٧- علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن معاوية بن عمار (١١٠).

٨- علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، وعن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) (١١١).

٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج ومعاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) (١١٢).

١٠- علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، وحماد بن عيسى جميعاً عن معاوية بن عمار... (١١٣).

□ سند الشيخ الطوسي بالشكل التالي: محمد بن علي بن محبوب، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، ومحمد بن الحسن، وعلي بن السندي، والعباس كلهم عن صفوان عن معاوية بن عمار (١١٤). المتخصصون في هذا الحقل يعلمون أن الشيخ الطوسي أخذ الحديث في هذه الموارد من كتب الأشخاص الذين ذكرهم في بداية سنده، وطريقه إليهم مذكور في مشيخة نهاية كتاب التهذيب والاستبصار. أي توجد عدة وسائط أخرى بين الشيخ الطوسي



وأولئك الأشخاص. وبالتدقيق في كتاب تهذيب الأحكام نستطيع الحصول على سائر طرق الشيخ الطوسي إلى معاوية بن عمار.

□ أما الشيخ الصدوق: في «من لا يحضره الفقيه» فقد نقل قسماً من رواية معاوية بن عمار ابتداءً من بدء نزول حكم حج المتعة على الرسول (١١٥). حتى نهاية فقرة الوقوف بعرفة (١١٦)، وما عدا ذلك فقد نقله مراسلاً دون ذكر اسم معاوية بن عمار. أما سائر روايات معاوية بن عمار بشأن الحج المذكورة في الكافي، فقد وردت أيضاً في التهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وسائر كتب الحديث بأسانيد مختلفة، وربما كان فيها ما لم يرد في روايات الكافي. ولا مجال الآن للتدقيق فيها.

ينبغي الالتفات إلى أن معاوية بن عمار يروي عن الإمام الصادق فقط، دون أن يرفع الصادق الرواية إلى الرسول كما في رواية جابر. ومثل هذا الحديث «مرسل ومرفوع» في نظر أهل السنة، لأن الراوي يرفع الحديث إلى النبي مع حذف الوسائط، غير أن هذا الحديث غير مرسل ولا مرفوع في نظر الشيعة لا اعتقادهم بعصمة الإمام وحجية أقواله ولايمانهم بأن ما يقوله أئمة آل البيت منقول عن آبائهم الواحد بعد الآخر عن علي عن رسول الله وهناك حديث بهذا المضمون (١١٧).

إنطلاقاً من هذا الأساس ينبغي أن نعدّ حديث «معاوية بن عمار» حديثاً يمتاز بهذه الخاصية، أي إن الإمام الصادق روى عمل النبي عن آيائه عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن المحتمل أن يكون هذا الحديث هو حديث جابر نفسه، غير أن الإمام الصادق حذف الوسائط أو فعل الرواة ذلك، بلحاظ أن النقل كان موجهاً للشيعة المؤمنين بإمامة الإمام وبحجية أحاديثه، المستغنيين عن

السند، ولذلك لم ترد في ذلك الحديث قصة لقاء الإمام الباقر بجابر، كما لم ترد أيضاً عند أحمد بن حنبل من رواية أهل السنة كما ذكرنا من قبل. لكن الاختلافات الكثيرة بين نصي الحديث - كما سنرى - يُبعد هذا الاحتمال، ومن الأفضل أن نقول: إن حديث معاوية بن عمار في حجة الوداع طريق آخر مستقل عن طريق حديث جابر، وإن كان الإمام الصادق يشكل حلقة في سلسلة رواية الحديثين. الكليني في الكافي ينقل روايتين أخريين أقصر من رواية معاوية بن عمار بشأن حجة الوداع.

□ الأولى: رواية الحلبي، أي عبيد الله بن علي الحلبي عن الإمام الصادق (١١٨) وفيها بداية حجة الوداع ونحر مائة من الإبل بيد الرسول وعلي، ولم يذكر شيئاً عن إحرام يوم التروية، والوقوف في منى والمشعر وعرفات، ورمي الجمار، والرجوع إلى مكة.

□ الثانية: رواية عبد الله بن سنان عن الصادق (١١٩)، وهي قطعة من حجة الوداع. وفيها إضافات جديدة منها أن النبي كتب قبل حجة الوداع إلى الأطراف يخبر الناس بحجّه في تلك السنة، ويدعوهم إلى الاشتراك في الحج، وأمره الناس في ذي الحليفة بتنظيف أجسامهم من شعر الإبط والعانة، والغسل ولبس الإزار والرداء أو الإزار والعمامة بدل الرداء، وكيفية التلبية، وآداب الطواف، وآداب شرب ماء زمزم والسعي وغيرها من الزيادات.

عبيد الله الحلبي وعبد الله بن سنان اثنان آخران من كبار صحابة الإمام الصادق، ونقلت عنهما روايات متعددة بشأن الحج في الكافي وكتب الحديث الأخرى.

العلامة المجلسي في بحار الأنوار نقل حجة الوداع بالتفصيل عن كتاب الإرشاد للمفيد وأعلام الوري للطبرسي (١٢٠). وهذان العلمان لم يذكرهما مصدراً



وسنداً لروايتها، ولكن يتضح من أقوالهما أنها لفقاً بين رواية معاوية بن عمار وروايات أخرى. وفي نهاية الرواية أوردنا قصة الغدير، كما ضمنا الرواية قصة معارضة الخليفة الثاني وبعض أصحاب الرسول لحج التمتع، وامتناع عمر عن الخروج من الإحرام مع تأكيد الرسول. ولنلق الآن نظرة على نقاط الاختلاف بين رواية جابر ورواية معاوية بن عمار.

مقارنة بين رواية جابر ورواية معاوية بن عمار

نقاط الاختلاف بين الروایتين تتمثل فيما يلي:

١ - رواية جابر تتحدث عن مشاهدات جابر ومسموعاته، بينما رواية معاوية بن عمار تنقل قصة حجة الوداع - عن الإمام الصادق بوصفها حادثة وقعت في زمن مضى، ولذلك لم ترد فيها قصة لقاء الإمام الباقر بجابر. ٢ - اختصت رواية معاوية بذكر: أن الرسول أمر - عند نزول آية ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ - المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم أن رسول الله ﷺ يحجّ في عامه هذا.

٣ - جاء في رواية معاوية أن رسول الله ﷺ خرج في أربع بقين من ذي القعدة، وفي رواية جابر بنقل أحمد بن حنبل جاء الخروج لعشر بقين من هذا الشهر، بينما لم يذكر الرواة الآخرون عن جابر مدة أصلاً.

٤ - في رواية معاوية جاء: فلما انتهى (الرسول) إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل، ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلّى فيه الظهر وعزم بالحج مفرداً، وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول فصُفّ له سباطان فلبّى مفرداً. وهذه التفاصيل لم ترد في حديث جابر.

٥ - قصة نفاس أسماء بنت عميس وولادة محمد بن أبي بكر وردت في رواية جابر فقط.

٦ - ذكرت رواية جابر طريقة تلبية الرسول في «البداء»، وأضافت: وأهلّ الناس بهذا الذي يهلّون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه. وفي رواية أحمد أن الناس زادوا في التلبية «ذا المعارج» وسمع الرسول ولم يقع شيئاً.

٧ - رواية معاوية ذكرت أن الرسول ساق الهدى ستاً وستين أو أربعاً وستين حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة، وبدلاً من ذلك جاء في رواية جابر: أن الرسول لزم تلبيته .. وأتينا البيت معه، استلم الركن.

٨ - اختصت رواية جابر بذكر أن الرسول رَمَلَ ثلاثاً، ومشى أربعاً، وأنه كان يقرأ في ركعتي الطواف: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

٩ - جاء في رواية جابر: أن الرسول رقى على الصفا حتى رأى البيت ... ثم تلا أذكراً وأعادها ثلاث مرات. أما في رواية معاوية جاء أن الرسول صعد على الصفا واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة، مترسلاً، ولم تتعرض الرواية لأذكار الرسول.

١٠ - اختصت رواية جابر بذكر أن الرسول بعد نزوله إلى المروة مشى حتى إذا انصبت قدماه رمل في بطن الوادي. حتى إذا صعدتا (قدماه) مشى حتى أتى المروة.

١١ - اختصت رواية معاوية بذكر أن الرسول لما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن جبرئيل - وأوماً بيده إلى خلفه - يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يُحَلَّ.

١٢ - اختصت هذه الرواية بذكر أن رجلاً من القوم قال: لنخرجن



حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر! فقال له رسول الله ﷺ: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً.

١٣ - في رواية معاوية جاءت قصة دهشة عليٍّ من عمل زوجته فاطمة وإنكاره عليها عملها بلغة أكثر ليونة بكثير من لغة رواية جابر. أحمد بن حنبل بعد أن ينقل هذه القصة، ينقل عدد أضاحي الرسول البالغ مائة رأس، وكيفية نحرها، ولم ينقل ما جاء في رواية جابر من يوم التروية حتى يوم النحر.

١٤ - اختصت رواية معاوية بذكر أن الرسول ﷺ نزل بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ولم ينزل الدور.

١٥ - اختصت هذه الرواية أيضاً بالقول: فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس، أمر (الرسول) الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحج، وهو قول الله - عز وجل - الذي أنزل على نبيّه ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

١٦ - اختصت هذه الرواية أيضاً بذكر: أن الله - تعالى - أنزل: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله﴾ يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم، ثم أفاض الرسول من ذلك المكان.

١٧ - اختصت رواية معاوية بذكر أن «نمرة» هي «بطن عُرنة» بحيال الارك، وفيها ضربت قبة الرسول وضرب الناس أخبيتهم عندها.

١٨ - اختصت هذه الرواية بالقول: فلما زالت الشمس خرج رسول الله ﷺ ومعه قريش، وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم. وبدلاً من ذلك جاء في رواية جابر: حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت له. فركب حتى أتى بطن الوادي.. فخطب الناس ...

١٩ - لم يرد نص خطبة الرسول في رواية معاوية، بينما وردت في رواية جابر. هذه الخطبة نقلها ابن ماجة والبيهقي ومسلم بهذا الشكل: «وقد تركت

فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله». وفي سيرة ابن هشام: «كتاب الله وسنة رسوله» وفي روايات الشيعة نقلاً عن الرسول أنّه قال في حجّة الوداع: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، بينما لم ترد هذه الجملة أصلاً في مسند أحمد.

٢٠- لم يرد في رواية معاوية اسم «بلال» بوصفه مؤذن الرسول.

٢١- اختصت رواية معاوية بذكر أنّ الناس جعلوا يبتدرون أخفاف ناقة الرسول يقفون إلى جانبها فتحّاها، ففعلوا مثل ذلك فقال: أيها الناس ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف ولكن هذا كله - وأوماً بيده إلى الموقف - فتفرّق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة. وفي رواية جابر جاء بدلاً من ذلك: ... فجعل بطن ناقته إلى الصخرات. وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة. فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الضفرة قليلاً. حتى غاب القرص.

٢٢- لم يرد في رواية معاوية ذكر لإرداف أسامة بن زيد والفضل بن العباس.

٢٣- ذكرت رواية جابر اضطجاع الرسول في مزدلفة بينما ذكرت رواية معاوية وقوفه فيها.

٢٤- في رواية جابر جاء ذكر ركوب النبيّ إلى المشعر الحرام بعد صلاة الفجر، حتى إذا أتى المشعر الحرام فرقى عليه فحمد الله وكبرّه وهلّله. بينما جاء في رواية معاوية إفاضة الرسول إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام بعد وقوع قرص الشمس ثم أقام في المزدلفة حتى صلى فيها الفجر.

٢٥- اختصت رواية معاوية بذكر تعجيل ضعفاء بني هاشم بليل صوب منى، وأمر الرسول إياهم أن لا يرموا الجمرة - جمرة العقبة - حتى تطلع الشمس.

٢٦- رواية معاوية ذكرت وقت إفاضة الرسول إلى منى عندما أضاء النهار، وأضافت رواية جابر: قبل طلوع الشمس.



٢٧- اختصت رواية جابر بذكر كيفية الحركة نحو الجمرة، وشكل الجمرات وعددها والتكبير عند كل رمية، وقربها من الشجرة.

٢٨- جاء في رواية معاوية أن الهدي الذي جاء به رسول الله ﷺ أربعة وستون أو ستة وستون، وجاء علي رضي الله عنه بأربعة وثلاثين أو ستة وثلاثين، ونحر كل منهما هذا العدد نفسه، وفي رواية معاوية جاء أن الرسول نحر ثلاثاً وستين بدنة بيده وأعطى علياً فنحر ما بقي.

٢٩- اختصت رواية معاوية بذكر أن الرسول وعلياً لم يعطيا الجزارين جلود الأضاحي ولا جلالها ولا قلائدها، وتصدق به.

٣٠- جاء في رواية معاوية أن الرسول: حلق وزار البيت ورجع إلى منى وأقام بها، حتى كان اليوم الثالث من آخر أيام التشريق، ثم رمى الجمار، ونفر حتى انتهى إلى الأبطح. أما رواية جابر فتنتهي بإضافة رسول الله ﷺ إلى البيت وصلاته بمكة الظهر وشربه من ماء زمزم. ورواية أحمد بن حنبل تخلو من ذكر المجيء إلى مكة.

٣١- في رواية معاوية، يلي ما سبق، ذكر عمرة عائشة مع أخيها من «التنعيم»، والتحاقها بالنبي في «الأبطح»، وارتحال النبي من الأبطح من دون أن يدخل المسجد الحرام ثانية وأن يطوف بالبيت. وفي نهاية الرواية جاء: أن النبي دخل من أعلى مكة من عقبة المدينين، وخرج من أسفل مكة من ذي طوى.

هذا ونورد فيما يلي نص الحديثين، حديث جابر نقلاً عن سنن الترمذي، وحديث معاوية بن عمار نقلاً عن الكافي للكليني:

رواية جابر بن عبد الله كما رواها الترمذي:

حدثنا هشام بن عمار، ثنا حاتم بن إسماعيل، ثنا جعفر بن محمد عن أبيه،

قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فلما انتهينا إليه سأل عن القوم، حتى انتهى إليّ فقلت: أنا محمد بن عليّ بن الحسين. فأهوى بيده^١ إلى رأسي فحلّ زريّ^٢ الأعلى، ثمّ حلّ زريّ الأسفل، ثمّ وضع كفه بين ثديي، وأنا يومئذٍ غلامٌ شاب. فقال: مرحباً بك، سل عما شئت، فسألته وهو أعمى، فجاء وقت الصلاة، فقام في نساجة^٣ ملتحفاً بها، كلما وضعها على منكبيه رجع طرفاً إليه، من صغرها، ورداؤه إلى جانبه على المشجب^٤، فصلّى بنا. فقلت: أخبرنا عن حجة رسول الله ﷺ فقال بيده^٥، فقعد تسعاً وقال: إنّ رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج فأذن^٦ في الناس في العاشرة: أنّ رسول الله ﷺ حاجٌ^٧، فقدم المدينة بشركثير، كلّهم يلتمس^٨ أن يأتيهم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله. فخرج وخرجنا معه، فأتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري^٩ بثوبٍ وأخرمي» فصلّى رسول الله ﷺ في المسجد ثمّ ركب القصواء^{١٠}. حتى إذا استوت^{١١} به ناقته على البداء^{١٢} (قال جابر) نظرت إلى مدّ بصري^{١٣} من بين يديه، بين ركب

(١) فأهوى بيده إلى رأسي: أي مدها إليه.

(٢) فحلّ زري: هو أحد أزرار القميص. فعل ذلك إظهاراً للمحبة وإعلاماً بالمودّة، لأجل بيت النبوة.

(٣) نساجة: ضرب من الملاحف منسوج كأنها سميت بالمصدر.

(٤) المشجب: أعواد تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها، توضع عليها الثياب.

(٥) فقال بيده: أي أشار بيده.

(٦) فأذن: أي نادى.

(٧) حاج: أي خارج إلى الحج.

(٨) يلتمس: أي يطلب ويقصد.

(٩) يأتهم: أي يقتدي ويعمل بمثل عمله. (١٠) وأستثفري: هو أن تشد فرجها بخرقه لئلا يمنع سيلان الدم.

(١١) القصواء: هي، لغة، الناقة التي قطع طرف أذننها. وقيل: اسم لناقته ﷺ بلا قطع أذن. وقيل: بل للقطع.

(١٢) استوت به ناقته: أي علت به أو قامت مستوية على قوائمها، والمراد أنه بعد تمام طلوع البداء، لا في أثناء طلوعه.

(١٣) البداء: المفازة، وها هنا اسم موضع من قريب من مسجد ذي الحليفة.

(١٤) مد بصري: أي منتهى بصري. وأنكر بعض أهل اللغة ذلك، وقال: الصواب مدى بصري، قال النووي: ليس بمنكر بل هما لغتان، والمد أشهر.



ماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، ما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» وأهل الناس بهذا الذي يهللون به، فلم يرُدَّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه. ولزم رسول الله ﷺ تلبيته. قال جابر: لسنا ننوي إلا الحج. لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرمل ثلاثاً: ومشى أربعاً، ثم قام إلى مقام إبراهيم، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت. فكان أبي يقول: ولا أعلمه إلا ذكره عن النبي ﷺ: إنه كان يقرأ في الركعتين: قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، ثم رجع إلى البيت فاستلم الركن، ثم خرج من الباب إلى الصفا، حتى إذا دنا من الصفا قرأ «إن الصفا والمروة من شعائر الله نبدأ بما بدأ الله به»^١ فبدأ بالصفا، فرقي عليه، حتى رأى البيت، فكبَّرَ الله وهلَّله وحمده، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرَّات، ثم نزل إلى المروة، فمشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، فلما كان آخر طوافه على المروة قال: «لو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسُق الهدى، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلل وليجعلها عمرة» فحلَّ الناس كلُّهم وقصَّروا، إلا النبي ﷺ ومن كان معه الهدى، فقام سراقه بن مالك جُعْشَمُ فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا أم لأبد الأبد؟ قال: فشَبَّكَ رسول الله ﷺ أصابعه في الأخرى وقال: «دخلت العمرة في الحج هكذا»^٢

(١) نبدأ بما بدأ الله به: يفيد أن بداية الله تعالى ذكراً، تقتضي البداءة عملاً.

(٢) دخلت العمرة في الحج: أي حلَّت في أشهر الحج وصحَّت.

مرّتين «لا، بل لأبد الأبد»^١، وقدم عليٌّ بيدن^٢ النبي ﷺ. فوجد فاطمة ممّن حلّ، ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت فأنكر ذلك عليها عليٌّ، وقالت: أمرني أبي بهذا، فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ مُحَرَّشاً^٣ عليّ فاطمة في الذي صنعتُه، مستفتياً رسول الله ﷺ في الذي ذكرت عنه، وأنكرت ذلك عليها، فقال: «صدقت، صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟» قلت: اللهم! إنّي أهلُّ بما أهلّ به رسولك ﷺ، قال: «فإنّ معي الهدي فلا تُحلّ» قال: فكان جماعة الهدي الذي جاء به عليٌّ من اليمن، والذي أتى به النبي ﷺ من المدينة، مائة. ثمّ حلّ الناس كلّهم وقصّروا، إلّا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية وتوجّهوا إلى منى، أهلّوا بالحجّ فركب رسول الله ﷺ فصلّي بنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح. ثمّ مكث قليلاً حتّى طلعت الشمس، وأمر بقبّة من شعر فُضِرت له بنمرة^٤، فسار رسول الله ﷺ، لا تشكُّ قريش إلّا أنّه واقفٌ عند المشعر الحرام أو المزدلفة، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية.

فأجاز^٥ رسول الله ﷺ حتّى أتى عرفة فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتّى إذا زاغت^٦ الشمس، أمر بالقصواء فرُحلت^٧ له. فركب حتّى أتى بطن الوادي^٨. فخطب الناس فقال: «إنّ دماءكم^٩ وأموالكم عليكم حرام كحرمة

(١) بل لأبد الأبد: أي آخر الدهر.

(٢) بدن: جمع بدنة وهي ناقة أو بقرة تنحر بمكة، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها.

(٣) مُحَرَّشاً: من التحريش وهو الإغراء.

(٤) نمرة: في النهاية، هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم بعرفات.

(٥) فأجاز: أي جاوز مزدلفة.

(٦) زاغت الشمس: أي زالت.

(٧) فرحلت: أي جعل عليها الرجل.

(٨) بطن الوادي: هو وادي عُرنة.

(٩) إنّ دماءكم: قيل: تقديره سفك دم واحد حرام. إذ الذوات لا توصف بتحريم ولا تحليل.



يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي^١ هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة. وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث. (كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل) ورباً الجاهلية موضوع، وأول رباً أضعه ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله^٢. واستحللتم فروجهن بكلمة الله^٣، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن^٤ فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرج^٥. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لم تصلوا إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم مسؤولون عني. فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة إلى السماء وينكبها^٦ إلى الناس: «اللهم! اشهد اللهم! اشهد» ثلاث مرات. ثم أذن بلال، ثم أقام فصلي الظهر، ثم أقام فصلي العصر، ولم يصل بينهما، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته إلى الصخرات^٧، وجعل حبل المشاة^٨ بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً على غربت الشمس وذهبت الصفرة

(١) تحت قدمي: إبطال لأمر الجاهلية. بمعنى أنه لا مؤاخذه بعد الإسلام بما فعله في الجاهلية، ولا قصاص ولا دية ولا كفارة بما وقع في الجاهلية من القتل، ولا يؤخذ الزائد على رأس المال بما وقع في الجاهلية من عقد الربا.

(٢) بأمانة الله: أي ائتمنكم عليهن، فيجب حفظ أمانته وصيانتها عن الضياع بمراعات الحقوق.

(٣) بكلمة الله: أي إباحته وحكمه. قيل: المراد بها الإيجاب والقبول.

(٤) أن لا يوطئن: قال الخطابي: معناه أن لا يأذن لأحد من الرجال يدخل فيتحادث إليهن. وكان عادة العرب تحديث الرجال إلى النساء، قال النووي: المختار لا يأذن لأحد تكرهون دخوله في بيوتكم، سواء كان رجلاً أو امرأة، أجنبياً أو محرماً منها.

(٥) غير مبرج: أي غير شديد ولا شاق.

(٦) وينكبها: أي يميلها، يقال: نكبت الاناء نكبا، ونكبتته تنكيباً، إذا أماله وكتبه.

(٧) إلى الصخرات: هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة هنووي.

(٨) حبل المشاة: أي مجتمعهم.

قليلاً، حتى غاب القرص، وأردف أسامة بن زيد خلفه، فدفع رسول الله ﷺ وقد شقَّ القصواء بالزمام^١، حتى إنَّ رأسها ليصب مورك رحله^٢، ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس! السكينة السكينة!»^٣ فلما أتى حبلاً من الحبال^٤ أرخى لها^٥ قليلاً حتى تصعد. ثم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذانٍ واحد وإقامتين، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فرقي عليه فحمد الله وكبرّه وهلّله. فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً^٦، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن العباس، وكان رجلاً حسن الشعر، أبيض، وسيماً^٧. فلما دفع رسول الله ﷺ، مرّ الظعن^٨ يجرين، فطفق ينظر إليهنّ، فوضع رسول الله ﷺ يده من الشقّ الآخر. فصرف الفضل وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى محسراً^٩. حرّك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرجك إلى الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرمى بسبع حصيات، يكبر مع كلّ حصاة منها مثل حصي الخذف^{١٠}، ورمى بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين

(١) شقَّ القصواء بالزمام: أي ضمّ وضيق.

(٢) مورك رحله: المورك والمولكة المرفقة التي تكون عند قادمة الرجل. يضع الراكب رحله عليها ليستريح من وضع رحله في الركاب، أراد أنه كان قد بالغ في جذب رأسها إليه، ليكشفها عن السير.

(٣) السكينة السكينة: أي الزموها.

(٤) حبلاً من الحبال: قيل: الحبال في الرمل كالجبال في غير الرمل.

(٥) أرخى لها: أي أرخى للقصواء الزمام.

(٦) أسفر جداً: الضمير في أسفر يعود إلى الفجر المذكور أولاً. وقوله جداً أي إسفاراً بليغاً. يعني أضاء إضاءة تامة.

(٧) وسيماً: أي حسناً وضيئاً.

(٨) الظعن: جمع طغينة، وأصل الطغينة البغير الذي عليه امرأة. ثم تسمى به المرأة مجازاً.

(٩) محسراً: موضع معلوم.

(١٠) حصي الخذف: أي حصي صغار بحيث يمكن أن يرمى بأصبعين، والخذف في الأصل مصدر سُمي به. يقال: خذفت الحصاة ونحوها خذفاً، من باب ضرب، إذ رميتها بطرفي الإبهام والسبابة.



بدنة بيده، وأعطى علياً فنحر ما غبر^١، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة^٢، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم أفاض رسول الله ﷺ إلى البيت، فصلّى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب لولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوفا فشرب منه.

رواية معاوية بن عمار في حجة الوداع في الكافي:

علي بن إبراهيم، عن أبيه؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ ثم أنزل الله عز وجل عليه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^٣، فأمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله ﷺ يحجّ في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب واجتمعوا لحج رسول الله ﷺ وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه فخرج رسول الله ﷺ في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلّى فيه الظهر وعزم بالحج مفرداً وخرج حتى انتهى إلى البداء عند الميل الأول فصفّ له سباطان^٤ فلبّى بالحج مفرداً وساق الهدى ستاً وستين أو أربعاً وستين حتى انتهى إلى مكة

(١) ما غبر: أي ما بقى.

(٢) ببضعة: أي بقطعة من اللحم.

(٣) الحج: ٢٦ والضاير: البعير المهزول. وفج عميق: أي طريق بعيد.

(٤) ذو الحليفة: موضع على ستة أميال من المدينة، وقوله «مفرداً» أي عن دون عمرة معه في نية واحدة.

والبداء: أرض ملساء بين الحرمين، وسباط القوم: صفهم.

في سلخ أربع من ذي الحجة^١ فطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم عاد إلى الحجر فاستلمه وقد كان استلمه في أوّل طوافه ثم قال: إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فأبدء بما بدء الله تعالى به وإن المسلمين كانوا يظنون أنّ السعي بين الصفا والمروة شيء صنعته المشركون فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^٢ ثم أتى الصفا فصعد عليه واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلاً ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه، فلما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ هذا جبرئيل - وأوماً بيده إلى خلفه - يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحلّ ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم^٣ ولكنّي سقت الهدى ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحلّ حتى يبلغ الهدى محله؛ قال: فقال له رجل من القوم: لنخرجن حجاً جاً ورؤسنا وشعورنا تقطر^٤؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما إنّك لن تؤمن بهذا أبداً، فقال له سراقبة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله علّمنا ديننا كأنّا خلقنا اليوم فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟ فقال له رسول الله ﷺ: بل هو للأبد إلى يوم القيامة، ثم شبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة، قال: وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام

(١) أي آخر اليوم الرابع.

(٢) البقرة: ١٥٣، «فلا جناح» أي فلا إثم عليه. «أن يطوف بهما» فيه ادغام التاء في الأصل في الطاء والتقدير أن يتطوف بهما.

(٣) يعني لو جاءني جبرئيل بحجّ التمتع وادخال العمرة في الحج قبل سياقي الهدى كما جاءني بعد ما سقت الهدى لصنعت مثل ما أمرتكم يعني لتمتعت بالعمرة وما سقت الهدى.

(٤) يقصد تقطر من ماء غسل الجنابة.



وهي قد أحلت فوجد ريحاً طيبة ووجد عليها ثياباً مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت: أمرنا بهذا رسول الله ﷺ. فخرج عليّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ مستفتياً، فقال: يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا أمرت الناس بذلك فأنت يا عليّ بما أهلت؟ قال: يا رسول الله إهلالاً كإهلال النبي، فقال له رسول الله ﷺ: قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي، قال: ونزل رسول الله ﷺ بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحجّ وهو قول الله عز وجل الذي أنزل على نبيّه ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^١ فخرج النبي ﷺ وأصحابه مهلّين بالحجّ حتى أتى منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله ﷺ وقريش ترجو أن تكون إفاضة من حيث كانوا يفيضون فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾^٢ يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضة منى ومن كان بعدهم، فلما رأت قريش أن قبّة رسول الله ﷺ قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم حتى انتهى إلى غرة وهي بطن عرنة^٣ بجبال الأراك فضربت قبّته وضرب الناس أخبيتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله ﷺ معه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به

(١) آل عمران : ٨٩

(٢) البقرة : ١٩٨.

(٣) بضم العين وفتح الراء كهزمة - بحذاء عرفات.

فجعل النَّاسَ يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاهها، ففعلوا مثل ذلك، فقال: أيُّها الناس ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف ولكن هذا كله - وأوماً بيده إلى الموقف - فتفرَّق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فوقف الناس حتى وقع القرص - قرص الشمس - ثم أفاض وأمر الناس بالدعة^١ حتى انتهى إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام فصلَّى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا الجمرة - جمرة العقبة - حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة وكان الهدي الذي جاء به رسول الله ﷺ أربعة وستين أو ستّة وستين^٢ وجاء عليّ عليه السلام بأربعة وثلاثين أو ستّاً وثلاثين، فنحر رسول الله ﷺ ستّة وستين ونحر عليّ عليه السلام أربعاً وثلاثين بدنة وأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة^٣ من لحم، ثم تطرح في برمة، ثم تطبخ، فأكل رسول الله ﷺ وعليّ وحسبياً من مرقها ولم يعطيا الجزارين جلودها ولا جلاها ولا قلائدها وتصدّق به وحلق وزار البيت ورجع إلى منى وأقام بها حتى كان اليوم الثالث من آخر أيام التشريق، ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح فقالت له عائشة: يا رسول الله ترجع نساؤك بحجّة وعمره معاً وأرجع بحجّة؟ فأقام بالأبطح وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمره ثم جاءت وطافت بالبيت وصلّت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام وسعت بين الصفا والمروة، ثم أتت النبي ﷺ فارتحل من يومه ولم يدخل المسجد الحرام ولم يطف بالبيت ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيتين وخرج من أسفل مكة من ذي طوى.

(١) أي الوقار والسكينة.

(٢) لعلّ التردد من الراوي أو خرج مخرج التقية.

(٣) الجذوة: القطعة وهي مثلثة والبرمة - بالضم - قدر من الحجارة.



الهوامش :

- (١) مقدمة مسند زيد : ٥.
- (٢) مقدمة مسند زيد : ١١؛ المسند : ٥٠.
- (٣) الأعلام ٣ : ٩٨.
- (٤) مقدمة المسند : ١١ وما بعدها.
- (٥) مقدمة المسند : ١٣.
- (٦) المصدر نفسه.
- (٧) مسند زيد : ٥٠.
- (٨) مقدمة المسند : ١٧.
- (٩) مقدمة المسند : ٣٤.
- (١٠) مسند زيد : ٣٨٠.
- (١١) مسند زيد : ٣٨٢.
- (١٢) جامع الترمذي ٤ : ١١٩.
- (١٣) مسند زيد : ٢٣٠-٢٥٣.
- (١٤) مسند زيد : ٢٢٤.
- (١٥) راجع مقدمة تأويل الدعائم.
- (١٦) دعائم الإسلام ١ : ٢٠ وما بعدها.
- (١٧) راجع مقدمة تأويل الدعائم.
- (١٨) مستدرک الوسائل ٣ : ٣١٣ وما بعدها؛ راجع بهذا الصدد مقدمتنا على كتابي المقنع والهداية للصدوق : ١٧.
- (١٩) دعائم الإسلام ١ : ٢٩٥-٣٤٦.
- (٢٠) دعائم الإسلام ١ : ٣٢٤.
- (٢١) دعائم الإسلام ١ : ٣٠٥.
- (٢٢) الكافي ٤ : ١٨٤-٥٩٨.
- (٢٣) فهرست الكافي ٤ : ٦٠٧.
- (٢٤) الكافي ٤ : ٥٢٠.
- (٢٥) جامع الرواة ١ : ١٨٢ وما بعدها.
- (٢٦) الأعلام ٨ : ١٧٤.
- (٢٧) ميزان الاعتدال ٤ : ١٣٧ و ٣ : ١٧٠ و ١٧٢.
- (٢٨) رجال النجاشي : ٢٩٣.
- (٢٩) في فهرست الشيخ الطوسي : ٤٩٨ ذكر اسم ١٧ شخصاً.
- (٣٠) لاحظ الكافي ٤ : ١٨٤-٥٩٨.
- (٣١) الكافي ٤ : ١٨٤-٥٩٨.

- (٣٢) الكافي ٤: ٢٤٥.
- (٣٣) سيرة ابن هشام ٤: ٢٤٢؛ تاريخ الطبري ٤: ١٧٥٤، ١٧٥٦.
- (٣٤) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦٥.
- (٣٥) بحار الأنوار.
- (٣٦) طبقات ابن سعد ٢: ١٧٠ و ١٧١.
- (٣٧) سنن النسائي ٥: ٢٤٧.
- (٣٨) طبقات ابن سعد ٢: ١٨٤.
- (٣٩) تاريخ الطبري ٤: ١٧٩٤ و ١٧٥٦.
- (٤٠) طبقات ابن سعد ٣: ١٧٢.
- (٤١) طبقات ابن سعد ٢: ١٨٨.
- (٤٢) بحار الأنوار ٢١: ٣٨٢ ط دار الكتب؛ نقلاً عن الإرشاد للمفيد وأعلام الوري للطبرسي.
- (٤٣) بحار الأنوار ٢١: ٣٨٣.
- (٤٤) ارشاد المفيد: ٨٠.
- (٤٥) صحيح مسلم ٨: ١٧٠.
- (٤٦) صحيح مسلم ٨: ١٠٧-١٩٦.
- (٤٧) التاج الجامع للأصول ٢: ١٤٠.
- (٤٨) طبعة القاهرة، في إحدى الأعداد بين سنة ١٣٧٠ و ١٣٨٠، لا يتوفر عندي العدد المذكور.
- (٤٩) صحيح مسلم ٨: ١٧٠.
- (٥٠) سنن أبي داود.
- (٥١) سنن الدارمي ٢: ٤٤.
- (٥٢) سنن ابن ماجه ٢: ١٠٢٢.
- (٥٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٢٠.
- (٥٤) سنن النسائي ج ٥ في الصفات التي تذكر بعدها لكل مسند.
- (٥٥) سنن البيهقي ٥: ٦.
- (٥٦) صحيح مسلم ٨: ١٧٠.
- (٥٧) صحيح مسلم ٨: ١٩٤.
- (٥٨) صحيح مسلم ٨: ١٩٥ و ٩: ٩.
- (٥٩) صحيح مسلم ٨: ١٣٤، ١٩٦.
- (٦٠) سنن أبي داود ج ١.
- (٦١) سنن أبي داود ١: ٣٠١.
- (٦٢) سنن الدارمي ٢: ٤٤.
- (٦٣) سنن الدارمي ٢: ٤٩.
- (٦٤) سنن الدارمي ٢: ٤٢.
- (٦٥) سنن ابن ماجه ٢: ١٠٢٢.



- (٦٦) مسند أحمد ٣: ٣٢٠.
- (٦٧) سنن النسائي ٥: ١٤٣، ١٥٧، ٢٤٣.
- (٦٨) سنن النسائي ٥: ١٥٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٦٥.
- (٦٩) سنن النسائي ٥: ١٦٢، ١٧٦، ٢٤٠.
- (٧٠) سنن النسائي ٥: ١٦٤، ٢٤٤.
- (٧١) سنن النسائي ٥: ١٦٤، ٦٣٥، ٢٤٠، ٢٤٣.
- (٧٢) سنن النسائي ٥: ٢٢٨.
- (٧٣) سنن النسائي ٥: ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤٠.
- (٧٤) سنن النسائي ٥: ٢٣٦.
- (٧٥) سنن النسائي ٥: ٢٦٧، ٢٧٤.
- (٧٦) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٦.
- (٧٧) الموطأ لمالك بن أنس: ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٦.
- (٧٨) الموطأ لمالك بن أنس: ٢٢٣، ٢٥١.
- (٧٩) طبقات ابن سعد ٢: ١٧٧، ١٨٦.
- (٨٠) جامع الترمذي ٤: ٣٠، ٣١، ٣٣، ٨٨، ٩٠، ٩٤، ٩٩.
- (٨١) المستدرك على الصحيحين ١: ٤٥٥.
- (٨٢) تاريخ الطبري ٤: ١٧٥١؛ سيرة ابن هشام ٤: ٢٤٨؛ طبقات ابن سعد ٢: ١٧٦ وما بعدها.
- (٨٣) في جامع الترمذي ٩ موارد، في صحيح البخاري مورد واحد، في سنن الدارمي ٦ موارد، في صحيح مسلم ٦ مرّات، في سنن ابن ماجه ٧ مرّات، في سنن ابن داود مرّتين، في سنن النسائي ٣ مرّات، في طبقات ابن سعد مرّتين، في المستدرك مرّتين.
- (٨٤) في صحيح البخاري ٦ مرّات، في صحيح مسلم ٤ مرّات، في سنن أبي داود ٣ مرّات، في سنن الدارمي مرّتين، في سنن ابن ماجه ٣ مرّات، في مستدرك الحاكم ٣ مرّات.
- (٨٥) سنن ابن ماجه: ٩٧٦؛ سنن الدارمي ٢: ٧٤ مرّتين.
- (٨٦) سنن ابن ماجه: ١٠٣١؛ سنن الدارمي: ٧٤ مرّتين، مستدرك الحاكم: ٤٥٢ ثلاث مرّات.
- (٨٧) سنن ابن ماجه: ٩٨٩، ١٠٠٢؛ مستدرك الحاكم ١: ٤٨٣.
- (٨٨) سنن ابن ماجه: ٩٩٠؛ سنن النسائي ٥: ٢٢٦، صحيح البخاري ٢: ١٧٦، ١٨٩، ١٩٦.
- (٨٩) سنن ابن ماجه: ٩٩٠، صحيح مسلم ٨: ١٦٩.
- (٩٠) سنن النسائي ٨: ١٨٧، مستدرك الحاكم ١: ٤٥٢، ٤٦٧.
- (٩١) صحيح البخاري ٢: ١٧٩، ١٨٩.
- (٩٢) سنن الدارمي: ٦٩؛ جامع الترمذي ٤: ٨٧.
- (٩٣) مستدرك الحاكم ١: ٤٦٧.
- (٩٤) مستدرك الحاكم ١: ٤٨٣.
- (٩٥) بحار الأنوار ٢١: ٣٨٢.
- (٩٦) الكافي ٤: ٣٣٦.

- (٩٧) فهرست الطوسي : ٨٤، ٨٥: جامع الرواة ١: ١٨٢ وما بعدها.
- (٩٨) سنن الدارمي ٢: ٧٤.
- (٩٩) ميزان الاعتدال ٣: ١٧٠، ١٧٢.
- (١٠٠) صحيح مسلم ٨: ١٦٨.
- (١٠١) الكافي ٤: ٢٤٥.
- (١٠٢) تهذيب الأحكام ٥: ٤٥٤.
- (١٠٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٣، ١٥٥.
- (١٠٤) الكافي ٢: ٢٧٥.
- (١٠٥) الكافي ٤: ٤٢٢.
- (١٠٦) الكافي ٤: ٣٧٢.
- (١٠٧) الكافي ٤: ٥٢٠، ٥٣٦.
- (١٠٨) الكافي ٤: ٣٣٥.
- (١٠٩) الكافي ٤: ٤٧٢، ٥٣٢.
- (١١٠) الكافي ٤: ٣٢٥.
- (١١١) الكافي ٤: ٥٣٥.
- (١١٢) الكافي ٤: ٥٢٠، ٤٦٨.
- (١١٣) الكافي ٤: ٤٤٢.
- (١١٤) تهذيب الأحكام ٥: ٤٥٤.
- (١١٥) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٢.
- (١١٦) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨١.
- (١١٧) الكافي ١: ٥٣.
- (١١٨) الكافي ٤: ٢٤٨.
- (١١٩) الكافي ٤: ٢٤٩.
- (١٢٠) بحار الأنوار ٢١: ٣٨٣ وما بعدها.

الحجّ في نهج البلاغة

فارس تبريزيان

الكلام كلما حسن نظمته، وانتظمت مفرداته بأحسن نظام وتحلى بالفصاحة، وتزيّن بالبلاغة، يكون للقبول أقرب وبالنفوس أوقع، خصوصاً إذا جمع بين البلاغة والفصاحة، وبين المعنى العميق الشامل لأنواع المعلومات ودقائق المفاهيم.

ومن هذا المنطلق جعل الله - سبحانه - معجزة النبي ﷺ القرآن المجيد، ببلاغته وحسن عباراته، وبما فيه من الأحكام والإنذار والإبلاغ وشيئ العلوم، حتى تحدّى به العرب - الذين كانوا أهل البلاغة والفصاحة - أن يأتوا بآية من مثله.

وبعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، خلف الثقلين: القرآن، والعترة، وتمثّل ثقل العترة بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وانتقلت إليه موارث الأنبياء والأوصياء، وورث الفصاحة والبلاغة المحمدية، شرع - سلام الله عليه - بهداية

الأُمَّة، بخطبه وحكمه ومواعظه ورسائله الفصيحة الشاملة لأدقّ المعاني وأمتنها، حتّى ضاهت بلاغته وفصاحته بلاغة وفصاحة العرب، وصار أمير الفصاحة والبلاغة، كما كان أمير الشجاعة والعلم والصبر والحزم والعبادة. وبلغت خطبه ﷺ إلى حدّ من البلاغة وحسن النظم حتّى قيل: إنّ كلامه ﷺ فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.

وقيّض الله - سبحانه - الكثير من العلماء ممّن جمع كلامه وخطبه ورسائله ومواعظه ﷺ، ودوّنها في كتب مستقلة، منهم: الشريف الرضي - رضوان الله عليه -، حيث كتب كتابه نهج البلاغة، اختار فيه من خطب أمير المؤمنين ﷺ وكلامه وحكمه ورسائله، حتّى أصبح نهج البلاغة ولا يكاد يجهله أحد، اختار فيه من كلامه ﷺ بما له ربط: بالتوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، ووصف القرآن والنبيّ وأهل البيت ﷺ والأحكام الشرعية، والمسائل الأخلاقية وصفات المتقين ووصف المنافقين والمنحرفين، وفنون الحرب وعجيب خلقه بعض الحيوانات.

وانتخبت من كلامه ﷺ في نهج البلاغة ما له صلة بالحج وبيت الله الحرام، وضبطته بالاعتماد على أقدم نسختين لنهج البلاغة وسائر النسخ الأخرى، وشرحت كلامه ﷺ شرحاً شافياً، مستعيناً بالشروح المعتمدة لنهج البلاغة.

نصّ الخطبة؛ منها:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لَتَوَاضَعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.

وَأَخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا



مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي
مَنْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.
جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا.
فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا • وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ذكر الشريف الرضي هذا المقطع في آخر الخطبة الأولى من كتابه الشريف
نهج البلاغة، واعتمدنا في نقل هذا المقطع من الخطبة على أقدم نسختين من كتاب
نهج البلاغة كتبنا في القرن الخامس الهجري:

الأولى: في المكتبة العامة لآية الله المرعشي رحمته الله، في قم، رقم ٣٨٢٧، كتبت
سنة ١٤٩٩ هـ، أو سنة ١٤٦٩ هـ، ويقع هذا المقطع من الخطبة في هذه النسخة في
الصفحة الثامنة والتاسعة.

الثانية: في مكتبة فخر الدين النصيري، في طهران، كتبت في القرن الخامس
الهجري، ويقع هذا المقطع من الخطبة في هذه النسخة في الصفحة السادسة.
كما ويقع هذا المقطع من الخطبة في الصفحة الثانية عشرة من نهج البلاغة،
طبعة مؤسسة نهج البلاغة في طهران سنة ١٤١٣ هـ، وفي الصفحة السابعة
والعشرين من نهج البلاغة بشرح الأستاذ محمد عبده طبعة مؤسسة الأعلمي في
بيروت، وفي الصفحة الثانية والعشرين من نهج البلاغة بشرح الدكتور صبحي
الصالح طبعة دار الأسوة في قم سنة ١٤١٥ هـ، وفي الجزء الأول من الصفحة المائة
والثالثة والعشرين من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي طبعة دار
إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٨ هـ، وفي الجزء الأول من الصفحة الخامسة
والثمانين من منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين سعيد بن هبة الله

الراوندي طبعة المكتبة العامة لآية الله المرعشي رحمته الله في قم سنة ١٤٠٦ هـ، وفي الجزء الأول من الصفحة المائتين والتاسعة والأربعين من كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب طبع مؤسسة الأعلمي في بيروت سنة ١٣٩٥ هـ، وفي الجزء الأول من الصفحة المائتين واثنين وعشرين من شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم البحراني طبعة مطبعة خدمات چاپي في طهران سنة ١٤٠٤ هـ، وفي الصفحة الثانية والثمانين من اختيار مصباح السالكين لكمال الدين ميثم البحراني طبعة مجمع البحوث الإسلامية في مشهد سنة ١٤٠٨ هـ، وفي الجزء التاسع من الصفحة الثلاثمائة واثنين عشرة من بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للشيخ محمد تقي التستري طبعة منشورات مكتبة الصدر في طهران سنة ١٣٩٠ هـ، وفي الجزء الحادي عشر من الصفحة الرابعة عشر من كتاب تفصيل وسائل الشيعة الحديث رقم ١٤١٢٧ طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام في قم سنة ١٤١١ هـ.

اختلاف النسخ:

ذكرنا فيما سبق من نقل نص الخطبة اعتمادنا على أقدم نسختين خطيتين من نهج البلاغة، وأشرنا إلى مواضع الخطبة في سائر الطبعات والشروح، وفي هذا الفصل نذكر الاختلافات الواردة بين نسخ نهج البلاغة وطبعاته المختلفة وشروحه، وإن كانت أكثر الاختلافات لا تمس بالمعنى ولا تغير مفاد الخطبة، نذكرها تنميماً للفائدة:

قوله: منها: في بعض النسخ: منها في ذكر الحج.

قوله عليه السلام: وفرض عليكم، في بعض النسخ: وفرض عليهم، وفي بعض

النسخ: وفرض الله عليكم حج بيته.



قوله ﷺ: حجّ بيته الحرام، في بعض النسخ لم يرد لفظ الحرام.
 قوله ﷺ: جعله سبحانه علامة، في بعض النسخ: وجعله سبحانه علامة.
 قوله ﷺ: يردونه، في بعض النسخ: الذي يردونه.
 قوله ﷺ: ويتبادرون عنده موعد مغفرته، في بعض النسخ: ويتبادرون
 عند مغفرته، وفي بعض النسخ: ويتبادرون عند موعد مغفرته.
 قوله ﷺ: جعله سبحانه، في بعض النسخ: جعله سبحانه وتعالى.
 قوله ﷺ: وللعائدين، في بعض النسخ: والعائدين.
 قوله ﷺ: فرض حجّه وأوجب حقّه، في بعض النسخ: فرض حقّه
 وأوجب حجّه.

رواية الخطبة:

روى هذه الخطبة الشريف الرضي في كتابه نهج البلاغة مرسلاً، من دون
 ذكر سنده وهذه طريقته في كل كتابه نهج البلاغة.
 وقال قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي في كتابه منهاج البراعة^(٢):
 وأما رواية الخطبة: فعن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي،
 عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن الشيخ المفيد أبي عبد الله الحارثي، أخبرنا أبو
 الحسن علي بن محمد الكاتب، أخبرنا الحسن بن علي الزعفراني، أخبرنا أبو
 إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي، أخبرنا أبو الوليد العباس بن بكار الضبي، حدّثنا
 أبو بكر الهذلي، عن الزهري وعيسى بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن أمير
 المؤمنين ﷺ.

ولو أردت ذكر ما حذفه الرضي من الخطبة لطال هذا الكتاب.
 أقول: يفهم من آخر كلامه أنّ الشريف الرضي لم يورد الخطبة الأولى التي

في آخرها هذا المقطع بأكملها، بل حذف منها شيئاً، ويفهم أيضاً أنّ ما حذفه الشريف الرضي من الخطبة ليس بالشيء اليسير. ولعلّ الشريف الرضي روى الخطبة من غير الطريق الذي رواه القطب الراوندي، فحدث باختلاف الطريق الزيادة والنقصان.

شرح الخطبة:

□ قوله ﷺ: وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ.
فرض الله الأحكام فرضاً: أوجبها، فهو ﷺ في كلامه هذا يشير إلى وجوب الحج على الخلق، وهو معلوم بالضرورة من الدين.
والحج: قصدُ بيت الله لزيارته مع مناسك خاصة.
وإضافة البيت إلى الله للتفضيل والتشريف والتخصيص، وإن كانت الدنيا وما فيها لله عزّ وجلّ.
والفريضة على قسمين: موقّنة بوقتٍ معيّن، وغير موقّنة؛ فإذا كانت الفريضة موقّنة دلّ اختصاصها بوقتٍ لها على فضلها وشرفها ونباهة حالها، يُستدعى من الموظّف عليها فضل جهده في إقامتها، ويكون ثوابها أعظم، فإنّ أفضل الأعمال أحمرها.
والحجّ من الفرائض الموقّنة بوقتٍ معيّن، ومعيّنة بمكانٍ مشخص، ممّا يستدعي من الموظّف عليها إقامتها في وقتها ومكانها، وذلك يتطلب مزيد جهده للاستعداد لها، وتحمل المشاق في إقامتها، فصارت فريضة الحج من الفرائض المهمّة في الإسلام، ويشيب الله مقيمها ما لا يشيبه في غيرها من الفرائض.
والحرّام، إمّا بمعنى المحرّم، كقوله تعالى: ﴿عند بيتك المحرّم﴾^(٣)، فإنّ العرب كانت تحرّم فيه ما تستحلّ في غيره من القتل والقتال؛ وإمّا بمعنى الحرم - كزمان



وزمن - لكونه أمناً لمن دخله ومانعاً له؛ وإمّا لأنه ذا حرمة واحترام يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن مكة محرمة بتحريم الله، لم تحل لأحد كان قبلي، ولم تحل لي إلا من ساعة من نهار إلى أن تقوم الساعة، لا يختلي خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفد صيدها...»^(٤).

□ قوله ﷺ: الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ.

جعل الله - سبحانه وتعالى - بيته الحرام الذي فرض حجّه قبله للأنام، فقال عزّ من قال: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾^(٥)، وهذا ممّا يزيد في شرف هذا البيت العظيم: بتوجّه المسلمين كافة أينما كانوا نحوه في صلواتهم وذبحهم وتوجيه أمواتهم، إلى غير ذلك ممّا يجب أو يستحب فيه استقبال القبلة، والقصد إليه لأداء مراسم الحج.

والقبلة: اسم للمكان المتوجّه إليه للصلاة وغيرها.

وإنما عبّر عن البيت الحرام بالقبلة؛ لأنّ المصلي يقابلها وتقابله، أو لأنّ الله - تعالى - يقبل صلاة من توجّه إليها.

وجعل الله - سبحانه - اختلاف القبلة سمات أهل الأديان، وأعلاماً يوقف بها على انتقال المصلي إلى نخلة لزمها من النحل، فقال عزّ من قائل: ﴿ولكلّ وجهة هو موليها﴾^(٦).

والأنام: الجنّ والإنس، وقيل: ما على وجه الأرض من جميع الخلق. وبناءً على التفسير الأول، يكون بيت الله الحرام قبلة للإنس والجنّ، أمّا الإنس فواضح، وأمّا الجنّ، فيدل كلامه ﷺ: جعله قبلة للأنام - بناءً على تفسير

الأنام بالجن والإنس - على أن بيت الله الحرام قبله للجن أيضاً، يتوجهون إليه حين عبادتهم، وإن كانت ماهية عبادتهم لنا مجهولة.

وبناءً على التفسير الثاني، يكون بيت الله الحرام قبله لجميع ما على وجه الأرض من الخلق، ومعلوم أن المخلوقات كلها تعبد خالقها، وإن كانت كيفية عبادتها مجهولة لنا، إلا أن المفهوم من قوله ﷺ: جعله قبله للأنام - بناءً على تفسير الأنام: ما على وجه الأرض من جميع الخلق - أن بيت الله الحرام قبله لجميع المخلوقات تتوجه إليه في عبادتها لربها وخالقها.

□ قوله ﷺ: يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ.

الورود: الموافاة، يقال: ورد البعير الماء يرده ورداً بلغه ووافاه من غير دخول، وقد يحصل دخول فيه، وأكثر ما يستعمل ورود الأنعام على الماء، فهذا تشبيه لطيف منه ﷺ لورود الأنام بيت الله الحرام، فكما ترد الأنعام بتلهف وظم واشتياق وازدحام لشرب الماء ومدافعة بعضهم بعضاً، يرد الأنام بيت الله الحرام وهم على أشد الشوق والتلهف لزيارة بيت ربهم، يزدحمون ويهرولون للوصول إلى بيت الله الحرام؛ ليعترفوا بذنوبهم لربهم فيغفرها لهم، ويتزودوا من العرفان لربهم، ويصوغوا أنفسهم صياغة ربانية، ويتذكروا إنسانيتهم التي نسوها من أمد بعيد!

والأنعام جمع نعم، أكثر ما يقع على الإبل، وقيل: النعم: الإبل خاصة، والأنعام: ذوات الخف والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم، وقيل غير ذلك.

وقيل: إن وجه الشبه بين الأنعام والأنعام: عدم اطلاع الخلق على أسرار الحج وعلى ما تشتمل عليه المناسك من الحكمة الإلهية، ولما كان العقل الذي به يتميز الإنسان عن الأنعام وسائر الحيوان معزولاً عن إدراك هذه الأسرار كاد أن



لا يكون بين الإنسان وبين مركوبه فرق في الورد إلى البيت!
وفي بعض الوجوه من هذا القيل بُعد.

وروي: أن الكعبة شكت إلى الله - تعالى - في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ،
فقلت: يا رب، ما لي قلّ زوّاري؟ فأوحى الله إليها: «إني منزلٌ نوراً جديداً على
قوم يحنون إليك كما تحنّ الأنعام إلى أولادها، ويُزفون إليك كما ترفّ النسوان إلى
أزواجهن»، يعني: أمة محمد ﷺ. (٧).

□ قوله ﷺ: وَيَأْلَهُونَ إِلَهَهُ وَلَوْهَ الْحَمَامِ.

قال الراوندي: ألّه يأله ألهاء: أي تحيّر، والأصل وله يوله ولهاً، وقال أبو
الهيثم: أصل الله إله، وأصله ولاه، فقلبت الواو همزةً، فالخلق يولهون إليه في
حوائجهم، ويفزعون إليه في كلّ ما ينوبهم (٨).

وقال ابن أبي الحديد: الوله: شدّ الوجد، حتى يكاد العقل يذهب، وله
الرجل يوله ولهاً. ومن روى: «يألهون إليه ولوه الحمام» فسّره بشيء آخر، وهو
يعكفون عليه عكوف الحمام، وأصله ألّه: عبد، ومنه الإله، أي: المعبود، ولما كان
العكوف على الشيء كالعبادة له لملازمته والانتقطاع إليه، قيل: ألّه فلان إلى كذا،
أي: عكف عليه كأنه يعبد. ولا يجوز أن يقال: «يألهون إليه» في هذا الموضع بمعنى
يولهون، وأن أصل الهمزة واو، كما فسّره الراوندي؛ لأنّ فعولاً لا يجوز أن يكون
مصدرًا من فعلت بالكسر، ولو كان يألهون هو يولهون، كان أصله ألّه بالكسر،
فلم يجوز أن يقول: «ولوه الحمام»، وأمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون
اللوله مصدرًا؛ لأنّ ألّه مفتوح، فصار كقولك: دخل دخولا (٩).

وقال التستري: قلت: أمّا ما قاله من أن معنى «يألهون إليه» أي: يعكفون
عليه، فخلط لفظاً ومعنى. أمّا لفظاً؛ فلأنه لم يقل أحد أن معنى ألّه عكف، بل عبد،

فإن قال: قلته كناية، ينعى إليه [في قوله: يألّهون إليه]، فلو كان عليه كان له وجه. وأما معنى، فلأنّ الناس لا يعكفون في مكة، وإنّما يشتاقون إلى زيارتها اشتياق الحمام إلى وكرها. وأما ما قاله: من أنّ فعولاً لا يكون مصدر فعل بالكسر، ووله بالكسر، فليس ذلك كلياً، بل إذا كان مضارعه يفعل بالفتح، وأما إذا كان يفعل بالكسر فيجوز، كما في قولك: وثق وثوقاً، وقد قال في القاموس: وله مثل ورث ووجل ووعد. وأما ما قاله من أنه إذا كان يألّهون مهموز الأصل، فيجوز أن يكون مصدره ولوهاً؛ لأنّ أله مفتوح، فيكون مثال: دخل دخولاً. ففيه: أنّ مصادر المجرد ليست بقياسية، ولم ينقل في اللغة كون مصدر أله: ألوهاً، بل الإلهه والوهه^(١٠).

والحمام عند العرب: كلّ ذي طوق من الفواخت والقماري والقطا والدواجن وأشباه ذلك، الواحدة حمامة، والعامّة تخصّ الحمام بالدواجن، وكان الكسائي يقول: الحمام هو البري واليام هو الذي يألف البيوت، وقال الأصمعي: اليام حمام الوحش، وهو ضرب من طير الصحراء.

وفي تشبيهه ﷺ ولوه الأنام بولوه الحمام عدّة وجوه: منها: إشارة إلى شوق الخلق في كلّ عام إلى ورود البيت كما يشتاق إليه الحمام الذي يسكنه عند خروجه.

ومنها: إشارة إلى أنّ الحمام كما يفرّغ إلى محله عند الخوف، فكذلك الأنام، فإنّ الحمام يظهر عليه أثر اللوذ بكثرة.

قالوا: ومن طبع الحمام أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثمّ هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

وقيل: حمام الحرم يلتجئ إليه إلهاماً من الله لها أنه المأمّن، ويقال: إنها من



نسل طير أباييل.

□ قوله ﷺ: جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ.

علامة لتواضعهم: أي دليلاً لتواضعهم، فإنّ المواقف والأعمال تدلّ على التواضع والخشوع.

وَمَنْ لابس عملاً لا يلائم صورة التكبر وينافي أعمال الجبابة: من الإقبال على حجر أصم بالتقيل، وعلى مواطن خالية من حوادث الاطماع بالإجلال، صار ذلك الفعل أتمّ رياضة على طرح الأنفة؛ فإنّ من أطاعته نفسه لوجه الله - تعالى - في توقير شيء، ظاهره لا ينفع ولا يؤذي ولا يعلم ولا يشكر، فهو إلى توقير مَنْ هو أعلى منه درجة من الأنبياء والملائكة أسرع.

□ قوله ﷺ: وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.

أذعن إذعاناً: انقاد ولم يستعص، وناقاة مذعان: منقادة.

والعزة: الغلبة، والعزیز من أسمائه سبحانه: الغالب الذي لا يُغلب. وإِنَّمَا جعله - سبحانه - علامةً لإذعانهم لعزّته؛ لأنّ العقل لما لم يكن ليهتدي إلى أسرار أعمال الحج، لم يكن الباعث عليها في أكثر الخلق إلا الأمر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط، وفيه كمال الرقّ وخلوص الانقياد لله، فمن فعل ما أمر به من إتيان بيت الله وأداء مناسك الحج، فهو المنقاد لعزّة الله، المخلص الذي ظهرت عليه علامات المخلص المتواضع المذعن لجلال الله ربّ العالمين.

وروي: أنّ ابن أبي العوجاء تلميذ الحسن البصري انحرف عن التوحيد، فقبل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة، فقال: إنّ

صاحبي كان مخطئاً، كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه، فقدم مكة متمرداً وإنكاراً على من يحج، وكان يكره العلماء مجالسته، لخبث لسانه وفساد ضميره، فأقَى أبا عبد الله عليه السلام، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال: يا أبا عبد الله، إن المجالس بالأمانات، ولا بد لكل من به سعال من أن يسعل، أفتأذن لي بالكلام؟ فقال: تكلم.

فقال: إلى كم تدوسون بهذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهولون حوله هرولة البعير إذا نفر، إن من فكر في هذا وقدّر علم أن هذا أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل، فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسّه وتمامه.

فقال عليه السلام: «إن من أضله الله وأعمى قلبه، واستوثم الحق ولم يستعذ به، فصار الشيطان وليه وربّه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا البيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام،...» (١١).

□ قوله عليه السلام: «وَأَخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ».

السَّمَاعُ جمع سامع - كسامر وسمار - وهم الحاج في قوله تعالى: ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (١٢). والضمير في قوله عليه السلام: «أَجَابُوا إِلَيْهِ» للبيت، وفي «دعوته» لله تعالى، أي أجابوا - قاصدين إلى البيت - دعوته تعالى.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عليهما السلام ببناء



البيت، وتمّ بناؤه، قعد إبراهيم على ركن ثم نادى: هلمّ الحجّ، فلو نادى: هلمّوا إلى الحجّ، لم يحجّ إلا من كان يومئذٍ إنسياً مخلوقاً، ولكنّه نادى: هلمّ الحجّ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبّيك داعي الله، لبّيك داعي الله عزّ وجلّ، فمن لبّى عشرّاً يحجّ عشرّاً، ومن لبّى خمساً يحجّ خمساً، ومن لبّى أكثر من ذلك، فبعدد ذلك، ومن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحجّ» (١٣).

□ قوله ﷺ: وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ.

إشارة إلى مطابقة أفعالهم، لما جاءت به الأنبياء من كلام الله سبحانه، وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم.

□ قوله ﷺ: وَوَقَّفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ.

في كلامه هذا ﷺ استدراج حسن للطباع اللطيفة المشوقة إلى لقاء الله، وجذب لها إلى هذه العبادة، بذكر التشبيه بالأنبياء. وإنما شبّه مواقفهم بمواقف الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء قد حجّوا بالبيت الحرام أيضاً، ووقفوا في تلك المواقف، فهي مواقف إبراهيم وإسماعيل وآدم والأنبياء ومحمد - صلوات الله عليهم -.

فروي عن أبي جعفر ﷺ: «كان طول سفينة نوح ... وطافت بالبيت، وسعت بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم استوت على الجودي» (١٤).

وروي: أنّ إبراهيم لما أذن في الناس بالحجّ، حجّ هو وأهله وولده (١٥).
وروي عن أبي عبد الله ﷺ: «لما أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة، فقالت: يا آدم، برّ حجّك، أما إنّنا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بالفي عام» (١٦).

وروي: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن البيت: أكان يحجّ قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: «نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب عليه السلام حين قال لموسى عليه السلام حيث تزوّج: ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾^(١٧)، ولم يقل: ثماني سنين، وأنّ آدم ونوح عليهما السلام حجّا، وسليمان بن داود قد حجّ البيت بالجنّ والإنس والطير والريح، وحجّ موسى على جمل أحمر، يقول: لبيك لبيك، وأنّه كما قال الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١٨)»^(١٩).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «مرّ موسى النبي عليه السلام بصفاح الروحاء على جمل... وهو يقول: لبيك يا كريم لبيك. قال: ومرّ يونس بن متى بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام لبيك. قال: ومرّ عيسى بن مريم بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك عبدك ابن أمتك. ومرّ محمد صلى الله عليه وآله بصفاح الروحاء وهو يقول: لبيك ذا المعارج لبيك»^(٢٠).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام: مرّ موسى بن عمران عليه السلام في سبعين نبياً على فجاج الروحاء... يقول: لبيك عبدك ابن عبدك»^(٢١).

□ قوله عليه السلام: وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَةِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ.

«الملائكة المطيفين بالعرش»: هم الكروبيون، وهم أشراف الملائكة وعظماؤهم.

والمطيف هاهنا: بمعنى الطائف، والمطيف أيضاً: الملمّ النازل بقوم، وطاف بالبيت طَوْفاً: أي دار حوله، وحقيقة أطاف: أنّ المطيف، هو الذي يطيف نفسه كأنه فرعها لذلك، فهو بكلّيته مشغول به من أفعال القلوب وأفعال الجوارح.

والتشبه بالملائكة من طريق الأفعال التي هي عبادة الله تعالى، والتزّه عن الرّفث والفسوق والمجدال وقضاء الشهوات في الإحرام، فمن أعرّض عن قضاء



الشهوات وهو مقبل على عبادة الله تشبّه بالملائكة، فإنّ الملائكة يسبّحون الليل والنهار لا يفترون ولا يقضون شهوة.

ويحتمل أن يكون التشبّه بالملائكة من حيث قال تعالى: ﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش﴾^(٢٢)، وكذلك الحجاج حول الكعبة.

ويحتمل أن يكون التشبّه بالملائكة إشارة إلى أنّ البيت المعمور بإزاء الكعبة في السماء، وأنّ طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة وإحداقهم بالبيت المعمور والعرش، فهم متشبهون بالملائكة في الطواف من طريق التعبد، والغاية أن يترقّى من أخذ العناية بيده من هذا الطواف إلى أن يصير من الطائفين بالعرش والبيت المعمور.

واعلم، أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب، كما أنّ الإنسان الظاهر في هذا العالم مثال للإنسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب، وأنّ عالم الشهادة مرقاة ومدرج إلى عالم الغيب لمن فتح له باب الرحمة، وأنّ أولياء الله المقربين لما يطوفون حول بيت الله الحرام ناظرون في طوافهم الطواف حول البيت المعمور الذي هو بإزاء الكعبة، متشبهون بطواف الملائكة حول البيت المعمور والعرش بحسب الإمكان، وعدّوا بأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم، وكثيراً ما يزداد ذلك التشبّه إلى أن يصير المتشبه في قوّة التشبّه به.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام: «علّة الطواف بالبيت: أنّ الله قال للملائكة:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

الدماء...﴾^(٢٣)، فردّوا على الله، فندموا، فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله

أن يتعبد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى

الضراح، ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثمّ

وضع البيت بجذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم ﷺ فطاف به فتاب عليه، وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة» (٢٤).

وروي أيضاً عن الإمام الصادق ﷺ: «لَمَّا أَفَاضَ آدَمُ مِنْ مَنَى تَلَقَّتهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: يَا آدَمُ بَرِّ حَجَّكَ، أَمَا إِنَّا قَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تَحْجَّهَ بِأَلْفِي عَامٍ» (٢٥).

□ قوله ﷺ: يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ.

الحرز: المكان الذي يحفظ فيه، واحرزت المتاع: جعلته في الحرز، واحرزت الشيء إحرازاً، ضممته، أحرز قصب السبق: إذا سبق إليها فضمها دون غيره.

والأرباح: جمع ربح، والمراد به هاهنا: الثواب.

والمتجر: محل التجارة، ومواقف الحج في مكة وحواليها متجر يحصل الإنسان فيها على الثواب؛ لأنها متجر العبادة والطاعة، لا المال والمادة. فقد استعار ﷺ لفظ المتجر للحركات في العبادة، ولفظ الأرباح لثمرتها في الآخرة من كرامة الله.

وقد ذكر ﷺ هاهنا الربح استدراجاً لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون إليه من حب الأرباح في الحركات، ليشتاقوا فيعبدوا، وإلا فهو ﷺ قسم العبادة إلى ثلاثة أقسام، وعد هذه العبادة عبادة التجار، وأحسن للعبد إذا نظر في عبادته إلى أن الله هو أهل للعبادة، فيحذف جميع الأغراض والخواطر عن درجة الاعتبار، ويجعلها خالصة لوجهه تعالى؛ لأنه هو.

□ قوله ﷺ: وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.



المبادرة: المسارعة والمسابقة، أي: يسابق بعض الحجاج بعضاً.
وقوله عليه السلام: «عند موعد مغفرته»، أي: عند المحل الذي وعد الله الغفران فيه.

والتبادر إنما هو بالأعمال الصالحة، كما قال الله سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ ^(٢٦)، كأن من يعمل أكثر يكون أكثر مسارعةً لتحصيل المغفرة والمثوبة.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنما أمروا بالحج لعلّ الوفاة إلى الله - عز وجل -، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحرّ والبرد، ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل...» ^(٢٧).

□ قوله عليه السلام: جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلَامِ عِلْماً.

ولما كان الإسلام وأحكامه هو الطريق إلى الله سبحانه، استعار لفظ العلم للحج بالنسبة إليه؛ لأنّ به يكون سلوك طريق الله والصرائط المستقيم، كالأعلام التي تخفق للعسكر فيأوي إليها الجيش والمارة على مقاصدهم. ويحتمل أن يكون المراد بالعلم: الجبل، فهو كالجبل الأشم الذي يلود بكنفه الناس من الحرّ والبرد وسائر المخاوف.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة» ^(٢٨).

□ قوله عليه السلام: وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا.

«العائدين» جمع عائذ: وهو المستجير.

وقوله ﷺ: حرماً أي محلّ أمن وسلامة، حتى إنّ الولي للدم لا يتمكن من أن ينال المجرم بسوء وهو عائذ بالحرم، فمن دخل من الناس الحرم مستجيراً به فهو آمن، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

□ قوله ﷺ: فَرَضَ حَجَّهُ.

فرض: أي أوجب.

والحج مستجمع لعبادة النفس، وعبادة المال، وعبادة البدن، وهو الطهور الأكبر، والنسك الأعظم، وبه يفارق المسلم أهل الملل، ولذلك قال ﷺ: «مَنْ مات ولم يحجّ حجة الإسلام فليمت على أيّ حال: إن شاء يهودياً، أو نصرانياً». وروي عن أبي جعفر ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية» الحديث (٢٩).

□ قوله ﷺ: وَأَوْجَبَ حَقَّهُ.

أي: حق البيت بالحج والاحترام.

روي عن الإمام السجاد ﷺ: «وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك».

□ قوله ﷺ: وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ.

كتب: فرض وألزم.



والوفادة: الزيادة، والقُدوم للاسترفاد والانتفاع، ولفظه مستعار للحج؛ لأنَّه قدوم إلى بيت الله طلباً لفضله وثوابه.

□ قوله ﷺ: فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا • وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٠).

استدلَّ ﷺ بهذه الآية على وجوب الحج، حيث قال ﷺ: «فرض حجّه وأوجب حقّه وكتب عليكم وفادته».

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، أي: حقُّ الله على الناس أن يحجّوا بيته.

وقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أي: تمكّن من المسير إليه بالزاد والراحلة والنفقة وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، فجعل من لم يحجّ وهو مستطيع كافراً، وأنه لا يضرّ الله، وإنّما يضرّ نفسه، لأنّ الله - سبحانه - غنيٌّ عن العالمين، والمراد بالكفر هنا إمّا مطلق الكفر، فتجري على من عرف وجوب الحجّ وهو مستطيع ولم يحجّ طغياناً أحكام الكفار؛ أو الكفر العملي لا مطلق الكفر.

فروي عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «من مات ولم يحجّ حجة الإسلام، لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحج، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً» (٣١).

وروي عن الإمام الكاظم ﷺ حين سئل عن هذه الآية، وأن من لم يحجّ فقد كفر، فقال ﷺ: «لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر» (٣٢).

وقبل هذه الآية: ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةً مَبَارَكاً وَهَدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً﴾.

مصادر البحث:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الدكتور صبحي الصالح، دار الأسوة، قم، ١٤١٥ هـ.
- ٣ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، نسخة مخطوطة، رقم ٣٨٢٧، في المكتبة العامة لآية الله المرعشي، قم.
- ٤ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الأستاذ محمد عبده، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٥ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، نسخة مخطوطة، في مكتبة فخر الدين النصيري، طهران.
- ٦ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة، طهران، ١٤١٣ هـ.
- ٧ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ.
- ٨ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، المكتبة العامة لآية الله المرعشي، قم، ١٤٠٦ هـ.
- ٩ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
- ١٠ - معارج نهج البلاغة، ظهير الدين علي بن زيد البيهقي فريد خراسان،



- المكتبة العامة لآية الله المرعشي، قم، ١٤٠٩ هـ.
- ١١ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الهجرة، قم، ١٤١٤ هـ.
- ١٢ - شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، مطبعة خدمات چاپي، ١٤٠٤ هـ.
- ١٣ - بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٩٠ هـ.
- ١٤ - نهج البلاغة (نسخة المعجم المفهرس)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤٠٨ هـ.
- ١٥ - المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، إدريس كريم محمد، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨ هـ.
- ١٦ - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، كاظم محمدي ومحمد دشقي، دار الأضواء، بيروت.
- ١٧ - اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨ هـ.
- ١٨ - توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني، دار تراث الشيعة، طهران.
- ١٩ - تفصيل وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، قم، ١٤١١ هـ.
- ٢٠ - مستدرك الوسائل، الحاج ميرزا حسين النوري، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، قم، ١٤٠٧ هـ.

الهوامش :

(١) آل عمران : ٩٧.

(٢) منهاج البراعة ١: ١٠٧-١٠٩.

- (٣) إبراهيم: ٣٧.
- (٤) الوسائل ١٢: ٤٠٦ ح ١٦٦٣٤.
- (٥) البقرة: ١٤٤.
- (٦) البقرة: ١٤٨.
- (٧) الوسائل ١١: ٢٢ ح ١٤١٤٣.
- (٨) منهاج البراعة ١: ١٠٦.
- (٩) شرح نهج البلاغة ١: ١٢٣.
- (١٠) بهج الصباغة ٩: ٣١٤-٣١٥.
- (١١) الكافي ٤: ١٩٨ ح ١.
- (١٢) الحج: ٢٧.
- (١٣) الوسائل ١١: ١٠ ح ١٤١١٥.
- (١٤) الوسائل ١١: ٨ ح ١٤١١٠.
- (١٥) الوسائل ١١: ٨ ح ١٤١١٠.
- (١٦) الوسائل ١١: ٩ ح ١٤١١٢.
- (١٧) القصص: ٢٧.
- (١٨) آل عمران: ٩٦.
- (١٩) مستدرك الوسائل ٨: ٩ ح ٨٩٢٢.
- (٢٠) الوسائل ١٢: ٣٨٥ ح ١٦٥٧٣.
- (٢١) الوسائل ١٢: ٣٨٥ ح ١٦٥٧٤.
- (٢٢) الزمر: ٧٥.
- (٢٣) البقرة: ٣٠.
- (٢٤) الوسائل ١٣: ٢٩٦ ح ١٧٧٨٨.
- (٢٥) الوسائل ١١: ٩ ح ١٤١١٢.
- (٢٦) آل عمران: ١٣٣.
- (٢٧) الوسائل ١١: ١٣ ح ١٤١٢١.
- (٢٨) الوسائل ١١: ٢١ ح ١٤١٤٢.
- (٢٩) الوسائل ١: ١٣ ح ١.
- (٣٠) آل عمران: ٩٧.
- (٣١) الوسائل ١١: ٢٩ ح ١٤١٦٢.
- (٣٢) الوسائل ١١: ١٦ ح ٤١٢٨.

أسرار الحج

في حوار بين الإمام زين العابدين عليه السلام والشبلي

محمد علي مقدادي

المقدمة:

لأهل بيت النبوة والعصمة - الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً - روايات كثيرة ومواقف مملوءة بالمعارف الجليلة تخص فريضة الحج ومناسكه، التي هي ركن من أركان الدين الإسلامي الحنيف، كما هو في الخبر الصحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه وعبد الله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية...»^(١).

وذكر مثل هذا الخبر في صحاح أهل السنة وكتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبألفاظ مختلفة، منها ما قاله الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(٢).

وبهذا وبغيره فإن ركنية الحج ثابتة عند جميع المذاهب الإسلامية وبالتالي فقد حظي هذا الركن بأهمية بالغة وعظيمة - سواء في أحكامه ومناسكه أم في معارفه ومعنوياته وآثاره - على النفوس المؤمنة، ولذا فإن من أراد الحج والعمرة لابد له من أن لا يكتفي بمعرفة أحكامه ومناسكه ومواقفه وكيفية أدائه فحسب، بل ينبغي له التعرف على ما يترتب على تلك المناسك من التزامات روحية وأخلاقية لنفسه وللآخرين وعندئذ سيكون الحج مظهراً يجسد الإيمان عبادةً وعملاً وقولاً، وصورة رائعة من صور الجمال الروحي ترافق الحاج منذ اللحظات الأولى لهذه الفريضة المباركة وعند عودته إلى وطنه وأهله.

كم هي عبادة جميلة تلك التي تترك آثارها على الإنسان؛ على إيمانه بالله تعالى، وعلى سلوكه وتعامله مع الناس!

حقاً، إن فريضة الحج ولادة جديدة للإنسان، إذا استطاع أن يعيش آثارها ومعانيها، وإذا فتح قلبه لاستقبال أنوارها^(٣).

إن الإمام زين العابدين عليه السلام بين للشبلي* مفاهيم الحج العالية؛ والآن نحن جميعاً - لا الشبلي وحده - بين يدي الإمام عليه السلام:

(*) مع أنني بذلت جهدي فيما تيسر لي من مصادر، لم أعثر فيها على ترجمة مناسبة للشبلي هذا، وعلى ذلك فأعتقد أنه من المجاهيل، لم يذكر في كتب رجال الحديث وتراجمهم عند الفريقين. وكل ما وجدته في خلال تتبعي هو شخص آخر يدعى أبو بكر الشبلي البغدادي واسمه دُلف بن جحدر وقيل: جعفر بن يونس وقيل: جعفر بن دُلف الذي توفي ببغداد سنة ٣٣٤ عن ثمانين سنة. أنظر:

١- الغدير ١١: ١٤٩.

٢- سير أعلام النبلاء ١٥: ٣٦٧.

٣- العبر ٢: ٥٠.

٤- مستدرك سفينة البحار ٥: ٣١٦.

ولهذا نكتفي بذكر هذه الرواية هنا لعلّ مضامينها ولما فيها من دروس نافعة وعبر وهي تبين لنا جانباً كبيراً من أسرار هذه الفريضة المقدسة والرحلة المباركة.



لَمَّا رَجَعَ مَوْلَانَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَلَبَسْتَ ثَوْبَ الطَّاعَةِ؟».
 قَالَ: لَا.
 قَالَ ﷺ: «فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ، نَوَيْتَ أَنَّكَ تَجَرَّدْتَ مِنَ الرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ وَالِدُخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟».
 قَالَ: لَا.
 قَالَ ﷺ: «فَحِينَ اغْتَسَلْتَ نَوَيْتَ أَنْتَ أَنْ تَغْتَسِلَ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؟».
 قَالَ: لَا.
 قَالَ ﷺ: «فَحِينَ نَزَلَتْ الْمِيقَاتُ، وَلَا نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ، تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، وَلَا

فَقَالَ ﷺ: «حُجَّجْتَ يَا شَبْلِي؟».
 قَالَ: نَعَمْ، يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ.
 فَقَالَ ﷺ: «أَنْزَلْتُ الْمِيقَاتُ وَتَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ وَاغْتَسَلْتَ؟».
 قَالَ: نَعَمْ.
 قَالَ ﷺ: «فَحِينَ نَزَلَتْ الْمِيقَاتُ نَوَيْتَ أَنْتَ أَنْ تَغْتَسِلَ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؟».
 قَالَ: لَا.
 قَالَ ﷺ: «فَحِينَ نَزَلَتْ الْمِيقَاتُ، وَلَا نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ، تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، وَلَا

اغتسلت!». قال ﷺ: «فحين دخلت

ثم قال ﷺ: «تنظّفت، وأحرمت الميقات، نويت أنك بنيتة الزيارة؟».

وعقدت بالحج؟». قال: لا.

قال: نعم. قال ﷺ: «فحين صلّيت

الركعتين، نويت أنك تقرّبت إلى الله بخير

وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات

تنظّفت بنورة (٤) التوبة الخالصة لله

تعالى؟». قال: لا.

قال ﷺ: «فحين لبّيت، نويت

أنتك حرّمت على نفسك كلّ محرّم حرّمه

الله عزّ وجلّ؟». قال: لا.

قال له ﷺ: «ما دخلت الميقات،

ولا صلّيت، ولا لبّيت؟».

ثم قال له ﷺ: «أدخلت الحرم

ورأيت الكعبة وصلّيت؟».

قال: نعم. قال ﷺ: «فحين دخلت الحرم،

نويت أنك حرّمت على نفسك كلّ غيبة

تستغيها المسلمون من أهل ملّة

الإسلام؟». قال: لا.

قال له ﷺ: «أدخلت الميقات

وصلّيت ركعتي الإحرام ولبّيت؟».

قال: نعم.



قال ﷺ: «فحين وصلت مكة، نويت بقلبك أنك قصدت الله؟». مسكين! لا تضيع أجر ما عظم حرمة، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الآثام». قال: لا.

قال ﷺ: «فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت!». ثم قال ﷺ: «نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم ﷺ، أنك وقفت على كل طاعة، وتخلّفت عن كل معصية؟». قال: لا.

قال: نعم. قال ﷺ: «فحين صليت فيه ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم ﷺ، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟». قال: لا.

قال ﷺ: «فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعت!». ثم قال له ﷺ: «صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم ﷺ، وصليت به ركعتين؟». قال: نعم.

فصاح ﷺ صيحة كاد يفارق الدنيا ثم قال: «آه آه». ثم قال ﷺ: «من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا

قال له ﷺ: «فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه ركعتين!». ثم قال ﷺ له: «أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟». قال: نعم.

قال ﷺ: «نويت^(٥) أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟». قال: لا.

قال ﷺ: «فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها!».	وادي غرة، ودعوت الله - سبحانه - عند الميل والجمرات؟».
ثم قال له ﷺ: «أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما؟».	قال: نعم.
قال له ﷺ: «نويت أنك بين الرجاء والخوف؟».	قال: لا.
قال ﷺ: «فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة!».	قال ﷺ: «نويت بطلوعك جبل الرحمة، أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، ويتولى كل مسلم ومسلمة؟».
ثم قال ﷺ: «أخرجت إلى منى؟».	قال: لا.
قال: نعم.	قال ﷺ: «فنويت عند غرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تنزجر حتى تنزجر؟».
قال ﷺ: «نويت أنك آمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟».	قال: لا.
قال: لا.	قال ﷺ: «فعندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السموات؟».
قال ﷺ: «فما خرجت إلى منى!».	قال: لا.
(ثم) قال له ﷺ: «أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت	



قال ﷺ: «فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت غمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات!».	وثبت كل علم وعمل؟». قال: لا.
ثم قال ﷺ: «مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟».	قال ﷺ: «فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟». قال: لا.
قال: نعم.	قال ﷺ: «فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام؟».
قال ﷺ: «فحين صليت ركعتين، نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كل عسر، وتيسر كل يسر؟».	ثم قال له ﷺ: «وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟».
قال: لا.	قال: نعم.
قال ﷺ: «فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنها يميناً وشمالاً، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً لا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟».	قال ﷺ: «فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى ربك لك كل حاجتك؟».
قال: لا.	قال: لا.
قال ﷺ: «فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل،	

قال ﷺ: «فعندما رميت الجمار، نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبه بتمام حجك النفيس؟». قال: لا.

مكة وطفط طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله - تعالى - ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بودّه، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟». قال: لا.

قال ﷺ: «فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعه بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟». قال: لا.

قال له زين العابدين ﷺ: «فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أديت (٧) نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، إرجع فإنك لم تحج!».

قال ﷺ: «فعندما صليت في مسجد الخيف، نويت أنك لا تخاف إلا الله - عز وجل - وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟». قال: لا.

فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين، انتهى (٨).

قال ﷺ: «فعندما ذبحت هديك، نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنت أتبع سنته إبراهيم ﷺ بذبح ولده وثمره فؤاده وريحان قلبه، وحاجه (٦) سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلقه؟». قال: لا.

قال ﷺ: «فعندما رجعت إلى



الهوامش :

- (١) راجع: الأصول من الكافي ٢ : ١٨ ، دار الكتب الإسلامية، طهران؛ وسائل الشيعة ١ : ١٣ أبواب مقدمة العبادات، الباب ١، الحديث ٢، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- (٢) راجع: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ١ : ١٧٧، دار الفكر؛ كنز العمال ١ : ٢٨، الحديث ٢٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (٣) هكذا في رواية نقلها العلامة المجلسي رحمته الله: «لا يزال على الحاج نور الحج ما لم يذنب». بحار الأنوار ٩٦ : ١٠، مؤسسة الوفاء، بيروت.
- (٤) في نسخة: بنور.
- (٥) في نسخة: أنويت.
- (٦) كذا في المخطوط، والظاهر أن صوابه «وأحييت».
- (٧) في نسخة: ذبحت.
- (٨) مستدرک الوسائل ١٠ : ١٦٦-١٧٢ نقلاً عن كتاب شرح النخبة.

المنسك الكبير

تأليف الشيخ السعيد الشهيد محمد بن مكّي، شمس الدين، العاملي
تحقيق: محمد الإسلامي اليزدي

الشهيد الأول في سطور

عبدالله محمد بن مكّي العاملي، الملقّب
بـ«شمس الدين» والمشهور بـ«الشهيد
الأول».

ولادته - واستشهاده:

وُلد باتّفاق المؤرخين في سنة
(٧٣٤) للهجرة النبوية^(١).

شخصيته العلمية:

إنّ من الصعب محاولة استيعاب
شخصيّة الشهيد العلميّة، حيث إنّ أكبر
فقهاء الشيعة على مرّ التاريخ، ولا تزال
آثاره القيّمة مطرحةً للأنظار، ومنازلاً
للاستفادة في الحوزات العلمية، صار
البعض منها مادّة دراسية لا يستغني
عنها طلاب العلم وعلماء الحوزة.

واستشهدَ مظلوماً يوم الخميس
تاسع جمادى الأولى عام (٧٨٦)
بدمشق، بعد ما حُبِسَ مدة سنة قدس
الله نفسه الزكيّة.

اسمه ولقبه ونسبه:

هو: الشيخ الشهيد السعيد أبو

مرتکز آرائهم، وشهرته في الفقه والأصول أظهر من أن تخفى، فلا أُطيل الثناء فأكون «كناقل التمر إلى هجر»^(٨). هذا، وغلب الجانب الفقهي على ثقافة شيخنا الشهيد، فكل من ترجم الشهيد ذكره بالفقه والفقاهة.

فهو: «الفقيه» على الإطلاق^(٩) و «الفقيه البارع»، والشيخ^(١٠) «الفقيه»، «فقيه» أهل البيت في زمانه^(١١)، و «علم الفقهاء»^(١٢)، وكان «فقيهاً مجتهداً»^(١٣)، و «فقيهاً محدثاً»^(١٤) و «أفقه» جميع «فقهاء» الآفاق^(١٥)، وأستاذ «فقهاء» الأئام^(١٦)، و «أفقه الفقهاء»، ووصف بأنه: «فقيه عظيم»^(١٧).

الرسالتان (المنسك الكبير والمنسك الصغير):

قد ذكر الشهيد في إجازته لابن نجدة سنة (٧٧٠ هـ) «خلاصة الاعتبار» بقوله: «فما سمعه علي من مصنفاتي كتاب ... خلاصة الاعتبار في

ترجم الشهيد الأول في أكثر مصادر الترجمة وقد عدّ فضيلة المحقق الشيخ رضا مختاري (٥٧) مصدراً منها^(٢). وإليك نموذجاً مما ورد في كلمات الأعلام في حقّه.

قال شيخه فخر الدين في إجازته له عام «٧٥٩»: أفضل علماء العالم^(٣). وقال شيخه الكرمانى القرشي في إجازته له عام (٧٥٨): صاحب الفضلين^(٤).

وقال شيخه عبد الصمد شيخ دار الحديث ببغداد في إجازته له: الفقيه البارع الورع^(٥).

وقال المحقق الكركي في وصفه: عَلمُ الفقهاء، أفضل المتقدمين والمتأخرين، مُهذّب المذهب، فقيه أهل البيت^(٦).

وقال العلامة السيّد الأمين: من مفاخر الشيعة، يضرب المثل بفقاہته^(٧).

وقال العلامة الأميني: لم يزل فقهه مُستقى علماء الإمامية في نظرياتهم، وكتبه مرجع فقهاءهم، وأنظاره العلمية

- الحجّ والاعتبار»^(١٨).
 ١ - أنّ النسخة التي تقدّمها أولاً
 وذكر الشهيد رسالة في الحجّ في
 إجازته لابن الخازن سنة (٧٨٤ هـ)
 حيث قال وهو يعدّ مؤلفاته: «ومن ذلك
 رسالة تشتمل على مناسك الحجّ
 مختصرة جامعة»^(١٩).
 وأشار إلى الرسالة أيضاً في كتابه
 «غاية المراد» حيث قال:
 وقد كنتُ ذكرتُ في رسالة: «أنّ
 الإحرام هو توطين النفس على ترك
 المنهيات المعهودة إلى أن ياتي
 بالمناسك»^(٢٠).
 وهذا المطلب موجود في رسالتنا
 هذه^(٢١).
 ونسبت رسالتان إلى الشهيد
 الأوّل في موضوع مناسك الحجّ في
 فهارس النسخ المخطوطة، وقد جاء
 التعبير عن إحداهما بالمنسك الكبير،
 وعن الأخرى بالمنسك الصغير. وذكر
 للشهيد كتاب باسم خلاصة الاعتبار
 في الحجّ والاعتبار.
 وبعد مراجعتنا للنسخ وجدنا:
 ٢ - وجدنا في النسخة الكبيرة
 إجازة السيد إبراهيم الحسيني البحراني،
 وقد ذكر فيها «أنها... قراءةً وبحثاً...
 وكذا منسك الشيخ الشهيد - الصغير»
 وهذا يدل على أنّ هذه النسخة هي
 المنسك الكبير.
 ٣ - وجدنا في نفس المجموعة
 نصّ المنسك الصغير، وهو مطابق
 للنسخة التي كانت عند السيد الأمين،
 وأثبتها كلّها في كتاب معادن
 الجواهر^(٢٢).
 وقد ذكر العلامة الطهراني تحت
 عنوان «خلاصة الاعتبار» مواضع
 النسخ ومنها نسخة الأمين^(٢٣) مما يدلّ
 على اعتقاده، بأنّ «المنسك الصغير» هو
 «خلاصة الاعتبار».
 ٤ - ذكر الاستاذ السيد حسين
 المدرسي في مؤلفات الشهيد «المنسك
 الكبير» وأرشد إلى نسخة مكتبة



صفحة. وكاتبها: يحيى بن حسين بن حسن بن ناصر سلمابادي سنة ٩٠٨ هـ والنسخة جاء في آخرها تاريخ تأليف الشهيد الأول للرسالة، وأنها كتبت بالحلة شهر شوال سنة خمس وستين وسبعمائة.

وهي نسخة قيّمة، حسنة الخط، صحيحة، وعليها تعليقات، ورمزنا لها بـ«ك».

٢ - نسخة مكتبة السيد آية الله المرعشي (ره) بقم. ضمن مجموعة برقم (٣٣٠٧) من صفحته ٣٦ - ١٣٨. وجاء في آخرها كتب بالحلة في شهر شوال سنة خمس وستين وسبعمائة. هذا آخر كلام المصنف.

وكاتب المجموعة هو «محمد بن حسن بن أحمد بن فرج بن أحمد بن حسن بن مبارك الأوالي السهلاولي، كتبها في السنوات (٩٤٢-٩٤٧ هـ) وعلى هامش آخر صفحة من بعض رسائل المجموعة بلاغ هذا نصه: «بلغ قراءة وفقه الله».

ملك^(٢٤)، وهي من النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الرسالة الكبيرة؛ وذكر «خلاصة الاعتبار» وأرشد إلى نسختين في مجلس سنا ومكتبة المحيط طهران^(٢٥).

وقد جاء في نهاية نسخة ملك برقم (٢١٤٧/١٤) التي اعتمدناها ما نصه: «ويتلوه المنسك الصغير للشهيد». وقد راجعنا نسخة المجلس فوجدناها مطابقة للمنسك الصغير.

فَتَحْصُلُ أَنَّ لِلشَّهِيدِ الأوَّلِ منسكاً كبيراً وهو ما نقدمه في هذا العدد، وآخر منسكاً صغيراً وهو المسمّى بـ«خلاصة الاعتبار» وهو ما نقدمه ثانياً.

النسخ المعتمدة

وجدنا للرسالة الكبيرة ثلاث نسخ:

١ - نسخة مكتبة ملك العامة طهران: في مجموعة برقم (٢١٤٧/١٤) ذكرت باسم «المنسك الكبير» في ١٦

وفي هامش نهاية رسالتنا هذه وإجازة كتبها شيخ كاتب النسخة له، بعد إنهاؤه قراءتها عليه، مع مجموعة من الكتب، جاء اسمها في الإجازة:

والمجيز هو: السيّد إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله الحسيني الأولي. وهذا نصّها:

«أنهاه أيدّه الله - وهو الشيخ الفاضل العالم العامل، عمدة الأصحاب الأجلاء، الشيخ الأعظم والولد الأعزّ الأكرم: محمد بن حسن بن أحمد بن فرج، أدام توفيقه [في] الدنيا والآخرة، بمحمد [وآله] الطاهرين، قراءة وبجثاً.

وكذا قرأ علي «منسك» شيخنا الشيخ العلامة علي بن عبد العالي قدس الله روحه ونور ضريحه.

وقد أجزت له العمل بهما، وقراءتهما وكذا «منسك» الشهيد الصغير» لمن شاء وأحب وأراد، محتاطاً لي ولشيخي.

وكتب العبد الأقل إبراهيم بن إسماعيل الحسيني، غفر الله له ولوالديه،

ولجميع المؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

وكذا حاشية الشيخ علي بن عبد العالي على الألفية، الكبيرة، على النهج المتقدّم، بالله التوفيق»

وهذه النسخة المرعشية، من أتمّ النسخ وأضبطها وأصحّها، ورمزنا لها بـ«ن» والحمد لله على توفيقه.

٣ - نسخة مكتبة فخر الدين النصيري الخاصّة.

جاء في آخرها: «تمّ منسك» الشيخ الفاضل الكامل الأجلّ محمّد بن مكّي وهو الشهيد الأوّل تغمده الله بغفرانه وأسكنه أعلى جنانه - على يد العبد الضعيف المذنب، الراجي رحمة ربه الغنيّ، محمّد بن فتح الله البسطامي - عفي عنهما يوم الخميس تاسع شهر رمضان المبارك سنة (١٠٠٦)، ألف وست) بدار السلطنة قزوين» ورمزنا لها بـ«ص».

العمل في الرسالة:

سعيّاً في تقديم نسخة محقّقة قمتنا



- بما يلي بعد هذه المقدمة:
- ١ - مقابلة النسخ الموجودة التي لتوجيهه وإشرافه على العمل، وذكرناها.
- ٢ - انتخاب النصّ المضبوط. المحقق الشيخ رضا مختاري لتقديمه
- ٣ - تنقيط النصّ وتقطيعه. صورة من نسخة مكتبة النصيري.
- ٤ - تعيين مواضع الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث الشريفة من المصادر.
- ٥ - وضع الفهارس. وتصويرها، وفقهم الله جميعاً لخدمة العلم والعلماء والتراث الإسلامي المجيد.
- ونشكر مسؤولي مكتبة مَلِك ومكتبة السيد آية الله المرعشي قده، لتسهيلهم أمر مراجعة النسخ المخطوطة،

المنسك الكبير

الله أحمدُ على جميع فرائضه وسُننه، وإيَّاه أشكر على حسن توفيقه ومنه، وأسأله المزيد من فضله في سرّه وعلنه، والإعانة على الإبانة لمناسك حجّ بيته الحرام، وإنجاز خلاصة محتومها بأوجز كلام.

وأصلي على سيّدنا محمد، الداعي إلى الإيمان، الهادي لصراط الرحمان، وآله المقتفين هديّه ورشدّه، والمجتهدين صدّره، ووُزّده.

وبعد: فهذه «الرسالة» في فرض الحجّ والعمرة، مجردة عن دليل، وهي مبنية على مقدّمة، ومقالتين، وتكميل.

فالمقدمة في حدّه، وغايته، ونُبذ من الترغيب فيه.

والمقالة الأولى في أفعال عمرة التمتع، والإفراد.

والمقالة الثانية في أفعال الحجّ.
والتكميل في زيارة البشير النذير، وأهل بيته المخصوصين بالتطهير.
كمال الحجّ أن تقف المطايا على ليلى وتقرئها السلام (٢٦)

أما المقدمة

فالحجّ لغة: القصدُ المطلق.
ويُطلق على الغلبة، ومنه الحجّة (٢٧).
ومن الأوّل الحجّة؛ لأنّها طريق القصد، وربما رجعت إليه الحجّة، باعتبار
مّا.

وشرعاً: اسمٌ لجميع المناسك المؤداة في الميقات، ومكة، والمشاعر، للقربة.
وهو أولى من جعله اسماً للقصد إلى بيت الله لأدائها، لمبادرة المعنى الأوّل
إلى فهم أهل الاصطلاح، وهو آية في الحقيقة.
ولا يُشكّل بأنّ التخصيص خيرٌ من النقل، لأنّه إنّما رُجِحَ لعدم ثبوت
النقل، وسبق الفهم يُحقّقه.

وغايته: تكميل النفس في قوّتها العمليّة بتحصيل السعادة الأبدية.
ووجوبه من ضروريّات الدين، ومُستحلّ تركه كافراً إجماعاً، والآية
الكريمة (٢٨) ناطقة بهما.

وفيهما ضرورٌ من التأكيد، مبيّنة في صناعة المعاني.
وفي الخبر النبويّ بطريق أهل البيت (عليه السلام) فيمن وجب عليه الحجّ ولم يُحجّ،
«فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» (٢٩).

وهو محمولٌ على النفي الكليّ، مع الاستحلال للترك.
والتخيرُ في صنف الميتة للمبالغة في الحكم بالكفر.



وخصّ هاتين الميبتين حذفاً لغيرهما من درجة الاعتبار، وتقريباً لهما وتوبيخاً. ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (٣٠).
 ووجوبه فوري؛ إجماعاً من الفرقة المحقة، وتأخير كبير مؤبقة.
 وتأخير النبي ﷺ عن عام الزول؛ لعدم الشرط، ولأن التأخير أعم من الاستقرار، ولا دلالة للعام على الخاص المعين.
 وأمّا ثوابه: فناهيك به أنه جمع بين أصناف أكثر العبادات، مع اشتماله على رُكوب الأهوال، وفراق الأهل، وعلى التوكّل والتفويض، وقطع العلائق، وذكر سفر الآخرة.

وقد روي عن النبي ﷺ بطريق أهل البيت عليه السلام في ذلك ما لا يحصى:
 فمن ذلك بطريق الإمام المعصوم أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:
 «من حجّ هذا البيت بنية صادقة جعله الله - تعالى - مع الرفيق الأعلى من النبيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.» (٣١)

وعن النبي ﷺ: «إنك إذا توجهت إلى سبيل الحج، ثم ركبت راحلتك وقُلت: بسم الله الرحمن الرحيم ومضت بك الراحلة، لم تضع راحلتك خُفاً ولم ترفع خُفاً إلا كتب الله لك بكل خطوة حسنة، ومحاعتك سيئة، فإذا أحرمت وليبت كتب الله لك بكل تلبية عشر حسنات، ومحاعتك عشر سيئات، فإذا طُفّت أسبوعاً كان لك بذلك عند الله عهدٌ وذكرٌ يستحي أن يعذّبك بعده، فإذا صليت ركعتين عند المقام، كتب الله لك بهما ألف ركعة مقبولة.

وإذا سعت بين الصفا والمروة سبعة أشواط، كان لك عند الله - عز وجل - مثل أجر من حج ما شياً من بلاده، ومثل أجر من أعتق سبعين رقبة مؤمنة.
 وإذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج، وزبد البحر، لغفرها الله لك.

فإذا رميت الجمار كتب الله لك بكل حصة عشر حسنة.
فإذا ذبحت هديك كتب الله لك بكل قطرة من دمها حسنة.
فإذا طُفَّت بالبيت أسبوعاً للزيارة، وصليت عند المقام ركعتين؛ ضرب
ملك كريم بين كتفيك: أمّا ما مضى فقد عُفِرَ لك» (٣٢).

وعن النبي ﷺ بطريق مولانا الصادق عليه السلام: «الحجّة ثوابها الجنة، والعُمرة
كفارة ذنب» (٣٣).

وعنه عليه السلام: «مَن أراد دُنياً وآخرةً فَلْيُؤَمِّ هذا البيت» (٣٤).
وعن مولانا الصادق عليه السلام: «مَن حجَّ حجة الإسلام فقد حلَّ عقدة من النار
من عُنته، ومَن حجَّ حجّتين لم يزل في خيرٍ حتى يموت، ومَن حجَّ ثلاث سنين
جُعِلَ في نعيم الجنة، ومَن حجَّ أربع سنين لم يُصبه ضغطة القبر أبداً» (٣٥).
وغير ذلك من الأحاديث.

ووجوبه: مرّة على الكامل الحرّ، ولو أذن السيّد.
ولو كمل وأعتق قبل أحد الموقفين تمَّ حجه.
بشرط:

الاستطاعة، التي هي: «الزاد، الراحلة» في المفتقر إلى قطع المسافة - مطلقاً،
المتمكن من المسير -.

ونفقة واجب النفقة، ذهاباً وعوداً.
ومن شرط صحته: النية، ومن ثمّ لم يقع من الكافر مطلقاً، ولا من غير
المميز مباشرة؛ لعدم الإتيان بهما (٣٦) على الوجه. وحيث لا وجوب لإجزاء
عندنا.

ويستحب قطع العلائق، واختيار يوم صالح، ورفيق صالح.
وينبغي التوبة إلى الله - تعالى - من المعاصي، وصلاة ركعتين أمام التوجّه،



والدعاء بعدهما، والوقوف على 'بابه مستقبل الطريق، واليمين، واليسار، قارئاً فاتحة الكتاب، وآية الكرسي في الثلاث، والدعاء بالمنقول، والبسملة (٣٧) عند الركوب، والذكر والدعاء حال الاستقرار (٣٨) والسير والنزول، والإكثار من تلاوة القرآن، وحسن الخلق، وبذل الزاد والماء والمعونة (٣٩) للرفيق، وصلاة ركعتين في كل منزل عند نزوله وارتحاله، والدعاء عند مشاهدة المنازل والقُرى.

المقالة الأولى: في أفعال العمرة

وهي أربعة، وفي المفردة خمسة:

الأول: (الإحرام)

ومعناه: توطئ النفس على اجتناب الصيد، والنساء والطيب على العموم، والاحتحال بالسواد، وبما فيه طيب، وإخراج الدم، وقص الأظفار، وإزالة الشعر، وقطع الشجر والحشيش النابتين في الحرم، إلا في ملكه، وإلا الأذخر والمحالة وشجر الفواكه، والكذب، والجدال، وقتل هوام الجسد.

ولبس المخيط للرجل والخنثى، والخفّين وما يستر ظهر القدم له، ولبس الخاتم للزينة، والحلي للمرأة إلا أن يكون معتاداً فيحرم عليها إظهاره للزوج وغيره، والحناء للزينة، وتغطية الرأس للرجل والوجه للمرأة، والتظليل للرجل سائراً اختياراً على الأصح، ولبس السلاح بعد التلبية إلى (٤٠) أن يأتي بالمحلل من الأفعال.

وكيفيته: أن ينوي من الميقات بعد لبس ثوبي الإحرام: «أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى الحج - حجة الإسلام حج التمتع - لوجوب الجميع، قرباً إلى الله»
«لبيك اللهم لبيك، لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك

لَبَيْكُ» (٤١).

وفي هذه النية قيود:
 الأول «أحرم» أي أوطنُ نفسي على ترك الأمور المذكورة آنفاً.
 الثاني «بالعمرة» وهي لغة: الزيارة (٤٢).
 وشرعاً: أداء المناسك المخصوصة، أو زيارة البيت محرماً للطواف والسعي.
 والثالث «التمتع بها» أي التي يتخلل بينها وبين الحج رفاهية ودعة من
 «التمتع» الذي هو الالتذاذ والانتفاع.
 الرابع «إلى الحج» أي يستمر بها الانتفاع إلى، أو التي يحصل بها انتفاع
 بالشواب إلى وقت الحج سابق عليه.
 وبه تخرج المفردة كما خرج بالعمرة الحج.
 الخامس «إلى حج الإسلام» وبه تتميز العمرة المتمتع بها عن حج النذر
 وشبهه.
 السادس «حج التمتع» وبه يخرج ما يتمتع بها إلى حج الإسلام - حج
 القران، أو حج الأفراد - فإنه وإن لم يكن مشروعاً إلا أنه متصور.
 السابع «لوجوب الجميع» وبه يمتاز عن النذب.
 ووجه الوجوب: هو اللطف في التكليف العقلي، أو شكر النعمة، على
 اختلاف الرأيين، كما بيناه في «رسالة التكليف» (٤٣).
 الثامن «قربة إلى الله» وهو غاية الفعل المتعبد به، والمراد بها موافقة إرادة الله
 تعالى سبحانه، والتقريب إلى رضاه، قُرب الشرف، لا التشرف (٤٤).
 ومعنى «لَبَيْكُ»: إجابة بعد إجابة لك يا رب، وإخلاصاً بعد إخلاص، وإقامة
 على طاعتك بعد إقامة، على اختلاف تفسيره.
 ومعنى «اللَّهُمَّ»: يا الله.



وتتعيّن هذه اللفظة؛ فلو بدّلتها بمرادفها لم يُجزّه.
وكذا باقي ألفاظ التلبية.
وُتَكَسَّرُ «إِنَّ» على الاستيناف، وتفتح بنزع الخافض.
والأوّل يقتضي تعميم التلبية، والثاني تخصيصها، فالأوّل أولى، وهو معنى
قول أبي العباس النحوي: «مَنْ فَتَحَ خَصَّ، وَمَنْ كَسَرَ فَقَدَ عَمَّ». (٤٥)

لطيفة:

قال بعض علمائنا: إنّ هذه التلبية جوابٌ للنداء المذكور في قوله عزّ وجلّ:
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ (٤٦).
وفيه تذكير بالميثاق القديم، وفي «لاشريك له» إرغام لمعاطس الجاهلية،
الذين كانوا يُشركون الأصنام والأوثان بالربّ.
وفي تكرار لفظها بُعْثُ للقلب على الإقبال على خالص الأعمال، وتلافٍ لما
لَعَلَّهُ وَقَعَ من إخلالٍ، كتكرار الركعات والتسبيحات والتكبيرات.
ويستحب الإكثار منها، ومن التلبيات الأخر المستحبة، وخصوصاً «لَبَّيْكَ
ذَا الْمَعَارِجِ لَبَّيْكَ». والباقي:

«لَبَّيْكَ دَاعِياً إِلَى دَارِ السَّلَامِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ، لَبَّيْكَ أَهْلَ التَّلْبِيَةِ
لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ تُبْدِئُ وَالْمَعَادَ إِلَيْكَ لَبَّيْكَ،
لَبَّيْكَ تَسْتَغْنِي وَيَفْتَقِرُ إِلَيْكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ مَرْهُوباً وَمَرْغُوباً إِلَيْكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ
إِلَهَ الْحَقِّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ ذَا النِّعَمَاءِ وَالْفَضْلِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ
كَشَّافَ الْكُرْبِ الْعِظَامِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ
أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ إِلَى
الْعُمْرَةِ الْمُتَمَتِّعِ بِهَا إِلَى الْحَجِّ لَبَّيْكَ».

وتجب المقارنة بين النية والتلبية، واستدامتها حكماً.
والإخلال بالمقارنة مُبطلٌ، وبالإستدامة مُؤثِّمٌ.
ويشترط في الثوبين صحّة الصلاة فيهما.
ولا يجوز النقص اختياراً، ولا حَرَجٌ في الزيادة والإبدال، ولكن الطواف في
الأولين مستحبٌّ.

وفي كون لبس الثوبين شرطاً في الإحرام، أو جزءاً من ماهيته، أو واجباً لا
غير، بحث. (٤٧)

وتظهر الفائدة في الإخلال.
والنية شرطٌ، أو شَطْرٌ قطعاً.
والتلبية شرطٌ عند كثيرٍ، فإنّ الإحرام هو التوطين، إلّا أنه لا يتحقّق
الاعتداد به من دونها.

وفي ركنيتها قولان:
ولا خلاف في تحقّق معنى الإحرام عند تحقّق (٤٨) التلبية.
ولكنّ اللبس أشبه بالشرط؛ من حيث جواز تقديمه بزمانٍ.
ويليه في الشبه النية؛ وهي إلى الركن أقرب؛ للمقارنة.
والتلبية كالتحريم بالإضافة إلى الصلاة.
وهذا الفعل - أعني الإحرام - يشبه الترك.
وقيل: بالعكس.

وعلى ما فسّرناه من التوطين فهو فعل محض.
ومثله من العبادات الصوم، أمّا الصلاة ففعلٌ محضٌ.
والإخلال بالقصد (٤٩) تركٌ محضٌ.

وسبب الاشتباه في الإحرام والصيام قطع النظر عن الأفعال القلبية،



واستسلافُ أن الأفعال يُراد بها «البدنية» (٥٠).
وحمل ذلك قوماً (٥١) من الأصوليين على أن جعلوا التكليف فيها متعلقاً
بإيجاد الضدِّ، هرباً من تعلق الإرادة بالمعدوم.
وهي مسألة كلامية.

الثاني: الطواف

وهو لغة: الدوران المطلق في السكك (٥٢).
وشرعاً: حركةٌ دوريةٌ حَوْلَ الكعبة الشريفة، للقربة والأشوة.
والسر فيه: إذلال النفس بتكرار الدوران حَوْلَ بَيْتِ الْمَلِكِ، على حالة
تَشَبُّه حالة الميِّت وأكفانه، طلباً لرضاءه، وتحريراً لمغفرته.
وطواف أهل العبارة بالقلب، وأهل الإشارة بالقلب.
وهو صلاة، إلا في تحريم الكلام.
ونفله أفضل من نفلها للمجاور.
ويعتبر فيه سبعة عشر:
الأول: الطهارة من الحدث ولو تيمماً، ومن الحَبِثِ إلا أن يُعْفَى عنه في
الصلاة على قول.
الثاني: سَتْرُ العورة الواجب سَتْرُهَا في الصلاة، ويختلف بحسب حال الطائف.
الثالث: الختان للرجل إلا للضرورة.
الرابع: النِّيَّة: «أطوفُ سبعة أشواطٍ للعمرة المتمتع بها إلى الحج - حجَّ
الإسلام، حجَّ التمتع - لوجوبه، قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ.
الخامس: مقارنتها لابتدائه، وهو محاذاة أول جزء من مقادير بدنه لأول
الحِجْرِ، علماً، أو ظناً.

- السادس: الحركة الذاتية أو العَرَضِيَّة عقيبها.
- السابع: استدائمتها حكماً لافِعلاً، وفُسِّرَ بأمرٍ عَدَمِيٍّ، وفيه دَقِيقَةٌ كَلَامِيَّة.
- الثامن: جَعَلَ البيت على اليسار.
- التاسع: جَعَلَ المقام على اليمين.
- العاشر: إدخال الحِجْر في الطواف.
- الحادي عشر: مراعاة النسبة بين البيت والمقام من البعد، بحيث لا يزيد عليه؛ والدُّنُوُّ من البيت أفضل.
- الثاني عشر: خروجه بجميع البدن عن البيت.
- الثالث عشر: إكمال العدد.
- الرابع عشر: حفظه، فلو لم يحصل العدد أو شك في النقيصة أو في الزيادة قبل بلوغ الركن، بَطَلَ.
- الخامس عشر: الموالاة بحيث لا ينقص المقطوع عن أربع.
- السادس عشر: الحَتْمُ بموضع البداية من الحَجَر، فلو زاد عليه متعمداً بَطَلَ، وسَهْواً تَخَيَّرَ في الإكمال والقطع إلى الحَجَر، وإلا قَطَعَ.
- والثاني نَقَلَ.
- السابع عشر: ركعته، ومحلهما خَلْفَ المقام، ووقتها عند الفراغ، وهي كالْيَوْمِيَّة، ولا يتعين فيها جَهْرٌ ولا إخفاتٌ.
- وتَيَسَّهما: «أصلي ركعتي طوافِ العُمرَةِ المتمتِّع بها إلى حجِّ الإسلام - حجِّ التمتع - أداءً، لوجوبهما، قربَةً إلى الله».

الثالث: السعي

وهو لغة: السُرعة في المشي^(٥٣).



وشرعاً: الحركات المعهودة بين الصفا والمروة، قربةً إلى الله.

ويتمُّ باثني عشر:

الأول: النية: «أَسْعَى سبعة أشواطٍ للعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام

- حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».

الثاني: مقارنتها للصفا، ويُستحب الصعود.

الثالث: الاستمرارُ عليها حكماً.

الرابع: الحركة عقيبها بلا فصل.

الخامس: الذهابُ بالطريق المعهود.

السادس: الختمُ بالمروة، ولو بإصابع قدميه.

السابع: إتمام السبعة من الصفا إليه شوطان.

الثامن: موالاته احتياطاً كالطواف.

التاسع: استقبال المطلوب بوجهه.

العاشر: إيقاعه بعد الركعتين.

الحادي العشر: حفظ العدد كالطواف.

الثاني عشر: إيقاعه في يوم الطواف، وهو واجب، لا شرط الصحة.

الرابع: التقصيرُ

وهو: إبانةُ مُسمى الشعر، أو الظفر.

وبه يتحقق الإخلال من إحرام المتمتع بها، لا المفردة؛ فلا يتحقق الإخلالُ

التامُّ فيها إلا بالطواف، وركعتيه، وهو طواف النساء.

وواجباته ثلاثة:

الأول: النية: «أُقَصِّرُ للإحلال من إحرام التمتع بها إلى حج الإسلام - حج

التمتع - لوجوبه، قربته إلى الله..

الثاني: المقارنة.

الثالث: الاستدامة.

ويُجزئ في المفردة الحلق، ويحرم هنا ولا يُجزئ في الأصح.
والإهلال قبله عمداً يقلب العمرة حجةً مفردةً في المروي. (٥٤)
وسهواً: يقع ولا شيء، وشاةً جبراً أفضل.

المقالة الثانية: في أفعال الحج

وهي ستة:

الأول: الإحرام به

وتحقيقه كما مر.

ولافرق في النيّة غير أنّه ينوي: «أُحرّم لحجّ الإسلام - حجّ التمتع - وأبّي التلبّيات الأربع، لعقد إحرام حجّ الإسلام - حجّ التمتع - لوجوب الجميع، قربته إلى الله. لبيك...» إلى آخره.

ومحلّه للتمتع مكة، وأفضلها المسجد، وخلاصته المقام، أو تحت الميزاب؛ ولو تعذّر أحرّم من حيث أمكن ولو بعرفة.

وللقارن والمفرد: مِقاتُ عمرة التمتع، أو دُويرة أهله.

ولا يبطل بزوال الشمس يوم التروية، أو يوم عرفة قبله، بل ولا يغروها لاعامداً إذا أدرك المشعر اختيارياً.

نعم يُستحبّ إيقاعه بعد ظهر التروية.

والطواف بعده غير مشروع، إذا كان للتمتع، فإن فعله أعاد التلبية على قول.



أَمَّا قَسِيَاهُ فَلَا حَجْرَ.

الثاني: الوقوف بعرفة

أي: الكَوْنُ بها إلى غروب الشمس مُبتدئاً بالنية، مصاحباً لحُكْمها، ويجبُ ابتدأؤه من الزوال، ويُجزئ مسمى الكَوْن يوم التاسع، وإن أتم.
فلا يقف بنمرة، وثوية، وذو المجاز، والأراك؛ فإنها حُدود. نعم يستحب ضرب الخباء بنمرة.
والنية: «أقف بعرفة في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربة إلى الله». ولو فات، لا عامداً، اجتزاً بالليل.
وواجبه مساهة، وهو صالح للمشعر.

الثالث: الوقوف بالمشعر

وحده ما بين المأزمين إلى الحياض إلى وادي مُحَسِّر.
ويجب فيه النية: «أبيت هذه الليلة بالمشعر في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه قربة إلى الله». وهذا الوقوف فيه شائبة الاضطراري.
أما الاختيارى الخالص، فهو من مبدأ طلوع الفجر إلى الشمس، يوم العيد، ناوياً: «أقف بالمشعر في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربة إلى الله». واضطراريه المحض إلى الزوال.
ويجب فيه الكلي، وفي الآخر الكل.
والإفاضة قبل الغروب من عرفة عامداً عالماً غير مُبطل، ويُجبره ببدنة، ولا شيء على المضطر.

ومن المشعر قبل الفجر بالقيدين شاة.

الرابع: نزول منى للرمي والذبح والحلق

مرتّباً، وهو شرط في نفي الإثم، لا في الصّحة.
والواجب يوم النحر رمي جمرة العقبة بسبع حصياتٍ، حرميّة - لا
مسجديّة - أبكاراً.

بما يسمّى رمياً، مُصنّيةً بفعله، مباشرة بيده.
ووقته ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وفضيلته من الطلوع إلى الزوال.
ويقضي لوفات مقدّماً على الحاضر.
ويخرج وقته بخروج الثالث عشر إلى القابل.
ويجب الترتيب حيث يجب رمي الثلاث، وهو أيام التشريق، أعني:
الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

ويحصل بأربع، لا عامداً.
ونيته: «أرمي هذه الجمرة بسبع حصياتٍ في حجّ الإسلام - حجّ التمتع -
أداء، لوجوبه، قربة إلى الله».

ويجب ذبح الثني من النعم الثلاثة، ويُجزى من الضأن الجذع.
ويعتبر فيه: تمام الخلقة، وأن يكون على كليتة شحم، ويكفي الظن وإن أخطأ.
أمّا المعيبة فلا.

وتجب الصدقة والإهداء والأكل مقروناً بالنية: «أتصدق، أو أهدي، أو
أكل من هدي حجّ الإسلام - حجّ التمتع - أداء، لوجوبه، قربة إلى الله».
ويشترط في المهدى إليه: الإيمان، وفي محلّ الصدقة: الفقر معه.
ولا يجب الترتيب.



ويجب حلق شعر الرأس، أو تقصيره للإحلال من إحرام حج الإسلام ولو أغلّة.

والمرأة والخنثى المشكل: التقصير ليس إلا.
والنية فيه مقارنة، مُستدّامة: «أحلق أو أقصر للإحلال من إحرام حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».
ولا يخرج من منى حتى يأتي بالثلاثة ولو في ذي الحجة، ويرجع للذبح، والحلق طوله، فإن تعذر خلف الهدي وحلق مكانه، وبعث بالشعر ليدفن بها ندباً.

أما الرمي، فكما مرّ.
وبالحلق يتحلل من المحرمات إلا الطيب والنساء، والصيد.
ثم يتحلل من الطيب بطواف الزيارة والسعي على الأصح.
ومن النساء بطوافهنّ بعد طواف الزيارة.
والأولى توقّف حل الصيد الإحراميّ على طواف النساء.

الخامس: العود إلى مكة للطوافين والسعي
ويُسمّى الأوّل طواف الحجّ، وطواف العود، وطواف الزيارة، وطواف الركن، وطواف الصّدّر^(٥٥). وكيفية الجميع كما تقدّم.
والنية: «أطوف سبعة أشواط طواف حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».

«أصلي ركعتي طواف حج الإسلام - حج التمتع - أداءً، لوجوبهما، قربةً إلى الله».
«أسعي سبعة أشواط سعي حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».
«أطوف طواف النساء في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».

«أصلي ركعتي طواف النساء في حج الإسلام - حج التمتع - أداءً لوجوبها،
قربة إلى الله».

السادس: العودُ إلى منى للمبيت بها ليالي التشريق
ويُجزى إلى نصف الليل.

فلوباتٌ غيرها فشاةٌ عن كل ليلةٍ، إلا للعبادة بمكة.
ولا يجبُ الثالث على المتقي، ويجبُ على غيره، وعلى من غربت عليه شمس
الثاني عشر.

والنفرُ الأول بعد الزوال من اليوم الثاني عشر، والثاني قبله من اليوم
الثالث عشر.

وحدُّ منى من العقبة إلى وادي مُحسّر.
ونبئة المبيت: «أبيت هذه الليلة بمنى في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه،
قربة إلى الله».

والنائب يُضيفُ في جميع ما ذكرناه: «نيابةً عن فلان» فينوي:
«أحرمُ بالعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام - حج التمتع - نيابةً عن فلان»
و«أُلبّي» إلى آخرها... «لوجوب الجميع عليه بالأصالة وعليّ بالنيابة، قربةً إلى
الله».

وأما التكميل

فاعلم أنه قد ثبتَ في العلوم الحقيقية، والأخبار النبوية بقاء النفس بعد
خراب البدن.

وأن إدراكها أتمُّ منه حال التعلق بالبدن.



ولاشكَّ أنَّ للنفس الحيرةَ أثراً عظيماً في الإشراف على مَنْ دُونَهَا.
ولا خفاء أنَّ نفسَ النبي ﷺ أشرفُ من غيرها.
ولمَّا كَانَ نبيُّنا ﷺ أَفْضَلَ (٥٦) الأنبياء، كَانَ إِشْرَافُ (٥٧) نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ
أَعْظَمَ، وَالتَّعَلُّقُ بِهَا أَكْمَلَ.

والزيادةُ (٥٨) في ذلك إَعْدَادُ تَامٍّ، بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِ النَّفْسِ الْمُشْرُوفَةِ نَحْوَ الذَّاتِ
الشَّرِيفَةِ، وَيَسْتَعِدُّ لَتَلْقَى الْفَيْضَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ.
وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ بِثَوَابِ زِيَارَتِهِ ﷺ وَزِيَارَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ، كَثِيرَةٌ، مَشْهُورَةٌ.
فَرَوَيْنَا عَنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِبْدَاءُ وَابْمَكَّةَ
وَاخْتِمَاؤُنَا» (٥٩).

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ: «إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ فَيَطُوفُوا بِهَا. ثُمَّ
يَأْتُونَا فَيُخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا أَعْمَالَهُمْ» (٦٠).
وَعَنِ الصَّادِقِ ﷺ: «مَنْ زَارَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ» (٦١).
وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَانِي زَائِراً كُنْتُ أَنَا شَفِيعُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» (٦٢).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ زَارَ إِمَاماً مَفْتَرَضَ الطَّاعَةِ كَانَ لَهُ ثَوَابُ حَجَّةٍ
مَبْرُورَةٍ» (٦٣).

وَعَنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا ﷺ: «أَمَّا إِنْ لِكُلِّ
إِمَامٍ عَهْدٌ فِي أَعْنَاقِ أَوْلِيَائِهِ. وَشِيعَتِهِ، وَإِنْ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ
زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ، فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ، وَتَصَدِيقاً فِيمَا رَغِبُوا فِيهِ، كَانَتْ
أَعْمَلُهُمْ شَفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٦٤).

وَالْأَحَادِيثُ بَتَعْيُنِ (٦٥) ثَوَابِ زِيَارَتِهِمْ - إجمالاً وتفصيلاً - مذكورٌ في كتب
الأَصْحَابِ وَالْأَحَادِيثِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ.

وهذا آخر الرسالة، والحمد لله على كلِّ حالة، والصلاة على المبعوث إلى
خير أُمَّة، وآله خير أُمَّة.
كُتِبَ بِالْحِلَّةِ فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ «خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ».
«نَهَايَةُ نَسْخَةِ السَّيِّدِ الْمَرْعَشِيِّ»
هذا آخر كلام المصنّف، والحمد لله حقَّ حمده، وصلى الله على محمد وآله.



صورة الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة (ص) النصيري

صفحة من مجموعة (ن) المرعشيّة وفيها تاريخ الاستنساخ

الهوامش :

- (١) حياة الإمام الشهيد الأول : ٣٧.
- (٢) مقدمة «غاية المراد في شرح الإرشاد» ١ : ٧٠-٧٤.
- (٣) بحار الأنوار ١٠٤ : ١٧٨.
- (٤) بحار الأنوار ١٠٤ : ١٨٣.
- (٥) بحار الأنوار ١٠٦ : ٧٢.
- (٦) بحار الأنوار ١٠٥ : ٤٢.
- (٧) أعيان الشيعة ١٠ : ٥٩.
- (٨) شهداء الفضلية : ٨١.
- (٩) الكنى والألقاب ٢ : ٣٤٦.
- (١٠) بحار الأنوار ١٠٦ : ٧٢.
- (١١) بحار الأنوار ١٠٥ : ٤٢.
- (١٢) لؤلؤة البحرين : ١٤٣-١٤٤.
- (١٣) أمل الآمل ١ : ١٨١.
- (١٤) روضات الجنات ٧ : ٣-٤.
- (١٥) شفاء الصدور : ٦-٧.
- (١٦) خاتمة «مستدرك الوسائل» ٣ : ٤٣٧-٤٣٨.
- (١٧) أعيان الشيعة ١٠ : ٥٩.
- (١٨) بحار الأنوار ١٠٤ : ١٩٥.
- (١٩) بحار الأنوار ١٠٤ : ١٨٧-١٨٨.
- (٢٠) غاية المراد ١ : ٣٨٩.
- (٢١) أنظر : ٣١.
- (٢٢) معادن الجواهر ١ : ٢٩٦-٣٠٣.
- (٢٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٧ : ٢١٤/١٠٣٨.
- (٢٤) مقدمه أي بر فقه شيعه : ١٥٠/١٢٥.
- (٢٥) مقدمه أي بر فقه شيعه : ١٤٨/١٢١.
- (٢٦) هكذا جاء هنا هذا البيت من الشعر في النسخ كلها.
- (٢٧) لسان العرب ١ : ٥٧٠-٥٦٩.
- (٢٨) قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران : ٩٧.
- (٢٩) التهذيب ٥ : ٤٦٢/١٦١٠.
- (٣٠) الزمر : ٩.



- (٣١) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٢/٦٦٤.
- (٣٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٣٠/٥٥١؛ التهذيب ٥: ٥٧/٢٠.
- (٣٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٢/٦٢٠.
- (٣٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤١/٦١٤.
- (٣٥) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٣٩-١٤٠/٦٠٣-٦٠٦.
- (٣٦) كذا ظاهر النسخ، ولعل الصواب: «لهما» أي للكافر وغير المميز.
- (٣٧) في «ن» و «ك» الدعاء.
- (٣٨) في نسخة «ن»: عند الاستقبال.
- (٣٩) في «ص» و «ك»: الْمُعَوِّزُ.
- (٤٠) كذا الظاهر، وكان في النسخ «إلا» ووجه الاستظهار: إن قوله «بعد التلبية» متعلق بقوله: «اجتناب...» في تعريف الإحرام، والمراد: «إن الإحرام هو توطيئ النفس على اجتناب محرمات الإحرام بعد التلبية، إلى أن يخرج المحرم من الإحرام بفعل المحلل» وهذا أظهر مما لو كانت الكلمة «إلا» حيث يستلزم عدم ذكر منتهى لأمد الاجتناب، وكذلك يستلزم أن يكون الاستثناء منقطعاً، وقد جاءت كلمة «إلى» بدلا من «إلا» في المسك الصغير للمؤلف الذي أثبت نفس النص فيه.
- وكذلك في غاية المرام (٣٨٩/١) حيث جاءت العبارة التالية «إن الإحرام هو توطيئ النفس على ترك المنهيات المعهودة، إلى أن يأتي بالمناسك» والحمد لله وكتب السيد محمد رضا الحسيني الجليلي.
- (٤١) بهذه الصيغة أثبت التلبية المؤلف في الدروس: ٦٧، وقد ذكرها السيد صاحب العروة من صور التلبية وهي ثالثها في العروة الوثقى: ٥٢١.
- (٤٢) لسان العرب ٤: ٨٨٣.
- (٤٣) من كتب المؤلف.
- (٤٤) يعني قرب المجد، لا العلو المكاني وفي «ك» الشرف لا الشرف.
- (٤٥) وكذلك أثبتته الشهيد الثاني في حاشيته على الارشاد (١: ٣٩٠).
- (٤٦) الحج: ٢٧.
- (٤٧) وفي نسخة «ك» خلاف.
- (٤٨) في بعض النسخ زيادة كلمة «معنى» وليست في (ن).
- (٤٩) كذا أرى أن تكون الكلمة، وهي في النسخ مشوشة، وفي (ن) «بالقبيح» وفي نسخة «بالفسح».
- أقول: بما أن المصنف يرى التوطيئ - وهو من الأمور القلبية - فعلاً محضاً، لأنه عزم وتصميم، فالإخلال به يساوق تركه محضاً، من دون حاجة إلى إيجاد فعل آخر.
- والأفعال القلبية - كالعزم والتوطيئ - يكفي في الإخلال بها وتركها عدم قصدها.
- ومثل هذا في العبادات: الصوم، فإنه العزم على ترك المَقَطَّرات، فإنه فعل قلبي وحقيقته القصد، فالإخلال به يتحقق بالعزم على العدم، وليس بحاجة إلى فعل وجودي كإيجاد الضد.
- لكن من أعرض عن جهة كون «الإحرام والصيام» من الأفعال القلبية، وخص التكليف بالأفعال البدنية العملية، دعاه هذا إلى أن يلتزم بأن التكليف في «الإحرام والصيام» متعلق بحرمة فعل هو ضد الإحرام

- والصيام، لكون الإحرام وكذلك الصوم عنده أمرين عدميين، وهو الامتناع عن محرّمات الإحرام ومفطّرات الصوم، ولا يعقل عنده تعلق التكليف بالأمر العدمي.
- هذا ما نفهمه من عبارة المصنف، وعلى أساسه انتخبنا كلمة «بالقصد» وكلمة «البدنيّة» وكلمة «قوماً» والله أعلم وكتب السيد محمد رضا الحسيني الجلاي.
- (٥٠) في النسخ «النديّة» ولاحظ الهامش الأسبق.
- (٥١) في النسخ «قوم» ولاحظ.
- (٥٢) المصباح المنير ٢: ٣٢؛ مفردات الراغب: ٣٢٠.
- (٥٣) مفردات الراغب: ٢٣٨.
- (٥٤) التهذيب ٥: ٢٩٦/٩٠؛ الوسائل ١٢: ١٢ كتاب الحجّ، أبواب الإحرام، باب ٥٤ ح ٤.
- (٥٥) وهو طواف الوداع، أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ٣: ١١ وفي نسخة ك. العدد.
- (٥٦) كذا في أكثر النسخ، وهو في هامش (ن)، لكن في متن (ن): أشرف، بدل: أفضل.
- (٥٧) في نسخة (ك) إشراق.
- (٥٨) كذا في (ص) وظاهره (ن) ويحتمل في (ن) الزيارة.
- (٥٩) الكافي ٤: ١/٥٥؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٥٢/٣٣٤.
- (٦٠) الكافي ٤: ١/٥٤٩؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٥٣/٣٣٤.
- (٦١) الكافي ٤: ١/٥٤٩، التهذيب ٦: ٦/٤.
- (٦٢) الكافي ٤: ٣/٥٤٨؛ التهذيب ٦: ٤/٤ و ص ١٥٥/٧٨.
- (٦٣) المقنعة: ٤٨٦.
- (٦٤) الكافي ٤: ٢/٥٦٧؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٧٧/٣٤٥.
- (٦٥) كذا ولعله: بتين.

التلبية

محمد مهدي الآصفي

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ
لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ
إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ
لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ

الحج «دعوة» و «تلبية»:

دعوة من الله - تعالى - لعباده أَنْ يَحِلُّوا ضِيَوْاً عَلَيْهِ، عند بيته المحرَّم،
ويطلبوا قِراه، ويستفتحوا أبواب رحمته الواسعة. وإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن،
وأبو الأنبياء ورائد التوحيد، هو رسول الله - تعالى - إلى عباده، والمبلِّغ عن الله في
هذه الدعوة.

يقول تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١)، هذه هي الدعوة.

وأما التلبية فهي من الناس الذين دعاهم ربهم إلى بيته (وأذن في الناس بالحج) يشهرون فيها استجابتهم لدعوة ربهم، ويعلنون الاستجابة كل سنة في جموع غفيرة حاشدة في الميقات من كل فج عميق.

ويرفعون إلى الله تعالى هذه التلبية كل سنة في رحاب الميقات بالتلبيات الأربعة التي علمناها رسول الله ﷺ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ.

روى عبيد الله الحلبي عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: سألته لم جعلت التلبية؟ فقال: إن الله - عز وجل - أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فنادى فأجيب من كل فج عميق يلبون^(٢).

وستحدث - إن شاء الله - عن كل من «الدعوة» و «التلبية».

الدعوة:

الحج ضياف الله - تعالى - لعباده، فهو دعاهم لهذه الضيافة، واستضافهم في بيته المحرم في موسم الحج، كما أن الصيام ضيافة أخرى في شهر رمضان المبارك، وفي كلا الضيافتين يدعو الله - تعالى - عباده إلى أفضل مواهبه ونعمه. والمواهب والنعم التي يدعو الله - تعالى - عباده إليها في الحج تختلف عما نألفه ونعرفه في حياتنا الدنيا من المواهب الإلهية والنعم، حتى عن تلك التي يهبها لعباده الصائمين في شهر رمضان.

فإن دعوة الحج تتضمن الدعوة إلى «التوحيد» و «التسليم» و «الإخلاص» و «الكدح في سبيل الله» و «التجرّد عن الأنا والهوى» و «الانقطاع إلى الله» و «انتزاع الغل والحقد من النفوس»، كما تتضمن الدعوة الالتزام بقيم العبودية الخالصة لله وحده.



هذه هي الدعوة، والتلبية استجابة لهذه الدعوة الإلهية استجابة من العباد لدعوة الله - تعالى - لهم على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام.

الدعوة والوعد بالاستجابة:

ومن جمال وعظمة هذه الدعوة الإلهية - التي أشهرها إبراهيم خليل الرحمن بأمر من الله تعالى في عباده (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) - أن الله تعالى وعد عبده وخليله إبراهيم عندما أمره بإشهار هذه الدعوة ... استجابة عباده لهذه الدعوة، (يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر).

فكانّ الدعوة من الله لعباده، وإشهار الدعوة بأمر من الله، والاستجابة للدعوة بضمان ووعد من الله تعالى لعبده وخليله إبراهيم عليه السلام. ومنذ أن وعد الله - تعالى - إبراهيم عبده وخليله بالاستجابة لهذه الدعوة يحج في كل عام حشد غفير من الحجاج من الميقات إلى البيت الحرام ليلبّوا هذه الدعوة.

الدعوة إلى التلبية الطوعية:

وكل ما في هذا الكون يلبي أمر الله طائعاً، منقاداً في كل شيء لله تعالى، إلا أن الله - تعالى - أكرم الإنسان بالدعوة إلى عبادته وطاعته طوعاً وإرادتهم، وأكرمهم بهذه التلبية الطوعية. وتختلف التلبية «الطوعية» عن التلبية «القهرية» أن الحركة منها إلى الله حركة واعية، وبالحركة الواعية يبلغ الإنسان من الكمال والعروج إلى الله ما لا يصله بغيرها.

وهي ميزة وتكريم خصّ الله بها من اصطفى من خلقه. والنقطة المقابلة لهذا التكريم هي «السقوط» والهلاك إذا رفض الإنسان الاستجابة لله طوعاً، وعن اختيار. إنّ في كل استجابة طوعية لدعوة الله تعالى عروج إلى الله، وفي كل إعراض وصدود عن الله تعالى سقوط وهلاك.

وخصّ الله الإنسان وأكرمه بهذا الخيار «الصعب» ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣).

الدعوة من الله والتلبية من العباد:

وتكريم آخر للإنسان في أصل الدعوة. فإنّ الدعوة عادة من صاحب الحاجة، والتلبية ممن يملك هذه الحاجة، والله تعالى هو الغني، وعباده الفقراء إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٤).

وشاء الله أن يكرم عباده بأن دعاهم إلى عبادته، وهو الغني عن عبادة عباده له، وشاء الله أن تكون التلبية من عباده الفقراء إليه.

وحقّ عليهم أن يطلبوا من الله - تعالى - أن يأذن لهم بالعبودية والعبادة، ولكن الله - تعالى - بدأهم بهذه الدعوة، وأكرمهم بالتلبية والاستجابة، وهو غاية ما يمكن أن يبلغه الكرم، وإذا كانت هذه الدعوة من الله غاية الجود والكرم من الله، فإنّ الإعراض والصدود عنها غاية اللؤم من الإنسان، وإذا كانت الاستجابة لهذه الدعوة من سعادة الإنسان، فإنّ من بؤس الإنسان وشقائه الإعراض والصدود عن الاستجابة لهذه الدعوة.

ولهذا السبب قلت: إنّ الاستجابة لدعوة الله - تعالى - عروج إلى الله، والصدود والإعراض عنها سقوط وهلاك للإنسان.



وكيف انعكس الأمر - في هذه الدعوة الإلهية - وانقلب العبد في فقره وحاجته من موقع الطالب والداعي والسائل إلى موقع «التلبية». وكان الله تعالى هو صاحب الدعوة والطلب، وهو غني بذاته عن خلقه وعباده.

إنّ لهذا الانقلاب في المواقع سرّاً. وهو خصلة الكرم والجود الذاتية والأصيلة في الذات الإلهية، فهو سبحانه وتعالى يُحِبُّ أن يجود على عباده ويُحِبُّ أن يكرمهم وأن يحسن إليهم، كما نحتاج نحن إلى جوده وكرمه وإحسانه. وحبّ الجود والكرم والإحسان والعطاء صفة من صفات ذاته عزّ شأنه، وليس على الإنسان إلّا أن يضع نفسه في مواضع جوده وكرمه وإحسانه وعطاءه تبارك وتعالى، وهذه حقيقة من حقائق العلاقة بين الله تعالى وعباده، وهذه الحقيقة تفتح على الإنسان أبواباً من المعرفة. فكما نحتاج نحن إلى رحمة الله تعالى وفضله يحبّ الله تعالى أن يجود برحمته وفضله على عباده. وهذه العلاقة قائمة بين كلّ غني وفقير. ولا تقلّ حاجة الغني إلى العطاء والكرم عن حاجة الفقير إلى الغني.

والله تعالى غني عن عباده، وغناه في ذاته، فلا يحتاج عباده وخلقهم في شيء، ولكنّه يحبّ أن يجود عليهم، ويكرمهم، ويعطيهم من فضله ورحمته، كما نحتاج نحن إلى رحمته وفضله وجوده.

وهذا هو سرّ دعوة الله لعباده بالإقبال عليه، والدخول في رحاب ضيافته، والوقوف على أبواب رحمته في شهر ذي الحجة في عرفات عند بيته المحرّم وفي شهر الصيام، فيدعو الله تعالى عباده لدعائه؛ ليستجيب لهم برحمته وفضله.

وهذه من ألطف سنن الكرم الإلهي. يقول تعالى: ﴿أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فتحل دعوة العبد، في هذه الآية الكريمة بين دعوة الله تعالى واستجابته.

فالله عزّ شأنه يدعو عباده لدعائه ليستجيب لهم (أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)،

فيقع دعاء العبد بين «دعوته» تعالى له بالدعاء، و «استجابته» سبحانه لدعائه. والله عزّ شأنه يحبّ دعاء عباده، ويشفق إلى مناجاتهم، ويحب الاستجابة لدعائهم.

عن رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ شَيْئاً لِنَفْسِهِ، وَأَبْغَضُهُ لَخَلْقِهِ، أَبْغَضَ لَخَلْقِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَأَحَبُّ لِنَفْسِهِ أَنْ يُسْأَلَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ أَنْ يُسْأَلَ. فلا يستحي أحدكم من أن يسأل الله من فضله، ولو شسع نعل^(٥). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أكثرُوا من أن تدعوا الله، فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ، وَقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِسْتِجَابَةَ»^(٦). وفي الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي عليه السلام: «وَأَمَرْتَهُمْ بِدَعَائِكَ، وَضَمَنْتَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ» ودعاء العبد يقع بين تلك الدعوة وهذه الإجابة.



التلبية جوهر العبودية:

التلبية هي الاستجابة.

والاستجابة لله في مساحتين: مساحة الدعوة ومساحة الأحكام والأمر والنهي.

والله تعالى يدعو عباده، ويأمرهم. وبينهما فرق. فإنّ الدعوة هي أساس الأحكام والأوامر الإلهية.

يدعو عباده إلى ما يحيمهم، ويطلب من عباده أن يستجيبوا لدعوته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٧)، ويأمر عباده ويحكمهم، والله تعالى يحكم عباده في التكوين والتشريع. يحكم عباده في التكوين بالقضاء والقدر، بألوان الابتلاء والفتنة والجوع والمرض ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. وليس للناس حيلة في ذلك كلّ، ولكن الله - تعالى - يطلب من عباده أن يستجيبوا لحكمه وأمره في قضائه وقدره، ويطمئنوا إليها، ويفوضوا أمرهم إليه - تعالى - في كلّ ذلك، ويسلّموا أمرهم له تسليماً، (وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)، هذا في مساحة التكوين.

والله تعالى يحكم عباده في مساحة التشريع بالأمر والنهي. ويطلب منهم أن يستجيبوا له في أمره وحكمه ويسلّموا تسليماً (ثمّ لا يجردوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويُسَلِّمُوا تسليماً)^(٨).

التلبية، لدعوة الله وحكمه:

والاستجابة لدعوة الله تعالى هي الإيمان والإسلام. والإعراض عن دعوة الله - تعالى - هو الكفر والشرك والريب والشك والنفاق.

والاستجابة لقضاء الله تعالى وقدره وأحكامه على عباده في الابتلاء والفتنة والفقر والجوع والموت والمرض هي التفويض، والرضا، والتسليم، والاطمئنان، والثقة بحكم الله تعالى.

وقد ورد في الدعاء: «واجعلني بقسمك راضياً قانعاً، وفي جميع الأحوال متواضعاً»، «واجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك».

وخلاف ذلك «الاعتراض» و «التذمر» و «الشكوى» من أمر الله وحكمه. ولا ينفع الإنسان اعتراض وتذمر عن أمر الله وحكمه وقضائه وقدره في مساحة التكوين، فإنَّ الله - تعالى - يقهر عباده بقضائه وقدره، ولكنه يطلب من عباده أن يستجيبوا لقضائه وقدره، ويسلموا أمرهم إليه تسليماً، ويفوضوا إليه أمورهم تفويضاً، ويطمئنوا إلى قضائه وقدره، دون اعتراض وتذمر.

والاستجابة لأمر الله وحكمه في التشريع هي الطاعة والانقياد عن طوع وإرادة.

وخلاف ذلك الزنب والمعصية والفسوق.

العقل مبدأ التلبية والاستجابة:

والاستجابة لله بكلِّ أقسامها هي جوهر العبودية لله تعالى.

وقيمة الإنسان في الاستجابة لله تعالى.

ووزن الإنسان ومقامه عند الله بمقدار عبوديته وتسليمه له تعالى.

والاستجابة لله هي العبودية والتسليم، و «العقل» هو مبدأ هذه



الاستجابة.

روى سماعة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام «خلق العقل، وهو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر»^(٩).

وهذه الرواية تتحدث بلغة الرمز، وهي لغة مألوفة في الروايات الإسلامية، والإقبال هنا الاستجابة لأمر الله تعالى، وهو ما ذكرنا آنفاً أنه جوهر العبودية لله تعالى. والعقل ينهض بهذه الرسالة في حياة الإنسان ويتبعه القلب ويقترن به.

مراتب الاستجابة والتلبية:

وللإستجابة أربع مراتب بعضها فوق بعض.

□ المرتبة الأولى من الاستجابة: هي الاستجابة التكوينية لله تعالى، فكل شيء في الكون مسخر لأمر الله، يجري بأمره.

﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾^(١٠).

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾^(١١).

والإنسان جزء من هذا الكون، ومقهور لإرادة الله ومسخر لأمره تعالى في شطر من شخصيته بالضرورة. وهذه الاستجابة التكوينية تعم المؤمن والمنافق والكافر، من دون فرق.

□ المرتبة الثانية من الاستجابة: الاستجابة لأمر الله تعالى، بمعنى الطاعة وعدم الاعتراض وهي أدنى مراتب الاستجابة له تعالى، في التشريع والتكوين.

وهذه المرتبة بدون ريب من مراتب التسليم لأمر الله تعالى في أمره

وقضائه، ولكن التسليم على مرتبتين:

١- التسليم بمعنى الطاعة وعدم الاعتراض.

٢- والتسليم عن رضا بأمر الله.

والاستجابة في هذه المرتبة تسليم بالمعنى الأول، وهو روح الإسلام وجوهه. وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الشأن: «لأنسب الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي، ولا ينسبه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل» (١٢).

هذا التسليم لأمر الله في مساحة التشريع وهو الإسلام لله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (١٣).

﴿فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنَ...﴾ (١٤).

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٥).

وهو طاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله.

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (١٦).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٧).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (١٨).

وكما يحب الله تعالى من عباده التسليم له في أحكامه وحدوده وشريعته،

يحب منهم التسليم في قضائه وقدره.

وهو من خصائص الإيمان، ولا شك في أن الإنسان يحب العافية فيما يرزقه

تعالى.

ولكن المؤمن إذا أنزل به البلاء سلم أمره إلى الله تعالى.

يروى أن صبياً لأبي جعفر الباقر عليه السلام كان قد مرض واشتد مرضه، فقلق

الإمام الباقر عليه السلام وبأن ذلك على وجهه، فمات الطفل فانبسط وجه الإمام



الباقر عليه السلام واطمأن، فتعجب من ذلك أصحابه.
فقال عليه السلام: «إِنَّا لَنَحِبُّ أَنْ نَعَا فِي فَيْمَنْ نَحِبُّ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ سَلَّمْنَا فِيهِمَا يَحِبُّ» (١٩).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه موسى عن جعفر عليه السلام قال: أمرني أبي (يعني أبا عبد الله عليه السلام) أَنْ آتِيَ الْمُفْضِلَ بْنَ عَمْرٍو فَأُعْزِّيهِ بِإِسْمَاعِيلَ، وَقَالَ: اقْرَأِ الْمُفْضِلَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: أَصَبْنَا بِإِسْمَاعِيلَ فَصَبْرُنَا، فَاصْبِرْ كَمَا صَبْرُنَا. إِذَا أَرَدْنَا أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا سَلَّمْنَا لِأَمْرِ اللَّهِ (٢٠).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ الشَّيْءَ قَدْ مَضَى لَوْ كَانَ غَيْرَهُ (٢١).

وهذه المرتبة من التسليم في الاستجابة لأمر الله - تعالى - تجري في أحكامه تعالى في التشريع والتكوين على نحو سواء.

□ المرتبة الثالثة من الاستجابة: الاستجابة والتسليم لأمر الله عن رضا، وهذه مرتبة فوق المرتبة السابقة وتجري في التشريع والتكوين كذلك على نحو سواء.
عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أَعْبُدَ اللَّهَ فِي الرِّضَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ (٢٢).

وفي هذه الرواية تفكيك واضح بين مرتبتين من الاستجابة والتسليم، وإنَّ المرتبة العليا هي الاستجابة والتسليم عن رضا، فإن لم يتمكن العبد من هذه المرتبة فليصبر ويسلم أمره لله تعالى عن صبر على قضاء الله وقدره، ولا يعترض، أو يتذمر، أو يشكو من قضاء الله.

وليس معنى «الرضا» بأمر الله أَنْ لَا يَحِبُّ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ وَلَنْ يَحِبُّ شَيْئًا، وَلَكِنْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مَا يَكْرَهُ رَضِيَ بِمَا يَحِبُّ اللَّهُ، وَجَعَلَ رِضَاهُ تَبَعًا لِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«إنا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب، فيعطينا، فإذا أحب ما نكره فيمن نحب رضينا» (٢٣).

□ والمرتبة الرابعة للاستجابة: هي الاستجابة عن حب وشوق إلى الله تعالى ودعوته وأمره وقضائه.

والحب والشوق مرتبة فوق مرتبة الرضا. وأحسن حالات العبادة والإقبال على الله والاستجابة لدعوته تعالى وأمره وذكره، هو ما يكون عن شوق وحب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبها بقلبه، وبأشرها بجسده، وتفزع لها، فهو لا يبالي أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر» (٢٤).

يروى هارون بن خارجة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة» (٢٥).

عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «إن الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاث أوجه: فطبقاً يعبدونه رغبة في ثوابه، فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع. وآخرون يعبدونه خوفاً من النار، فتلك عبادة العبيد، وهي الرهبة. ولكني أعبدته حباً له عز وجل، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن لقوله عز وجل: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ (٢٦)، ولقوله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (٢٧).



فمن أحبَّ الله عزَّ وجلَّ أحبَّه الله، ومن أحبَّه الله كان من الآمنين» (٢٨).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد. وإنَّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار» (٢٩).

يقول الشيخ محمد مهدي الزاقي في كتابه القيم «جامع السعادات» في التعليق على الروايات الواردة في «عبادة الأحرار»:

«لا ريب في أنَّ العبادة على الوجه الأخير لا نسبة لمنزلتها ودرجتها إلى درجة العبادة على الوجهين الأولين، فإنَّ من تنعم بلقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم يسخر ممَّن يلتفت إلى وجه الحور العين» (٣٠).

«تكبيرة الإحرام» و«التلبية»:

وقد أودع الله تعالى في «الحج» كنوزاً من الوعي، والإخلاص، والانفتاح، والإقبال على الله، والإعراض عمَّا دون الله، والكدح، والتسليم، والتوحيد، والإخلاص، والتوكل، والذكر، والولاء، والبراءة، وغير ذلك من أبواب المعرفة والكدح إلى الله، ومفتاح هذه الكنوز جميعاً «التلبية»، ولا ينال الحاج ما أودع الله تعالى في الحج من هذه الكنوز إلَّا إذا أحسن التلبية.

ومن لا يحسن التلبية لا ينال من حجَّه الكثير، وكلَّ ما كان حظَّ الحاج أكثر من الإقبال والانفتاح على الله في التلبية كان حظُّه من مواهب الحج أكثر. وشأن «التلبية» في الحج شأن «تكبيرة الإحرام» في الصلاة. فإنَّ الصلاة كنز، ومفتاح هذا الكنز تكبيرة الإحرام. ومن أحسن «تكبيرة الإحرام» في الصلاة فتح الله تعالى عليه كنوز الصلاة، ومن لم يحسن تكبيرة الإحرام، كانت صلاته هيكلاً من دون روح.

فإنَّ كلاً من الصلاة والحج، رحلة إلى الله تعالى. وكلّ رحلة إلى الله عروج وصعود. ولا بدّ في هذا العروج من أن ينفصل عن هذه الدنيا ويقطع عنها إقلاعاً كاملاً بصورة مؤقتة خلال هذه الرحلة، وما لم يقلع الإنسان في صلاته وحجّه عن دنياه، وما لم يتحرّر من الأواصر والعلائق التي تشدّه إلى هذه الدنيا شداً، لا يستطيع الإنسان أن يجد في صلاته وحجّه ذوق العروج والسفر إلى الله. وليس يدعو الإسلام الناس إلى أن يفصلوا أنفسهم عن دنياهم التي لا بدّ لهم منها، ولا يريد منهم أن يعرضوا عن هذه الدنيا وما فيها من لذة ونعيم وعلائق ووشائج تشدّهم بها، وإنّما يطلب منهم أن يتحرّروا في حياتهم من أسر التعلّق بهذه الدنيا وحبّها والافتتان بها. وهذا رأي الإسلام في التعامل مع الدنيا.

تكبيرة الإحرام مفتاح الصلاة:

فإذا أقبل العبد على الله - تعالى - في صلاته فلا بدّ من أن يفصل نفسه عن هذه الدنيا وما فيها من علائق ووشائج ولذة وفتنة فصلاً كاملاً؛ لكي يستطيع أن ينعم بلذة العروج والصعود إلى الله في الصلاة.

ففي هذه الرحلة العجيبة التي يكرم الله - تعالى - بها عباده في كلّ يوم خمس مرّات، يمزّ الإنسان بآفاق رحبه من الحمد، والعبادة، والاستعانة بالله، والتوحيد، والتعظيم، والدعاء، والتسبيح، والتأليه، والذكر، والشكر، والتضرّع، والإبتهاال، والمناجاة، والتسليم له، وما لا أعرف من آفاق العبودية لله، وليس بإمكان الإنسان أن يقطع هذه الآفاق الرحبة المباركة من لقاء الله، ما لم ينفصل بشكل كامل عن هذه الدنيا وما فيها من لذة ونعيم وعلائق ووشائج وهمّ وحرص وقلق وانشغال، فإنّها تصرفه وتشغله عن آفاق اللقاء في هذه الرحلة.

وأشدّ ما في الصلاة، هو هذا الانفصال والإقلاع عمّا حول الإنسان من



العلائق والوشائج ومن الهمم والتفكير في الدنيا والانشغال بها، فإذا أمكنه أن يقلع في صلاته عن ذلك كله أمكنه أن يعرج في صلاته إلى الله، وأن يتمتع في هذه الرحلة بلذة لقاء الله، وأن يعيش فيها آفاق اللقاء الرحبة المباركة، وأن يتمتع بمواهبها وكنوزها.

ومفتاح ذلك كله «تكبيرة الإحرام»، فإنها إذا أداها مقيم الصلاة أداءً صحيحاً تفصله مرة واحدة، - وبحركة سريعة خفيفة عما حوله - فصلاً سريعاً قوياً.

فإن تكبيرة الإحرام تتضمن بُعدين، أحدهما يتضمن الآخر، وهما معاً يقومان معنى هذه التكبيرة العظيمة التي يفتح بها المصلي صلاته.

البعد الأول: تكبير الله تعالى وتعظيمه. والله كبير عظيم، ذو الجلال، والكبرياء، والعظمة، إلا أن هذا التكبير يتضمن معنى رقيقاً يستحق الكثير من التأمل والتفكير، وهو معنى «أفعل التفضيل» في هذه الكلمة، ومقارنة كبرياء الله - تعالى - إلى وضاعة الدنيا، وجلال الله إلى حقارة ما يشغله ويصرفه عن الله. فكل ما في هذه الدنيا مما دون الله حقير وضع، ومتاع زائل، ومن سقط المتاع ومتاع الغرور.

﴿إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (٣١).

ومتاع مثل هذا المتاع زائل ووضع لا يستحق أن يصرف الإنسان ويشغله عن الله ذي الجلال والاکرام، ولو اللحظة واحدة، ولا يحسن به أن يرافقه في هذه الرحلة، فيشغله عن الله، ويصرفه عنه تعالى، ولو لبعض الوقت، وببعض

الانشغال والانصراف، فإن الله أكبر من كل ذلك وأجل وأعظم، وهو الباقي وما في هذه الدنيا زائل، وهو الحق وما في هذه الدنيا باطل، وهو العظيم وما في هذه الدنيا حقير. وهذا هو البعد الثاني الذي تتضمنه تكبيرة الإحرام. وهذا البعد يستنبطه معنى «أفعل التفضيل» في التكبيرة.

ويستحب أن يفتح المقيم للصلاة صلاته بسبع تكبيرات، ليؤكد ويعمق في نفسه حالة الإقلاع والفصل عن الدنيا، ويتجاوز بها المحجب التي تحجبه عن الله تعالى، ليكنه بعد ذلك أن ينطلق إلى الله في هذه الرحلة العجيبة. وقد روي في تعليل التكبيرات السبعة في افتتاح الصلاة: «أن النبي ﷺ لما أسري به إلى السماء قطع سبعة حُجب، فكبر عند كل حجاب تكبيرة، فأوصله الله - عز وجل - بذلك إلى منتهى الكرامة» (٣٢).

والتلبية مفتاح الحج:

وينطلق الحاج إلى الحج من «المِيقَات» بـ«التلبية»، والتلبية مفتاح الحج، كما أن التكبيرة مفتاح الصلاة، ومن دون التلبية لا يتمكن الحاج من أن ينطلق في هذه الرحلة المباركة التي شق طريقها إليها أبونا إبراهيم عليه السلام، وعمقه، ووكده ابنه المصطفى خاتم الأنبياء ﷺ.

ولا يتأتى للإنسان أن ينطلق إلى الله في هذه الرحلة الإبراهيمية في الاستجابة لدعوة الله تعالى، من دون أن يفتح كل قلبه في هذه الاستجابة، ويلجى الدعوة إلى هذه الضيافة التي ينعم بها الله تعالى على عباده في كل سنة، عند بيته المحرم، بكل مشاعره وأحاسيسه وعقله وقلبه.

ولا تتأتى له هذه الاستجابة وهذا الانفتاح على هذه الدعوة إذا كان لا يعرض في هذه الرحلة - على الأقل - عن كل دعوة أخرى يدعوه إليها ما في



الدنيا من الغنى، وإذا كان لا يقاطع، - ولو بصورة مؤقتة - كل ما يشغل باله وهمه عن هذه الدعوة.

إن التلبية من فعل القلب، وأفعال الجوانح تختلف عن أفعال الجوارح. فليس في وسع القلب أن يكون له في وقت واحد همتان واهتمامان، وانشغالان، وانصرافان واستجابتان، وذكران، بعكس الجوارح التي يمكنها أن تمارس في وقت واحد أكثر من فعل واحد.

يقول تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ (٣٣). فليس في جوف الإنسان إلا قلب واحد، وليس للقلب الواحد إلا اهتمام واحد.

فإنما أن يصرف الإنسان هذا الاهتمام في الاستجابة إلى الله تعالى، وإما أن يصرفه إلى غير الله، وإما أن يعطل الإنسان قلبه، ويُبَلِّدُهُ فيكون محلاً لكل شارد ووارد.

التلبية استجابة وإعراض:

والتلبية استجابة وإعراض. استجابة لدعوة الله - تعالى - وإعراض عن كل دعوة أخرى. مما تلقاها في هذه الدنيا.

وليس يدعو الإسلام المسلمين إلى الإعراض عن الدنيا، وليس ينهي الإسلام عن الإقبال على هذه الدنيا وفتنها، وإنما يدعوهم إلى أن يجعلوا استجابتهم لها في طول استجابتهم لدعوة الله وامتدادها، وليس في عرضها، وإلى جنبها.

وأما في «الحج» فلا يتمكن الحاج أن يستجيب لهذه الدعوة الإلهية وأن يقطع آفاق هذه الرحلة الإبراهيمية المباركة إن لم يحض قلبه واهتمامه واستجابته

لله تعالى، ولا يتأتى له هذا التحيُّض إن لم يعرض عن أية دعوة أُخرى في هذه الدنيا. حتى لا تشغله دعوة عن هذه الدعوة، ولا تصرفه مغريات دعوات الدنيا وعواملها وفتنها عن دعوة الله تعالى لعبادة الله. و«التلبية» تتضمن هذين المعنيين معاً، الاستجابة لله، والإعراض عن غير الله، والانفتاح على الله والانقلاب عمّا دون الله.

الانقلاب الذي يحدث في «المِيقَات» بفعل «التلبية»:

و«التلبية» تفصل الحاج في المِيقَات فصلاً كاملاً عن دعوات هذه الدنيا ومغرياتها وفتنها وإثاراتها مرة واحدة، ويصبّ الحاج من كلّ فجٍّ عميق في المِيقَات بأزياء مختلفة وهموم كثيرة واهتمامات عديدة، فيصيغهم الله تعالى في «المِيقَات» صياغة جديدة وينزعهم من كلّ رغباتهم وهمومهم واهتماماتهم انتزاعاً كاملاً بـ«التلبية»، ويمحّضهم للاستجابة لدعوته تعالى، وينزعهم أزياءهم. ويوحّد نسكهم وزيّهم وهمّهم واهتمامهم وعملهم ومسارهم ويصّبّهم في مصبٍّ واحد إلى بيته المحرّم.

و مبدأ كلّ ذلك ومنطلقه «التلبية»، فإنّ التلبية توحد في نفس الحاج شتات الهموم والاهتمامات والاستجابات والرغبات، وتوحد همّهم واهتمامهم ورغباتهم واستجاباتهم باتجاه الاستجابة إلى دعوة الله تعالى.

إنّ «التلبية» تجمع شتات اهتمامات الإنسان في همّ واهتمام واحد، وتجمع بنفس الطريقة شتات اهتمام الناس وتعدد مذاهبهم في الحياة الدنيا في اتجاه واحد. إنّ الحياة تشتت الإنسان إلى هموم واهتمامات شتّى، وتشتت الناس إلى مصالح ومذاهب شتّى.

والمِيقَات يجمع شتات الناس، في همّ واحد، واهتمام واحد، وزيّ واحد،



وطريق واحد.

و «التلبية» هي وسيلة هذا التوحيد، وفي الوقت نفسه توجه هذا الحشد البشري الهائل الواحد إلى الله الواحد القهار.
فهي توحد الإنسان (الفرد) وتوجهه إلى الله.
وتوحد الناس (المجتمع) وتوجههم إلى الله.
وهذا الانقلاب العظيم يجري في «الميقات» بفعل «التلبية»، و «الميقات» و «الحرم» وعاء هذا الانقلاب، و «التلبية» عامل هذا الانقلاب.
وغاية الحج أن تتحول ساحة الحياة كلها إلى «الميقات» و «الحرم»، ويكون لكلمة «لا إله إلا الله» في ساحة الحياة الواسعة نفس الفعل والدور الذي يكون لكلمة «التلبية»، وأن ينقل الحجاج «الحرم» إلى واقع حياتهم في «السوق».

ومن يؤس الناس وشقائهم أنهم ينقلون «السوق» إلى «الحرم»، بخلاف ما يريد الله تعالى وذلك أن «التلبية» تعيد بناء الفرد والمجتمع.
وهذا البناء يتم على صعيدين:

توجيه الناس إلى الاستجابة لله تعالى، وهو البعد الأول. وتوحيد الناس بهذا الاتجاه، وهو البعد الثاني. والبعد الأول يوحد شتات هموم الإنسان واهتماماته، والبعد الثاني يوحد شتات مذاهب الناس ومصالحهم وأعمالهم.
ويحب الله تعالى أن ينقل الحجاج هذه «الوحدانية الموجهة» إلى حياتهم في الأسواق، وفي مواقع الحكم والسياسة، وساحات الصراع ... ومن عجب أن الناس ينقلون شتات أهوائهم وميوهم ومذاهبهم إلى «الميقات» و «الحرم».
ولو أمعنا النظر في «الميقات» و «التلبية» لقلنا: إن الميقات ليس فقط يستقبل شتات الناس ليصهرهم في اتجاه واحد، واهتمام واحد، وأسرة واحدة،

وهمّ واحد، وإنّما ينتزعهم من دنياهم انتزاعاً ليعبد بناءهم الفردي والاجتماعي، بعد أن شتتتهم الحياة الدنيا آراءً ومذاهب ومصالح وهموماً.

هذا إذا أعطى الحاج نفسه لـ «التلبية»، وفعل «التلبية» في نفسه، وفتح كلّ قلبه بالتلبية على الله، ولم يحتفظ لنفسه عند التلبية بشطر من قلبه، ويعطي الشطر الآخر لله تعالى. فإنّ القلب السليم لا ينشطر ولا يتعدّد. ﴿ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه﴾.

والقلب البليد العاقل فقط ينشطر ويتعدّد.
وأمانة سلامة القلب توحيد الله، وأمانة بلادة القلب وعطّله التعدّد والانشطار.

والتلبية توجه القلوب إلى الاستجابة لله، وتوحّد القلوب في هذه الاستجابة.

وهذه هي أبعاد هذا الانقلاب العظيم. ووعاؤه «الميقات» و «الحرم». وعامله «التلبية».

روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّما أمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه، ولئلا يلهو ويشغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها، ويكونوا جادّين فيما هم فيه، قاصدين نحوه مقبلين عليه بكلّيتهم» (٣٤).

تأكيد التلبية:

لقد ورد في النصوص الإسلامية الاهتمام بتكرار التلبية، والإكثار منها وترديدها.

روى ابن أبي عمير وابن فضال عن رجال شتّى عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لبّى في إحرامه سبعين مرّة احتساباً أشهد الله له ألف ملك



ببراءة من النار وبراءة من النفاق (٣٥).

والبراءة من النفاق من فعل التلبية، فإن التلبية وترديدها وتكرارها تزيل النفاق من النفس وتبرئ صاحبها من حالة النفاق، وتشتت الميول والأهواء والهموم.

وكان رسول الله يلبّي بالتلبيات الأربع المعروفة ويكثر من ذي المعارج (٣٦).

وهي:

«ليبك ذا المعارج لبيك، لبيك تُبدئ وتعيد، والمعاد إليك لبيك، لبيك داعياً إلى دار السلام لبيك، لبيك كشّاف الكرب العظام لبيك، لبيك يا كريم لبيك، لبيك عبدك وابن عبدك بين يديك لبيك، أتقرب إليك بمحمد وآل محمد، لبيك» (٣٧).

شعور الحاج عند التلبية:

إن التلبية تقترن في نفس الحاج بانفعالات نفسيّة وأحاسيس مختلفة، فهي تقترن بالشوق إذ يقبل الحاج إلى الميقات ملبياً دعوة ربّه. ويقترن بالإحساس بالهيبة عندما يشعر الحاج أنّه يقف بين يدي ذي الجلال والعظمة ليلبّي دعوته. ويقترن بالرهبة والخوف، عندما ينظر إلى نفسه، فلا يراها أهلاً لهذا التكريم الإلهي، ولا يراها موضعاً لهذه الدعوة الإلهية ويخشى أن يردّ الله تعالى تلبيته. روى الصدوق في الأمالي عن ابن المتوكل عن السعدآبادي عن البرقي عن أبيه، عن الأزدي قال: سمعت «مالك بن أنس» فقيه المدينة يقول: كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فيقدّم لي محذّة، ويعرف لي قدراً، ويقول: مالك إنّي أحبّك، فكنت أسرّ بذلك، وأحمد الله عليه.

قال: وكان - عليه السلام - لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إمّا صائماً، وإمّا قائماً، وإمّا ذاكراً، وكان من عظماء العباد، وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عز وجل، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله ﷺ، اخضر مرة واصفر مرة أخرى، حتى ينكره من كان يعرفه.

ولقد حجبت معه سنة، فلما استوت به راحلته عند الإحرام كان كلما هم بالتلبية إنقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخز من راحلته، فقلت: يا ابن رسول الله ﷺ ولا بد لك من أن تقول، فقال: كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك (٣٨).

وعند الوقوف بين يدي الله تعالى في موقف التلبية في الميقات تتفاعل هذه الانفعالات والأحاسيس في نفس الحاج، وهذا المزيج المتناسق والمتكامل من المشاعر والانفعالات النفسية تساهم في هذه النقلة والانقلاب النفسي والاجتماعي الذي يحصل للحجاج في «الميقات» و «الحرم».

الهوامش :

(١) الحج : ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٩٩ : ١٨٤؛ وعلل الشرايع : ٤١٦.

(٣) الأحزاب : ٧٢.

(٤) فاطر : ١٥.

(٥) فروع الكافي ١ : ١٩٦؛ من لا يحضره الفقيه ١ : ٢٣.

(٦) وسائل الشيعة ٤ : ١٠٨٦ ح ٨٦١٦.

(٧) الأنفال : ٢٤.

(٨) النساء : ٦٥.

(٩) بحار الأنوار ١ : ١٠٩.

(١٠) الأعراف : ٥٤.

(١١) النحل : ١٢.

(١٢) بحار الأنوار ٦٨ : ٣٠٩.



- (١٣) النساء : ١٢٥.
- (١٤) آل عمران : ٢٠.
- (١٥) غافر : ٦٦.
- (١٦) آل عمران : ٣٢.
- (١٧) آل عمران : ١٣٢.
- (١٨) الأنفال : ٢٠.
- (١٩) بحار الأنوار ٤٦ : ٣٠١.
- (٢٠) بحار الأنوار ٨٢ : ١٠٣.
- (٢١) تنبيه الخواطر : ٤١٧.
- (٢٢) المحجة البيضاء ٥ : ١٠٤.
- (٢٣) بحار الأنوار ٨٢ : ١٣٢.
- (٢٤) أصول الكافي ٢ : ٨٣.
- (٢٥) وسائل الشيعة ١ : ٤٥، مكتبة الإسلامية، طهران.
- (٢٦) النمل : ٨٩.
- (٢٧) آل عمران : ٣١.
- (٢٨) وسائل الشيعة ١ : ٤٦؛ عن علل الشرائع : ١٦؛ والمجالس : ٢١؛ والخصال ١ : ٨٨.
- (٢٩) نهج البلاغة بتحقيق صبحي صالح ٣ : ٥١٠ حكمة رقم ٢٣٧.
- (٣٠) جامع السعادات ٣ : ١١٧.
- (٣١) الحديد : ٢٠.
- (٣٢) وسائل الشيعة ٤ : ٧٢٢.
- (٣٣) الأحزاب : ٤.
- (٣٤) وسائل الشيعة ٩ : ٣.
- (٣٥) المحاسن للبرقي : ٦٤.
- (٣٦) قرب الاسناد : ٧٦.
- (٣٧) فقه الرضا عليه السلام : ٢٧.
- (٣٨) أمالي الصدوق : ١٦٩.

الحجّ في موكب التاريخ

أحمد الواسطي

الحج - عند البشر جميعاً - هو زيارة جماعية لمكانٍ مقدس، في وقتٍ معلوم، بقصد الشعور باقتراب خاص من المعبود الذي يؤمن به القوم. ويربطون هذه الزيارة بذكريات معيّنة موهلة في القدم، تتصل بالمكان الذي يفدون إليه.

هكذا كان الحجّ ولا يزال، فقد قدّس الناس الأشجار والغابات والجبال، والأنهار، والآبار وجعلوا منها أماكن يزورونها جماعات، فيشعرون بالقوّة التي يبعثها في نفوسهم العدد الكثير، وبالطمأنينة لوجودهم معاً في موقف عبادة ذات شعائر خاصة، ونظام دقيق. ومن المؤكد أن الإنسان في العصور السحيقة قبل التاريخ، كان يرتاد بقاعاً من الأرض يجد لها رهبة، أو راحة نفسية، أو شفافية روحانية، يخلّق بها في آفاق أسمى من المطالب المادية التي تحاصره. ثمّ تبلور هذا الشعور في العصور التاريخية القديمة: فالمصريون القدماء كانوا يعتقدون أنّ آلهتهم



وفي العراق القديم، كانت كل إمارة سومرية أو أكادية في (الألف الرابع قبل الميلاد) تتخذ لها عاصمة: تل العبيد - الوزكاء - أور - إريدو - تل خلف - نينوى - بابل - خفاجي - أرل - كوكوك ... الخ وكان تخطيط العاصمة يبدأ بمسجد مركزي، يمنح المدينة قدسيته، إذ يصبح حرماً ومكاناً للحج. وكان هذا المسجد إما مربعاً، إشارة إلى أن الله هو المهيمن على الجهات الأربع للعالم: الشرق والغرب والشمال والجنوب، وإما بيضوياً، يذكر بأن الله خالق للحياة، بإرادته تخرج الدجاجة، لتبيض بدورها بمشيئته، فتستمر الحياة. وفي كل مسجد برج شامخ يسمونه «زقورة» شكله مربع في المعابد المربعة، ومستدير في المعابد البيضاوية، ينتهي من أعلى بشرفة يرصد منها الكهنة النجوم - وكانوا يعبدونها - ويعلنون بدايات الطقوس الدينية للحجاج. وهكذا كان الحج في إيران القديمة وبلاد الحثيين في آسيا الصغرى وغيرها من

الفرعونية تجتمع في معبد «أوزيريس» بمدينة «أبيدوس» في عيد هذا المعبود، فكانوا يحجّون إليه بهذه المناسبة. وكان الهنود يحجّون إلى المعابد الضخمة بجبال الهملايا، أو على ضفاف نهر الكنج، في «جُمتا»، أو «برندابان» أو في مدينة «بنارس» الجليلة القدر عندهم. وفي الصين كانت الجبال المقدسة التي يؤمونها للحج كثيرة، خاصة جبال «تاي - تشان». وفي اليابان حيث تلتقي عبادة أرواح الأسلاف بالطقوس البوذية، في تعايش سلمى منسجم، تقوم معابد (الشنتو) - أي تقديس الأسلاف - مستقلة عند المعبد البوذي ومجاورة له: الأولى تسمى في لغتهم «جِنجا» والثانية «أوتيرا». وأماكن حجهم على الجبال العالية، ولا سيما جبل «فوجي ياما». كما يؤمّون المعابد البوذية في مدينة «نارا» حيث أقسم أسلافهم القدماء على تحرير وطنهم من التبعية لامبراطور الصين، فأصبح معبدها البوذي مكاناً للحج.

بلدان العالم القديم.

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام قد رفع القواعد من بيت الله في مكة المكرمة، فإنه لم يرد عنه، حتى في المرويات اليهودية، أنه بنى لله - تعالى - بيتاً آخر في فلسطين، بل يقولون: إنه مرّ ببلدة «سالم» وهو الاسم الفلسطيني القديم للقدس فنزل ومن معه ضيوفاً على ملكيصادق (ملك الفلسطينيين) وقدم ملكيصادق ملك (سالم) خبزاً ونبيذاً؛ لأنه كان كاهناً لله العليّ، ثم باركه وقال: «مبارك أبرام من الله العليّ مالك السموات والأرض، وتبارك الله العليّ الذي دفع أعداءك إلى يديك»^(١).

أما الساميون فقد كانوا على اختلاف عشائريهم يجمعون إلى أماكن معينة في أوقات معلومة. وكان أهم هذه البقاع المباركة عندهم، الجبال والأشجار والآبار وعيون الماء، فنقرأ مثلاً في التوراة: «وهذه هي الرسوم والأحكام التي أعطاك الرب إله آبائك، لتملكها كلّ الأيام، التي تحيونها على

الأرض، تقوّمون جميع المواضع التي كانت الأمم التي ترثونها تعبد فيها آلهتها: على الجبال الشامخة، والتلال، وتحت كلّ شجرة وارفة، وتهدّمون مذابحهم، وتكسّرون أنصابهم، وتحرقون غاباتهم بالنار، وتحطّمون زخارفهم لآلهتهم، وتحمون أسماءهم من ذلك الموضع، حتى لا تصنعوا هكذا نحو الرب إلهكم. بل الموضع الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم، ليحلّ فيه اسمه ويسكن فيه، فتؤمنونه، وإلى هناك تسيرون، حاملين إليه محرقاتكم وذبائحكم وأعشاركم وتقدمات أيديكم ونذوركم ونوافلكم وبكور بقركم وغنمكم. وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بجميع ما تمتد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم، مما بارككم فيه الرب إلهكم»^(٢).

ولم ينصّ الرب - لا هنا ولا في أي نصّ من كتابهم - على هذا الموضع! أمّا «أورشليم» فلم يكن اسمها قد أطلق عليها بعد، بل كانت تحمل اسم «سالم»



يعقوب في أرض كنعان بالقرب من نابلس، فقد كان المكان الأول الذي يحج إليه بنو إسرائيل حتى بعد أن شيّد سليمان الهيكل في القدس، ولم يفقد منزلته هذه إلا بعد انشطار مملكة سليمان نصفين بعد وفاته:

السامرة شمالاً وكانت مملكة معادية لأسرة داود وسليمان في الجنوب، وتسمي نفسها إسرائيل! واستمرت في الحج إلى «بيت إيل». أما أسرة يهوذا المنحدرة من داود وسليمان فكانت تحج إلى «الهيكل» في أورشليم، وهو الاسم الذي اشتهرت به منذ سليمان.

الحج قبل الإسلام وبعده:

تعدّ أيام الحج وما بعدها أعياداً تقام بها الأفراح لإدخال السرور إلى قلب الأرباب. ويكون الحج بالدعاء وبخطبة الآلهة، غير أنّ بعض الجاهليين كان يحج صامتاً أي من دون كلام. وقد تميّز الشهر الذي يقع فيه الحج عن الأشهر الأخرى بتسميته بشهر ذي

الفلسطيني، ثمّ سميت «يبوس» باسم العشيرة الفلسطينية التي كانت تسكنها، أما «أورشليم» فقد بدأ بناءها داود وأتمّها سليمان، كلّ ذلك بعد موسى بخمسمائة سنة، وهما عند اليهود من الملوك وليس من الأنبياء، ولا الكهنة!

وكان اليهود - أو بنو إسرائيل - يجعلون من الأشجار والجبال والتلال وعيون الماء والآبار مزارات يحجّون إليها ويتبرّكون بها، ويبنون عندها معابدهم^(٣).

ولا يفوتنا أن نذكر «بئر الحسيّ الرائي» بالقرب من الخليل، وقبالة سديانة قرأ، وكثير من اليهود يحجّون إليها حتى اليوم، لما جاء في التوراة: «وكان بعد موت إبراهيم أنّ الله بارك إسحق ابنه، وأقام إسحق عند بئر الحسيّ الرائي...»^(٤).

كما سبق ذكر التبرك بهذه البئر، إذ تزوج عندها إسحق من رفقة، قبل موت أبيه إبراهيم وسارة^(٥).

أما معبد «بيت إيل» الذي أقامه

الحجة وبشهر الحج. وهذه التسمية المعروفة حتى الآن في التقويم الهجري هي تسمية قديمة، كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام^(٦). وكان هناك

عدد من الآلهة يحج الناس إليها في الجاهلية؛ لذلك تعددت بيوت الأرباب. ومعنى هذا أن حج أهل الجاهلية لم يكن إلى مكة وحدها، بل كان إلى محجّات عديدة أخرى، بحيث حج كل قوم إلى البيت الذي قدّسوه، والصنم الذي عبده وطافوا حوله وتقرّبوا إليه ولّبّوا له. وكانت «قريش» تتعبّد لأصنامها في الكعبة، ولكنها كانت تزور «العزّى» وتهدي لها وتتقرّب لها بالذبائح، كما كانت «قُضاعة» و «لَحْم» و «جَذام» و «أهل الشام» يحجّون إلى «الأقيصر» ويحلقون رؤوسهم عنده.

وكانت «مُذحج» تحج إلى «يَغوث» كما كانت «طَي» تعبد «الغلس» وتهدي إليه. وكانت «ثقيف» تعبد «اللات» في الطائف. وحجّ الجاهليون إلى بيوت أخرى مثل «بيت نجران» و «بيت ذي الخُلصة» و «بيت مناة» و «بيت جَهار» و «سُواع شمس» و «مَحْرَق» و «مَرَحَب» و «ذُرَيْج»^(٧).

ولم تكن طقوس الحج إلى مكة واحدة عند كل القبائل، بل كانوا يختلفون ويصنّفهم المؤرخون في صنفين عامين هما «الحُمس» أو «الأحماس» و «الحُلّة» ويضيف البعض صنفًا ثالثًا هم «الطُّلس» أو (الأطلاس).

و «الحُمس» من العرب، وهم قريش كلّها و «خُزاعة» لنزولها مكة، وكلّ من ولدت قريش من العرب، وكل من نزل مكة من قبائل العرب. أمّا «الطُّلس» فهم سائر أهل «اليمين» وأهل «حَضْرَمَوْت» و «عك أَيْاد». أمّا «الحُلّة» فالمفروض أنهم بقية القبائل.

والأخباريون يذكرون أن الطائفتين بالبيت كان صنف منهم يطوف عرياناً، وصنف يطوف في ثيابه، ويعرف من يطوف بالبيت عرياناً بـ«الحُلّة».

أمّا الذين يطوفون بثيابهم



فيعرفون بـ«الحُمُس». معابدهم على نحو ما كان يفعلُه أهل
 وكان «الطُّلس» لا يتعرَّون حول الحجاز؛ لأنَّ الطواف حول بيوت
 الكعبة ولا يستعيرون ثياباً، ويدخلون الأصنام من السنن الشائعة بين العرب
 البيوت من أبوابها ولا يئدون بناتهم. وعند بني «أرم» و «النبط». وكان
 وكان «الحُلَّة» يقصدون من نزع الطواف حول البيت الحرام بمكة سبعة
 الثياب طرح ذنوبهم معها ويقولون: أشواط^(٩).
 إنَّهم لا يطوفون في الثياب التي فارقوا ومن مناسك الحج: التلبية وهي
 فيها الذنوب، ولا يعبدون الله في ثياب إجابة الملبِّي ربِّه وقولهم: لبيك اللهم
 أذنبوا بها. وذكر أنَّ «الحُلَّة» إذا أتمَّوا لبيك معناه: إجابتي لك يا رب.
 طوافهم تركوا ملابسهم عند الباب وكان الجاهليون يلبُّون تلبيات
 ولبسوا ملابس جديدة^(٨). مختلفة، فتلبية قريش كانت: «لبيك
 وقد منع الإسلام طواف العري اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك إلا
 في أي وقت، وحتَّم على جميع قريش شريك هو لك تملكه وما ملك».
 وغيرهم لبس الإحرام. والإحرام قديم وتلبية من نسك للعرى كانت:
 عرف عند غير العرب أيضاً. «لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك ما
 ويظهر أنَّ أهل مكة وقريشاً أحبنا إليك». وتلبية من عبد اللات
 كانوا يلبسون الإحرام أو يعيرونه كانت: «لبيك اللهم لبيك كفى بيتنا بنيه
 لغيرهم من العرب إن كانوا من ليس بمهجور ولا بلية، لكنه من تربة
 حلفائهم. زكية أربابه من صالحى البرية».
 ومن المحتمل أن «المعينين» وكانت تلبية من عبد «هبل»:
 و«السَّبيئيين» و «القَتَّبانين» «لبيك اللهم لبيك إنا لقاح حرمتنا على
 و«الحَضْرَميين» كانوا يطوفون حول أسنة الرماح يحسدنا الناس على

النجاح». والتلبية هي من الشعائر الدينية التي أبقاها الإسلام ولكنه غير صيغها القديمة بما يتفق مع عقيدة التوحيد، فصارت على هذا النحو:

«لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك. إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك».

كما جعلها جزءاً من حج مكة بعد أن كانت تتم خارج مكة، إذ كانت كل قبيلة تقف عند صنمها وتصلّي عنده ثم تلبي قبل أن تأتي إلى مكة، وذلك بالنسبة لمن كان يحج مكة فأبطل ذلك الإسلام^(١٠).

ومن مناسك الحج السعي بين الصفا والمروة وكان بهما صنمان هما لـ«أساف» و«نائلة» وطواف الحجاج بهما قدر طوافهم بالكعبة أي سبعة أشواط وكانت قريش تقوم بذلك. أمّا غيرهم فلم يطوفوا بهما. وبين «الصفا» و«المروة» يكون المسعى وكان «أساف» بالصفا و«نائلة» بالمروة. وكان أهل مكة يطوفون بـ«أساف» أولاً ويلمسونه كل شوط ثم ينتهون بـ«نائلة» ويلبّون لها. وذكر أن قوماً من المسلمين قالوا: يا رسول الله! لا نطوف بين «الصفا» و«المروة»، فإنه شرك كنّا نصنعه في الجاهلية، ولما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأُنزل الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾^(١١). ويتّضح من الأخبار أن الذين كانوا يطوفون بالصنمين ويسعون بينهما هم قريش خاصة؛ لأنها كانت تعبد الصنمين، وليس كل من كان يحج من العرب. وقد استبدل الإسلام الطواف بالسعي بين الموضعين. وذكر أن السعي بين «الصفا» و«المروة» شعار قديم من عهد هاجر أمّ إسماعيل^(١٢).

ومن مناسك حج أهل الجاهلية الوقوف بـ«عرفة» ويكون ذلك في اليوم التاسع من ذي الحجة ويسمى ذلك اليوم «يوم عرفة». ومن «عرفة» تكون الإفاضة إلى «المزدلفة» ومن «المزدلفة» إلى «منى».



من ذي الحجة، وقد وصفت في القرآن الكريم بالمشعر الحرام. وكانت الافاضة منها عند شروق الشمس إلى «منى». ومن المحتمل أن «المزدلفة» كانت من مواضع الجاهلية المقدسة التي لها صلة بالأصنام^(١٤).

وذكر جبل بـ«المزدلفة» اسمه «قُزَح»، وهناك صنم يقال له: «قُزَح» وقد تكون له صلة بهذا الموضع. ويذكر أنه كانت على قُزَح اسطوانة من حجارة مدوّرة محيطها (٢٤) ذراعاً وارتفاعها (١٢) ذراعاً كانت توقد عليها النيران منذ زمن قصي ليلة الجمعة.

وعند طلوع شمس اليوم العاشر من ذي الحجة كان الحجاج في الجاهلية يفيضون من «المزدلفة» إلى منى لرمي الجمرات ولنحر العتائر*، وإفاضة الجاهليين عند طلوع الشمس له دلالة على عبادة الشمس عندهم^(١٥).

ورمي الجمرات بمنى من مناسك الحج، وهو من شعائر الحج المعروفة في

وكان الجاهليون من غير قريش يفيضون في «عرفة» عند غروب الشمس وفي «المزدلفة» عند شروقها. ولم يكن «الحمس» يحضرون «عرفة» وإنما كانوا يقفون «بالمزدلفة»، وقد بدّل الإسلام ذلك وأخضع الجميع للوقوف بـ«عرفة». قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١٣)، يعني من «عرفة». و «عرفة» موضع على مسافة غير بعيدة عن «مكة».

ولابدّ من أنه كان من المواضع التي قدّسها الجاهليون، وربما كان له ارتباط بصنم من الأصنام.

ويقف الحجاج المسلمون موقف «عرفة» من الظهر إلى وقت الغروب. وقد يكون وقوف الجاهليين في «عرفة» وقت الغروب له علاقة بعبادة الشمس، فإذا غربت الشمس اتّجه الناس إلى «المزدلفة» وهي على منتصف الطريق بين «عرفة» و «منى».

وفيها يبيت الحجاج ليلة العاشر

* الذبائح.

المحجات الأخرى في جزيرة العرب، وكان معروفاً عند غير العرب أيضاً. ويرجع أهل الأخبار مبدأ رمي الجمرات إلى «عمرو بن لحي». وترمي الجمرات على مكان عرف بموضع الجمار بمنى، تتجمع وتتكوّم عنده الحصى، وهي جمرات ثلاث: الجمرة الأولى، والجمرة الوسطى وجمرة العقبة. ويرمي المسلمون كلاً منها بسبع حصي (١٦).

ومن الشعائر المتعلقة بمنى نحر الذبائح وهي «العتائر» في الجاهلية، والأضاحي أو الهدي في الإسلام ولذلك عرف هذا العيد بعيد الأضحى.

وكان الجاهليون يقلّدون «عتائرهم» بقلادة أو بنعلين يعلّقان على رقبة الحيوان إشعاراً للناس بأنه للذبيح.

ولا يحلّ للحجاج في الجاهلية حلق شعرهم أو تقصيره طيلة حجّهم وإلا بطل حجّهم.

ويلاحظ أنّ غير العرب من

«الجزيريين» كانوا يفعلون ذلك في المناسبات الدينية. وكانت القبائل لا تحلق شعرها إلا عند أصنامها وذلك بعد النحر مباشرة ولا يجوز أن يتمّ قبله. ولا يقتصر ذلك على الحجّ إلى مكة، بل يمتد إلى بقية الآلهة فكان الأوس يحلقون شعرهم عند مناة، وكانت «قضاة» و «لحم» و «جذام» تقصّ شعرها عند «الأقيصر». ويجوز للحجاج مغادرة «منى» في اليوم العاشر من ذي الحجة، أي في اليوم الأول من العيد، ففي هذا اليوم يكمل الحجاج حجّهم، ولكن فيهم من يبقى في هذا المكان حتى اليوم الثالث عشر وذلك ابتهاجاً بأيام العيد (١٧).

والجدير بالذكر أنّ الإسلام خطاً بالضمير الإنساني شوطاً بعيداً في جميع هذه المناسك والعبادات.

فالمسلم لا يحجّ إلى الكعبة ليعزّز فيها سلطان الكهّان أو ليقدم إليهم القرابين والاتاوات، وإنما هي فريضة «عبادية - سياسية» للأمة وفي مصلحة



فهيكَل بيت المقدس قد تهدّم منذ القرن الأول للميلاد، ولم يرد في الأناجيل المسيحية نصّ على مكان مقدس مفروض على المسيحيين أن يحجوا إليه، وكلّ ما عرف بعد القرون الأولى فإنما اتّبع فيه الخلق سنّة الملكة «هيلانة» أمّ الامبراطور قسطنطين التي قيل: إنها وجدت الصليب الأصيل في فلسطين عندما توجّهت إليها لزيارة آثار السيد المسيح، وهي قصة يكفي للدلالة على قيمتها التاريخية أنّ رواتها جميعاً نقلوها بعد عصر الملكة «هيلانة» وأنّ مؤرخ العصر الأكبر يوسيبوس Eusebius لم يشر إليها بكثير أو قليل على شدّة اهتمامه باستقصاء الأخبار التي لا تذكر بالقياس إلى هذا الخبر العظيم. ثم تتابعت القرون والدول - المنتسبة إلى المسيحية - وهي تتذرع بالأماكن المقدسة لترويج مطاعمها السياسية، فروسيا القيصرية تدّعي حمايتها على مذهب الكنيسة الشرقية، وملوك فرنسا يدّعون حمايتها على

الأمة، وعلى شريعة المساواة بين أبناء الأمة، وهي بهذه المثابة فريضة اجتماعية تعلن فيها الأمم الإسلامية وحدتها، والمساواة بين الكبير والصغير أمام الله وعند بيت الله. وليس المقصود بالضحية في الإسلام أنها طعام للكهان، أو طعام للإله، ولكنها سخاء من النفس في سبيل العبادة، يشير بها الإنسان إلى واجب التضحية بشيء من الدنيا في سبيل الدين، متجشّماً لذلك مشقة الرحلة وتكاليفها جهد المستطيع.

ويمتاز الحج في الإسلام بدلالته الروحية التي تناسب مقصدها الأسمى من تحقيق الرابطة بين الأمم، التي تدين بعقيدة واحدة في أرجاء الكرة الأرضية على تباعد مواقعها واختلاف أجوائها وفصولها، فهو رابطة من روابط السماء تؤمن بها أمم وُحّدت العقيدة السماوية، وإن فرّقت بينها شتّى المطارح والبقاع. فالحجّ الإسلامي في عصرنا هذا هو الفريضة الوحيدة الباقية من قبيلها في جميع الأديان الكتابية.

مذهب الكنيسة الغربية. ولما ذهب هؤلاء الملوك وتبعهم دولة الجمهورية «اللاتينية» كانت الغيرة على الحج في عهدها على أشدها وأقواها، ونشأت في أيامها صحيفة الحاج Pelerin التي بلغ المطبوع من أعدادها مئات الألوف، وامتلات صفحاتها بآنباء المعجزات والكرامات التي تشاهد في أرض الميلاذ، وتظافرت الدولة والكنيسة على ترويجها خدمة لمطامع الاستعمار.

ثم تقلبت الأيام حتى رأينا دعاة الاستعمار يسلمون الأماكن المقدسة إلى أيدي الصهيونيين! أما فريضة الحج الإسلامي فقد بقيت لها رسالتها التي لا عبث فيها ولا موضع للمكر والدسياسة من ورائها، وإن رسالتها اليوم في العالم الإسلامي لأعظم وألزم من رسالاتها في جميع الأزمنة؛ لأنها العهد المجدد في كل عام بين شعوب الإسلام إلى الوفاق والوئام.

الهوامش :

- (١) التوراة، سفر التكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠.
- (٢) سفر التثنية ١٢ : ١ - ٧.
- (٣) سفر التكوين ١٨ : ١ - ١٤.
- (٤) التكوين ٢٥ : ١١.
- (٥) التكوين ٢٤ : ٦٢.
- (٦) د. جواد علي، مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ : ١٩٠.
- (٧) المصدر نفسه، ودراسة مستقلة حول أصنام العرب.
- (٨) المصدر نفسه ٦ : ١٩٨.
- (٩) المصدر نفسه.
- (١٠) د. جواد علي، مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ : ٢٠١.
- (١١) البقرة : ١٥٨.
- (١٢) د. صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب ١ : ٧٥.
- (١٣) البقرة : ١٩٩.
- (١٤ و ١٥) د. صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب ١ : ٨٠ - ٨١.
- (١٦ و ١٧) المصدر نفسه : ٨٦.

الحجر الأسود

محسن الأسدي

في ذلك الوادي الذي وصفه الله - تعالى - بأنه (غير ذي زرع) يرفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت الحرام، وعيونهما بين لحظة وأخرى ترمقان السماء، ويدعوان الله - تعالى - أن يتقبل عملهما ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾^(١).

وما إن وصلا ببناء الكعبة إلى المكان الذي شاء الله - تعالى - أن يوضع فيه الحجر الأسود (الركن الشرقي من جدار الكعبة، بينه وبين الأرض ذرعان وثلاثا ذراع، مقابل زمزم ..)^(٢) حتى أمر إبراهيم وإسماعيل قائلاً: إئتني بحجر ليكون علماً للناس، يبتدئون منه الطواف. فأتاه بحجر لم يرضه ... وبعد هنيئة وإذا بحجر بين يدي إبراهيم. فيعجب إسماعيل لهذا، ويسأل: من أين جاء هذا الحجر؟ فيجيبه إبراهيم: جاءني به جبريل من عند من لم يتكل على بني وبنائك، ولم يكلني على حرك^(٣).

ويكتمل البناء، ويُرفع الأذان بالحج على لسان نبي الله إبراهيم، ويلبي الناس دعوته من كل مكان، وتبدأ مسيرة الحج العظيمة لتستمر عبر التاريخ وإلى ما شاء الله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ • ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيُطَوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٤).

وبقيت الكعبة على هيئتها من عمارة إبراهيم عليه السلام حتى أتى عليها سيل عظيم انحدر من الجبال، فصدم جدرانها بعد توهينها ثم بدأت تنهدم، فاجتمع كبراء قريش، وقرروا إعادة بنائها.. وراحت قريش تنفذ ما قررت حتى ارتفع البناء إلى قامته الرجل، وآن لها أن تضع الحجر الأسود في مكانه من الركن، اختلفت حول من منها يضع الحجر في مكانه، وأخذت كل قبيلة تطالب بأن تكون هي التي لها ذلك الحق دون غيرها، وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي أن يحولوا بين أية قبيلة وهذا الشرف العظيم، وأقسموا على ذلك جهد أيمانهم، حتى قرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، وأدخلوا أيديهم فيها توكيداً لأيمانهم؛ ولذلك سُموا «لَعَقَةَ الدَّمِ». وعظم النزاع حتى كادت الحرب أن تنشب بينهم لولا أن تدخل أبو أمية بن المغيرة المخزومي بعد أن رأى ما صار إليه أمر القوم، وهو أسنهم، وكان فيهم شريفاً مطاعاً، فقال لهم:

يا قوم! إنما أردنا البر، ولم نرد الشر فلا تحاسدوا، ولا تنافسوا فإنكم إذا اختلفتم تشنت أموركم، وطمع فيكم غيركم، ولكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج [أو اجعلوا الحكم بينكم أول من يدخل من باب الصفا] قالوا: رضينا وسلمنا^(٥).



فلما قبلوا هذا الرأي، أخذوا ينظرون إلى باب الصفا منتظرين صاحب الحظ العظيم، والشرف الرفيع الذي سيكون على يديه حقن دمائهم، وحفظ أنفسهم... فاذا بالطلعة البهية، والنور الساطع.. أنظروا.. إنه محمد بن عبد الله.. إنه الصادق الأمين.. وبصوت واحد.. هذا الأمين قبلناه حكماً بيننا.. هذا الصادق رضينا بحكمه.. ثم تقدم نحوه كبراً وهم وزعماءهم.. يا محمد! أحكم بيننا فيما نحن فيه مختلفون! نظر إليهم رسول الله ﷺ فرأى العداوة تبدو في عيونهم.. والغضب يعلو وجوههم.. والبغضاء تملأ صدورهم.. أي قبيلة سيكون لها هذا الشرف العظيم، والفخر الكبير، إن حكم لقبيلة دون أخرى؟ وهل سيرضون بحكم كهذا، وقد ملئت قلوبهم بغضاً، ونفوسهم حقداً، ووضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم، وعلت الرماح فوق رؤوسهم؟

في هذا الجو المرعب والمخيف والمحاط بالشر، كل الشر، يقف الصادق الأمين ليعلم حكماً ينال رضاهم جميعاً، ويعيد السيوف إلى أغمارها.. الجميع سكوت ينتظر ما يقوله فتى قريش وأمينها، وهو في هذا العمر (٣٥ سنة) أمام شيوخ قريش وساداتها.. قال رسول الله ﷺ: هَلُمَّ [هلموا] إليّ ثوباً، الكل ينظر إليه، ماذا يريد بهذا محمد؟ فيقول آخرون: انتظروا لئلا نرى: أتى بالثوب، نشره بيديه المباركتين، رفع الحجر ووضعه وسط الثوب، ثم نظر إليهم وقال: ليأخذ كبير كل قبيلة بناحية من الثوب. فتقدم كبراً وهم وأخذ كل واحد منهم بطرف من أطراف الثوب، ثم أمرهم جميعاً بحمله إلى ما يحاذي موضع الحجر من بناء الكعبة حيث محمد بانتظارهم عند الركن. تناول الحجر من الثوب ووضعه في موضعه، فانحسم الخلاف، وانفض النزاع بفضل حكمة الصادق الأمين^(٦)، التي فعت الفتنة أن تقع، وحفظت النفوس أن تزهق، والدماء أن تراق، حقاً إنك يا رسول الله رحمة للعالمين قبل بعثتك نبياً وبعدها، حياتك عطاءً كلها وخيراً وبركة

كلّها. رفعت الحجر بيدك المباركة من الأرض، ثم رفعتَه ثانية لتضعه في مكانه فنال بذلك بركات أيدٍ ثلاثٍ لأنبياء عظام (إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم).

ولم يزل هذا الحجر في الجاهلية والاسلام محترماً معظماً مكرّماً، ولم يعتدّ على حرمة ومكانته حتى جاء القرامطة يتزعمهم أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٧ هـ ودخلوا مكة عنوة (يوم التروية)، فنهبوا وقتلوا الحجاج، وسلبوا البيت، وقلعوا الحجر الأسود ثم حملوه معهم إلى بلادهم بالإحساء من أرض البحرين، ويقال: إنّه لما أخذ الحجر، قال: هذا مغناطيس بني آدم، وهو يجرّهم إلى مكة، وأراد أن يحول الحجّ إلى الإحساء. وبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة، وقد باءت كلّ محاولات ردّه بالفشل، حتى توسط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي بين الخليفة المطيع لله في سنة ٣٣٩ وبينهم حتى أجابوا إلى ردّه، وجاءوا به إلى الكوفة، وعلّقوه على الأسطوانة السابعة من أساطين الجامع، ثم حملوه وردّوه إلى موضعه في شهر ذي القعدة من سنة ٣٣٩ هـ، وصنع له طوقان من فضة وأحكموا بناءه^(٧).

وهناك بعض الاعتداءات والتجاوزات التي كان الحجر الأسود عرضةً وهدفاً لها، لكنها لم تصل في خطورتها إلى اعتداء القرامطة المذكور^(٨).

وظل هذا الحجر موضعاً يتبرك به الناس، يتزاحمون على استلامه، وعلى تقبيله بدءاً برسول الله ﷺ، فقد كان يقبل الحجر الأسود عند دخوله إلى البيت، وقبل أن يبدأ طوافه سبعا، ويعيد تقبيله بعد أن ينهي الطواف والصلاة.

ولما أراد أن ينطلق مهاجراً إلى المدينة، جاء إلى الكعبة واستلم الحجر الأسود، وقام وسط المسجد ملتفتاً إلى البيت قائلاً: إني لأعلم ما وضع الله - عزّ



وجلّ - في الأرض بيتاً أحبّ إليه منك، وما في الأرض بلدٌ أحبّ إليّ منك (مكة)، وما خرجتُ عنك رغبةً، ولكن الذين كفروا هم أخرجوني... (٩).
فكان تقبيل الحجر واستلامه أول عمل له ﷺ في المسجد قبل الطواف، وقبل أن يقول أو يعمل شيئاً.

واقتردى المسلمون بسيرته ﷺ، فأخذوا يقصدون الحجر الأسود ويعظمونه، وراحوا يتسابقون لاستلامه وتقبيله تبركاً به؛ لأن رسول الله ﷺ كان يستلمه ويقبله ويستقبله ويدعو عنده... وقد ورد في ذلك حشدٌ من الروايات التي تصرح وبضرس قاطع بجواز التبرك بهذا الحجر استلاماً وتقبيلاً... إضافةً إلى آراء فقهاء المسلمين وعلمائهم على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية وكلّها تؤكد استحباب التبرك به... كما تبين وجوب الابتداء بالطواف حول الكعبة وبأشواطه السبعة - من الحجر الأسود والانتهاه إليه. وعدم صحة الطواف بل بطلانه إذا لم يبدأ به وينتهي إليه. ولم أجد فيما تيسر لي من المراجع مخالفاً لذلك الاستحباب وهذا الوجوب.

قالوا في الحجر الأسود:

كثرت الأقوال، واختلفت الآراء، والتساؤلات عن الحجر الأسود؛ من أين أتى به؟ ومن أيّ شيء هو؟ وهل يضرُّ أو ينفع؟ وما هذه الهالة التي أحيط بها في الروايات والأقوال وهو لا يعدو كونه حجراً عادياً؟..
وقد توفرت على كثير من هذه الأقوال والآراء، وقبل أن أذكر بعضاً منها، أقول: كلّ هذه الأقوال والآراء - التي دوّنت بعضها وتركت بعضها الآخر لا لشيءٍ إلا للاختصار. ليست هي السبب في فضله، وقدسيته عندنا وفي تعظيمنا

له؛ لأنّ ذلك الفضل وتلك القدسية وهذا التعظيم، وأيضاً وجوب البدء به في كلّ شوط من الطواف والانتهاء اليه، واستحباب التبرّك به تقبيلاً ولمساً أو استلاماً والدعاء عنده... كلّ هذه الأمور ثبتت عندنا بالسنة الصحيحة لرسول الله ﷺ فعلاً وقولاً وتقريراً، وسار عليها الصالحون وعموم المسلمين تعبدًا، واقتداءً واتباعاً لرسول الله ﷺ وتأسياً به، ولا يهمننا بعد هذا ما تحمله تلك الأقوال والآراء ككونه درّة بيضاء في الجنة، أو أنزله جبريل من السماء، أو كان ياقوتاً أو جوهرًا أو شيئاً آخر، أو أنه كما قرأت: من أن رجلاً من القرامطة، قال لرجل من أهل العلم بالكوفة، وقد رآه يتمسّح به وهو معلق على الأسطوانة السابعة: ما يؤمنكم أن نكون غيبنا ذلك الحجر وجئنا بغيره؟ فقال له: إنّ لنا فيه علامة، وهو أننا إذا طرحناه في الماء لا يرُسب، ثمّ جاء بماء فألقوه فيه، فطفأ على وجه الماء^(١٠). نعم، قد تزيدنا هذه الأقوال والآراء معرفةً به، وإطلاعاً عليه، لو ثبتت أمام التحقيق العلمي لها. أما لو تركنا نحن وهذه الأقوال والآراء - وبعيداً عن السنة المباركة - فإننا لا نستفيد تلك القدسية ولا ذلك الوجوب أو الاستحباب. صحيح أن قراءة روايات الحجر الأسود التي سأذكر قسماً منها من السنة والشيعه، وقراءة سيرة رسول الله ﷺ من الوقوف مستقبلاً هذا الحجر والدعاء عنده، ولمسه أو استلامه وتقبيله... هذه القراءة تبين لنا أنه حجر ذو شأن كبير وأثر عظيم، وأنه ليس كباقي الأحجار الأخرى التي قد يحمل نفس مكوّناتها.

وعلى فرض صحة ما ذكرناه من أن إبراهيم عليه السلام قال لإسماعيل: إئتني بحجر ليكون علماً للناس، يبتدئون منه الطواف، لكن هذا لا يمنع من أن تكون له أغراض أخرى، - غير كونه علماً يُبتدأ منه الطواف - إن لم تكن في الدنيا ففي الآخرة كما تحدّثت عنها روايات الفريقين، وليس عجيباً وغريباً أن يدلي بشهادته في ساحة الحساب الأكبر ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾^(١١).



قال تعالى: ﴿...الذي أنطق كل شيء...﴾ (١٢).

فينطق الحجر الأسود، ويشهد على كل عهد، وكل ميثاق تم في ساحته، حيث بداية مسيرة الطواف، فيستقبله كل حاج ويدعو ويتعهد عنده بالتخلي عن كل ما ارتكبه من انحراف ومن ذنوب ومخالفات. وأنه يجدد البيعة لرسول الله ﷺ والالتزام بما جاء به من عند الله - تعالى - ويتعهد أيضاً بالطاعة والانضمام إلى موكب التائبين كما ستقرأ ذلك في الأدعية المأثورة عند الحجر وأول الطواف. وعندئذ سيكون نطقه وستكون شهادته ضارة أو نافعة لنا وبالتالي يمكن وصفه بأنه ضار أو نافع.

ولكننا لو تركنا هذا كله وقلنا: إنه حجر كباقي الأحجار المبعثرة هنا وهناك، وأنه لا يستحق هذه الكثرة من الروايات والأقوال والآراء.. وبالتالي ليس هناك سبب لأن يحظى بالقدسية والاهتمام. ويبقى مجرد علامة يستدل بها الحجاج على بدء أشواط الطواف. إن قلنا هذا فسنواجه أسئلة كثيرة قد تثار، منها: ما هذه الفضيلة والقدسية اللتان أُعطيتا له من قبل المسلمين بكل مذاهبهم وعبر تأريخهم الطويل؟

وما هذا الاهتمام والاعتناء به والحرص عليه من قبل المسلمين؟ ناهيك عن أهل الجاهلية الذين كاد الأمر يصل بهم إلى سفك الدماء وقتل الأنفس من أجل نبيل شرف وضعه في مكانه لولا رحمة الله - تعالى - وحكمة الصادق الأمين كما قرأنا.

ولماذا لم يوضع حجر آخر مكانه عند سرقة من قبل القرامطة، فقد ترك مكانه خالياً طيلة فترة غيابه عندهم؟ ولماذا لم يبدل بشيء آخر أو بحجر غيره كما بدلت أحجار الكعبة في كل عملية هدم وبناء تعرضت لها الكعبة في تأريخها، وقد شمل التبدل حتى القواعد من البيت؟ فإن التاريخ لم يذكر لنا مثل ذلك. فقد

بقي الحجر الأسود منذ أن وضعه إبراهيم عليه السلام في مكانه، يحمل الشكل نفسه والصفات ذاتها، إلا اللون الذي كان أبيضاً ناصعاً فاسودّ كما نقلت ذلك الروايات و....

وجوابنا هو: أنه حتى وإن قلنا: بأنه حجر كباقي الأحجار لا يفوقها بشيء، وتعرضنا لمثل هذه الأسئلة، جوابنا أن الله - تعالى - قد تعبدنا به كما تعبدنا بغيره، وليس لنا - كمسلمين - إلا الانقياد لذلك؛ لأن الانقياد إلى الله تعالى، وللذي تعبدنا به هو جوهر الدين وحقيقته، وإن لم نعرف العلة والحكمة من ذلك، ويجب علينا المحافظة على ما تعبدنا الله - تعالى - به، ورعايته بل وتقديسه.

ثم علينا بعد هذا أن نسكت عما يسكت الله تعالى ورسوله عنه. ولو توقفت المصلحة على التفاصيل لكان على الله تبيانها ولو من باب اللطف ومن الحسن أن لا نخوض في أمور لا يزيدنا الخوض فيها إلا جهلاً وإلا غموضاً وتعقيداً، وتكون بالتالي ميداناً لأن يُلقي بعضُ بخرافاتهِ وأوهامهِ، وبعضُ يهرف بما لا يعرف... وبالتالي نفقد أشياء كثيرة في خضم هذه الأجواء.

بعد هذا تأتي إلى ذكر بعض ما قالوه في الحجر الأسود:

□ ... عن محمد بن علي بن الحسين قال: روي عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام: ... وكان أشدّ بياضاً من اللبن فاسودّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهليّة ما مسّه ذو عاهة إلا برئ (١٣).

□ قال سلمان رضي الله عنه: ليجيئ الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفتان، ويشهد لمن وافاه بالموافاة (١٤).

□ ... عن الإمام الرضا عليه السلام: ... أن الله لما أخذ موثيق بني آدم التقمه الحجر، فمن ثن كلف الناس بتعاهد ذلك الميثاق .. ويقال عنده: أمانتي أدّيتها وميثاقي



تعاهدته لتشهد لي بالموافاة (١٥).

□ قال أبو عبد الله عليه السلام: ...، إن للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة يشهد لمن وافاه بالموافاة.. ثم ذكر حديث خلق آدم وأخذ الميثاق على ذريته، وأن الحجر التقم الميثاق من الخلق كلهم، - إلى أن قال: - فن أجل ذلك أمرتم أن تقولوا إذا استلتم الحجر: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة (١٦). وفي قول آخر لأبي عبد الله أيضاً: والميثاق هو في هذا الحجر الأسود، أما والله، إن له لعينين وأذنين وفماً ولساناً ذلقاً... (١٧).

□ ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر إنا لنعلم أنك لا تضرّ ولا تنفع، إلا أننا رأينا رسول الله ﷺ يحبّك فنحن نحبك، فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كيف يا بن الخطاب؟! فوالله ليبعثه الله يوم القيامة وله لسان وشفطان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله - عزّ وجلّ - في أرضه يبايع بها خلقه، فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب (١٨).

□ ... عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلها الركن: يا عائشة لولا ما طبع الله على هذا الحجر من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذا لاستشفي به من كلّ عاهة... وإنه لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، ولكن الله - عزّ وجلّ - غير حسنه بمعضية العاصين.. وإن الركن يمين الله - عزّ وجلّ - في الأرض وليبعثه الله يوم القيامة وله لسان وشفطان وعينان ولينطقه الله يوم القيامة بلسان طلق ذلق ليشهد لمن استلمه بحق استلامه اليوم، بيعة لمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ (١٩).

□ وذكر وهب أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة أنزلا فوضعا على الصفا، فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب كما يضيء المصباح

في الليل المظلم يؤمن ويستأنس إليهما، وليبعثن الركن والمقام وهما في العظم مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة. فرفع النور عنهما وغير حسنهما ووضعاً حيث هما (٢٠).

□ وقال عياض: الحجر الأسود يقال هو الذي أراده النبي ﷺ، حين قال: إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ، إنه ياقوتة بيضاء أشد بياضاً من اللبن فسوّده الله - تعالى - بخطايا بني آدم ولمس المشركين إياه (٢١).

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسوّده خطايا بني آدم (٢٢).

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال في الحجر: والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يُبصر بهما ولسانٌ ينطق به يشهد عليّ من استلمه بحق (٢٣).

□ وعن عمر أنه جاء إلى الحجر الأسود فقَبَّله وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك. [رواه الخمسة وزاد الحاكم في روايته:

فقال علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بل إنه يضر وينفع، وذلك في تأويل كتاب الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ ۖ فَلَمَّا أَفْرَأَ أَنَّهُ الرَّبُّ - عز وجل - وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رقٍّ وألقمه هذا الحجر، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة، فهو أمين الله في هذا الكتاب. فقال له عمر: لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن ... (٢٤)]

□ وقال عبد الله بن عباس: ليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن الأسود (الحجر) والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا من مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله (٢٥).



□ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وقال محمد بن علي: ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الأسود والمقام وحجر بني إسرائيل (٢٦).
□ الحجر الأسود هو الحجر الموجود بمكة، وكان أبيض ناصعاً، وإنما اسودّ من كثرة لمس الناس له (٢٧).

□ ... هذا ويميل بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن الحجر الأسود في الكعبة المشرفة لا يعدو أن يكون رجماً من الرّجم. وهذه الرّجم قد تكون مكونة من حديد حيناً، ومن حجارة حيناً، ومن مزيج من الحديد والحجارة في بعض الأحيان (٢٨).

وفي موضع آخر من موسوعته (المورد) يذكر أن الحجر الأسود حجرٌ بيضوي الشكل، أسود اللون، ضارب إلى الحمرة، يبلغ قطره نحواً من اثني عشر إنشاً (حوالي ٣٠ سنتيمتراً) ... (٢٩).

□ ومما قاله صاحب كتاب «المساجد في الإسلام» حول الحجر الأسود: ... وفي البيت الحرام يوجد الحجر الأسود، ويسميه المسلمون على سبيل التكريم بـ(الحجر الأسعد)، وقد اختلفت الآراء في حقيقة الحجر المذكور، وذهب الناس في الكلام عنه كلّ مذهب، والتقاليد المتداولة بين عامة المسلمين تقول: بأن هذا الحجر المقدس أصله من الجنة، وأنه كان أبيض اللون، واسودّ نتيجة ارتكاب أهل الدنيا للآثام والمعاصي. وهناك من يقول: بأن هذا الحجر قد يكون شهاباً (تيركاً) هوى من بعض الكواكب، أو أنه جزء من معبد مقدس رفعه النبي إبراهيم عندما خطّط المعبد الذي يحيط به (البيت الحرام) وهذا الحجر كان مقدساً عند المسلمين وقبلهم لدى أهل الجاهلية (٣٠).

الطواف والحجر الأسود:

١- الإمامية

وصورة الطواف عندهم أن يقف الحاج إلى جانب الحجر الأسود، قريباً منه أو بعيداً عنه مراعيّاً في ذلك أن تكون الكعبة إلى جانبه الأيسر، ثم ينوي الطواف، ويطوف حول الكعبة سبعة أشواط مبتدئاً في كلّ شوط بالحجر الأسود ومنتهاً إليه.

قال الشيخ الطوسي:

فإذا أراد الطواف بالبيت، فليفتتحه من الحجر الأسود، فإذا دنا منه، رفع يديه، وحمد الله وأثنى، وصلى على النبي ﷺ وسأله أن يتقبل منه، ويستلم الحجر الأسود ويقبله، فإن لم يستطع استلمه بيده، فإن لم يقدر على ذلك أيضاً، أشار إليه بيده، وقال: «أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة، اللهم تصديقاً بكتابك...».

وينبغي أن يختم الطواف بالحجر الأسود كما بدأ به، ويستحب أن يستلم الأركان كلها، وأشدّها تأكيداً الركن الذي فيه الحجر الأسود.. ومن كان مقطوع اليد، استلم الحجر بموضع القطع، فإن كان مقطوعاً من المرفق استلمه بشماله^(٣١). وقد قال المحقق الحلي في كيفية الطواف: أنه يشتمل على: واجب وندب، فالواجب سبعة: ... والبدء بالحجر والختم به..

والندب خمسة عشر: منها الوقوف عند الحجر، وحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله ﷺ. ورفع اليدين بالدعاء.. واستلام الحجر على الأصح وتقبيله، فإن لم يقدر فبيده، ولو كانت مقطوعة استلم بموضع القطع، ولو لم يكن له يد اقتصر على الإشارة وأن يقول: «هذه أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة. اللهم تصديقاً بكتابك، إلى آخر الدعاء»^(٣٢).



أما الشهيدان الأول والثاني فقد قالوا في واجبات الطواف: (وبالدعاء بالحجر الأسود) بأن يكون أول جزء من بدنه بإزاء أول جزء منه حتى يمر على كُله ولو ظناً. والأفضل استقباله حال النية بوجهه للتأسي ...

وقالوا (رض) في سنن الطواف:

... (الوقوف عند الحجر) الأسود، (والدعاء فيه) - في حالة الوقوف مستقبلاً، رافعاً يديه - بالمنقول .. (واستلام الحجر) بما أمكن من بدنه، والاستلام بغير همز المس من السلام بالكسر وهي الحجارة بمعنى مس السلام، أو من السلام وهو التحية، وقيل بالهمز من اللأمة وهي الدرع [بفتح اللام والميم وسكون الهمزة، يقال: استلأ الرجل أي لبس الدرع]، كأنه اتخذ جنة وسلاحاً، (وتقبيله) مع الإمكان، وإلا استلمه بيده، ثم قبَّلَهَا، (أو الإشارة إليه) إن تعذر، وليكن ذلك في كل شوط، وأقله الفتح والختم^(٣٣). أي افتتاح الشوط الأول، واختتام الشوط الأخير.

وقال العلامة الحلي في قواعد الأحكام، والمحقق الكركي في شرحها:

وفي الطواف مطالب:

الأول: في واجباته وهي أحد عشر: ... منها البدأ بالحجر الأسود، فلو بدأ بغيره لم يعتد بذلك الشوط، إلى أن ينتهي إلى أول الحجر، فمنه يبتدئ الاحتساب إن جدد النية عنده للإتمام مع احتمال البطلان، ولو حاذى آخر الحجر ببعض بدنه في ابتداء الطواف لم يصح.

ومنها: الختم بالحجر، فلو أبقى من الشوط شيئاً وإن قل لم يصح، بل يجب أن ينتهي من حيث ابتداء. انتهى كلام العلامة.

أما المحقق الكركي: فيقول في الهامش:

ويجب فيه أن يحاذي بأول مقادير بدنه - حال كون البيت على يساره -

أَوَّلُ الْحَجَرِ الَّذِي إِلَى جِهَةِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ، مَقَارَنًا بِالنِّيةِ أَوَّلَ حَرَكَاتِ الطَّوَافِ بِحَيْثُ تَمَرَّ عَلَيْهِ كَلَّهُ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِوَجْهِهِ ثُمَّ يَنْحَرِفَ، بَلْ يَجْزِيهِ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى يَسَارِهِ ابْتِدَاءً، وَإِنْ كَانَ الْأَفْضَلُ اسْتِقْبَالَهُ أَوَّلًا... ثُمَّ يَسْتَمِرُّ فِي شَرْحِ مَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ.

وَفِي سَنَنِ الطَّوَافِ يَقُولُ الْعَلَّامَةُ فِي قَوَاعِدِهِ:

... وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَجَرِ، وَالِدَعَاءُ رَافِعًا يَدَيْهِ بِهِ، وَاسْتِلَامُهُ بِبَدْنِهِ أَجْمَعٍ، وَتَقْبِيلُهُ، فَإِنْ تَعَذَّرَ فَبَعْضُهُ، فَإِنْ تَعَذَّرَ فَبَيْدُهُ، وَيَسْتَلِمُ الْمَقْطُوعَ بِمَوْضِعِ الْقَطْعِ، وَفَاقِدَ الْبِدِّ يَشِيرُ...

وَيُشْرَحُ الْكُرْكِيُّ (وَاسْتِلَامُهُ بِبَدْنِهِ أَجْمَعٍ): بِأَنْ الْمُرَادَ: مُعَظَمَهُ مُجَازًا، وَالِاسْتِلَامَ بِغَيْرِ هَمْزٍ مَعْنَاهُ: الْمَسُّ، إِفْتِعَالٌ مِنَ السَّلَامِ بِالْكَسْرِ: وَهُوَ الْحِجَارَةُ، أَوْ مِنَ السَّلَامِ بِالْفَتْحِ، (أَعْنِي) التَّحِيَّةَ، أَيْ: يَحْيِي نَفْسَهُ عِنْدَ الْحَجَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: اخْتَدَمَ، أَيْ خَدَمَ نَفْسَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ. وَقِيلَ: إِنَّهُ بِالْكَسْرِ يَهْمَزُ مِنَ اللَّامَةِ: وَهِيَ الدَّرْعُ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: اتَّخَذَهُ جَنَّةً وَوَسْلَحًا^(٣٤).

بَعْدَ هَذَا نَنْتَقِلُ إِلَى ذِكْرِ رَوَايَاتٍ وَجُوبِ ابْتِدَاءِ الطَّوَافِ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالِانْتِهَاءِ بِهِ:

□ ... مُعَاوِيَةُ بْنُ عِمَارٍ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام: مَنْ اخْتَصَرَ فِي الْحَجَرِ (فِي الطَّوَافِ) فَلْيَعِدْ طَوَافَهُ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ^(٣٥).

وَمَعْنَى الْاِخْتِصَارِ فِيهِ عَدَمُ ادْخَالِ الْحَجَرِ فِي الطَّوَافِ.

□ ... ابْنُ سَنَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا كُنْتَ فِي الطَّوَافِ السَّابِعَ فَاتَّ الْمَتَعُودَ، إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ اتَّ الْحَجَرَ فَاخْتَمَ بِهِ.

□ لِلطَّوَافِ وَاجِبَاتٌ غَيْرُ الشُّرُوطِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا إِنْ شَتَّتْ بِالْأَجْزَاءِ،

وَهِيَ:



١ - الابتداء بالحجر الأسود، والاختتام، أي منه وإليه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الطواف من الحجر الأسود وإلى الحجر الأسود» (٣٦).

من روايات استلام الحجر وتقبيله:

- ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك وأحمد الله ... ثم استلم الحجر وقبّله، فإن لم تستطع أن تقبّله فاستلمه بيدك، فإن لم تستطع أن تستلمه بيدك فأشر إليه ... (٣٧).
- ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستلم الحجر في كل طواف فريضة ونافلة (٣٨).
- ... عن معاوية بن عمار: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل حجّ ولم يستلم الحجر، فقال: هو من السنة. فإن لم يقدر عليه فالله أولى بالعدر (٣٩).
- ... عن سيف التمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتيت الحجر الأسود فوجدت عليه زحاماً فلم ألق إلا رجلاً من أصحابنا فسألته، فقال: لا بدّ من استلامه، فقال: إن وجدته خالياً وإلا فسلم من بعيد (٤٠).
- ... عن محمد بن عبيد الله قال: سئل الرضا عليه السلام عن الحجر الأسود، وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا؟ قال: إذا كان كذلك فأوم إليه إيماءً بيدك (٤١).
- ... عن محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر إذا لم استطع مسّه وكثر الزحام؟ قال: أما الشيخ الكبير والضعيف والمريض فمريض، وما أحبّ أن تدع مسّه إلا أن لا تجد بداً (٤٢).
- ... عن السكوني، عن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام سئل كيف يستلم الأقطع الحجر؟ قال: يستلم الحجر من حيث القطع، فإن كانت مقطوعة من المرفق استلم الحجر بشماله (٤٣).

روايات في استحباب الدعاء بالمأثور عند الحجر الأسود:

□ ... عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك، واحمد الله وأثن عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله، واسأل الله أن يتقبل منك، ... وقل: «اللهم أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة، اللهم تصديقاً بكتابك، وعلى سنة نبيك، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، آمنتُ بالله، وكفرتُ بالجبث والطاغوت، وباللآل والعزى وعبادة الشيطان، وعبادة كل نذ يدعى من دون الله» ...

«اللهم إليك بسطت يدي، وفيما عندك عظمت رغبتي، ... ، واغفر لي وارحمني. اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة» (٤٤).

□ ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد فامش حتى تدنو من الحجر فتستلمه [فتستقبله] وتقول: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أكبر من خلقه، وأكبر ممن أخشى وأحذر، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويُميت ويُحيي، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» (٤٥) ...

□ ... عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود فقل: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آمنتُ بالله وكفرت بالطاغوت وباللآل والعزى، وعبادة الشيطان، وعبادة كل نذ يدعى من دون الله» ثم ادن من الحجر واستلمه بيمينك، ثم قل: «بسم الله والله أكبر، اللهم أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة [ليشهد لي عندك]» (٤٦).
وهناك أحاديث أخرى تنصب على استحباب استلام الحجر وتقبيله والدعاء عنده تجدها في كتب الأحاديث عند الإمامية.



٢- الشافعية

قالوا للطواف في ذاته ثمانية شروط ... الثالث منها: بدؤه من جهة الشق الأيسر، بأن لا يقدم جزءاً من بدنه على جزء من الحجر، فإذا بدأ بغيره لم يحسب ما طافه قبل وصوله إليه، فإذا انتهى إليه ابتداءً منه؛ ويشترط أن يحاذيه على الوجه المذكور عند الانتهاء أيضاً.

وقالوا: للطواف ثماني سنن:

الأولى: أن يستقبل البيت أول طوافه، ويقف بجانب الحجر إلى جهة الركن اليماني بحيث يصير جميع الحجر عن يمينه، ومنكبه الأيمن عند طرفه، ثم ينوي الطواف، ثم يمشي مستقبلاً الحجر، ماراً إلى جهة الباب، فإذا جاوزه انفتل وجعل يساره إلى البيت وهذا خاص بالمرة الأولى.

... وأن يلمس الحجر الأسود بيده أول طوافه، ويقبله تقبيلاً خفيفاً، ولا يسن للمرأة ذلك إلا عند خلو المطاف ليلاً أو نهاراً، ويستحب للرجل أن يضع جبهته عليه، وأن يكون الاستلام والتقبيل ثلاثاً، فإن عجز عن الاستلام بيده استلمه بنحو عصا، ويقبل ما أصابه به، فإن عجز عن ذلك أيضاً أشار إليه بيده؛ أو بما فيها؛ واليمين أفضل، يفعل ذلك في طوافه؛ ...

وبعد أن يصلي ركعتين ... يندب استلام الحجر عقبهما وأن يسعى عقب الاستلام ... (٤٧).

٣- المالكية

قالوا تشترط لصحة الطواف شروط ... منها:

... ويلزم ابتداء الطواف من الحجر الأسود، فلو ابتدأه قبله وجب إتمام الشوط الأخير إليه، فإن لم يتمه وطال الفصل أو انتقض وضوؤه فعليه إعادته ...

وأما سننه، فهي: تقبيل الحجر الأسود في الشوط الأول، ويكبر عند ذلك، فإن لم يتمكن من تقبيله لمسه بيده، فإن لم يستطع لمسه بعود مثلاً، ثم يضع يده أو العود بعد اللمس بأحدهما على فيه ويكبر حينئذٍ، فإن لم يستطع شيئاً من ذلك كبر عند محاذاته ... (٤٨).

٤- الحنابلة

قالوا: تشترط لصحة الطواف شروط: ... منها كون الأشواط سبعة، يبتديها من الحجر الأسود، فاذا ابتدأ من غيره لا يحسب هذا الشوط ...
وسنن الطواف هي: ... استلام الحجر الأسود وتقبيله في كل شوط أيضاً إن تيسر، والإشارة إليه بيده عند محاذاته إن تعسر (٤٩).

٥- الحنفية

قالوا: واجبات الطواف وسننه أمور، فمن واجباته أن يبدأ من الحجر الأسود، فلو لم يفعل ذلك وجب عليه إعادة الطواف مادام بمكة، فإن لم يعده ورجع وجب عليه دم، والأفضل أن لا يترك شيئاً من الحجر الأسود، بل يقابله بجميع بدنه، بأن يجعله عن يمينه ويجعل منكبه الأيمن عند الحجر الأسود.
ومن سنن الطواف عندهم ... استلام الحجر، وتقبيله عند نهاية كل شوط ... فإن لم يستطع استلامه بيده استلمه بنحو عصا إن أمكن، ويقبل ما مس به، فإن لم يستطع ذلك استقبل الحجر ورفع يديه مستقبلاً بباطنها إياه، ويكبر، ويهلل ويحمد الله - تعالى - ويصلي على النبي ﷺ، وهذا الاستقبال مستحب، وكذا استلام الركن اليماني مستحب ... (٥٠).

وقال ابن رشد القرطبي الأندلسي:



والجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجباً كان أو غير واجب أن يبتدئ من الحجر الأسود، فإن استطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه... وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر، وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده، وذلك لحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مالك، أنه قال وهو يطوف بالبيت حين بلغ الحجر الأسود: «إنما أنت حجر ولولا أنني رأيتُ رسولَ الله قبلك ما قبّلتك، ثم قبّله» (٥١).

أما الدكتور وهبة الزحيلي وبعد أن استعرض آراء المذاهب الأربعة (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) انتهى إلى هذا التلخيص في صورة الطواف وذكرها في ٩ نقاط، نأخذ النقطة الخامسة منها التي تخصّ بحثنا وهي: الابتداء بالحجر الأسود: ليس بشرط وإنما هو واجب عند الحنفية، وعند المالكية، وشرط عند الشافعية والحنابلة، وترك الواجب يوجب الدم فيما لو ابتدأ من غير الحجر (٥٢).

وقد لخصّ الدكتور الزحيلي في كتابه «الفقه الإسلامي وأدلته» أيضاً سنن الطواف من تسعة مصادر وهي:

الدر المختار ٢: ٢٢٧، البدائع ٢: ١٣١، مراقي الفلاح: ١٢٤، القوانين الفقهية: ٣، الشرح الصغير ٢: ٤٨-٥٢، الإيضاح: ٣٤-٤٤، مغني المحتاج ١: ٤٨٧-٤٩٢، غاية المنتهى ١: ٤٠٢، المغني ٣: ٣٧٢-٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٣.

أكتفي بنقل ما يتعلق بالموضوع (الحجر الأسود).

فقال: استلام الحجر الأسود (أي لمسه بيده اليمنى أو بكفيه) أول طوافه وفي بدء كل شوط وتقبيله بلا صوت، ووضع جبهته عليه عند الشافعية بلا إيذاء، إذا لم تكن زحمة، فإن لم يتمكن من الاستلام باليد استلم بعود ونحوه مع استقباله بجميع بدنه، فإن عجز أشار بيده، ثم وضع العود أو يده على فيه بعد اللمس

بأحدهما بلا صوت، فإذا أظهر الصوت جاز على الأرجح عند المالكية، وكره مالك السجود وتمرير الوجه على الحجر، ويسن عند الشافعية، أن يكون التقبيل ووضع الجبهة ثلاثاً.

ويكبر ويهلل ويحمد الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ.

ودليل التقبيل فعل الرسول ﷺ، كما رواه الشيخان، ودليل وضع جبهته عليه اتباع السنة كما رواه البيهقي. ودليل الاستلام باليد دون إيذاء: «أن النبي ﷺ قال: يا عمر، إنك رجل قوي، لا تراحم على الحجر، فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوةً، وإلا فهلل وكبر» [رواه الشافعي وأحمد عن عمر].

ولأن ترك الإيذاء واجب، وتقبيل ما استلمه به من يد أو نحو عصا، لخبر الصحيحين: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» ولما روى مسلم بن نافع قال: «رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ويقول: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله».

وتكرار الاستلام والتقبيل في كل طوفة من الطوافات السبع، لحديث «أنه ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل طوفة» [رواه أبو داود والنسائي عن ابن عمر].

وراح الدكتور الزحيلي يتم تلخيصه هذا بقوله:

ولو استقبل الحجر مطلقاً، ونوى الطواف عند من اشترط النية وهم الحنفية والحنابلة، كفي في تحقيق المقصود الذي هو الابتداء من الحجر.

ولا يستلم بيده الركنين الشاميين (وهما اللذان عندهما الحجر) ولا يقبلهما، ويستلم الركن اليماني (وهو الذي يسبق ركن الحجر) في آخر كل شوط، ولا يقبله؛ لأنه لم ينقل، كما في الصحيحين عن ابن عمر: «أنه ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني».



ويستحب للمرأة عند الحنابلة اذا قدمت مكة نهراً تأخير الطواف الى الليل ليكون أستر لها، ولا يستحب لها مزاحمة الرجال لاستلام الحجر، لكن تشير بيدها اليه كالذي لا يمكنه الوصول اليه (٥٣).

وقال الشيخ منصور علي ناصف: فيسنّ تقبيل الحجر الأسود واستلامه بالكفين أو بأحدهما إذا لم يمكنه وتقبيلهما، وإلا استلمه بعصا في يده، وكذا يندب استلام الركن اليماني بالكفين أو بأحدهما أو بشيء في يده لحديث الترمذي: كان ابن عمر يزاحم على الركنين زحاماً شديداً فسئل عن ذلك، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن مسحهما كفارة للخطايا، وخُصَّ هذان الركنان بالعناية لأنهما على أصل بناء الخليل عليه السلام، وركن الحجر الأسود أفضل الأركان باتفاق ويليه اليماني، وينبغي للطائف الإكثار من ذكر الله تعالى كاستغفار وتسبيح وتهليل ودعاء فيكون عابداً بجسمه ولسانه ... (٥٤).

ورأيتُ أن أنقل ما كتبه الإمام محي الدين النووي الشارح لصحيح مسلم عن الحجر الأسود تتميماً للفائدة:

باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف

دون الركنين الآخرين

قوله «لم أر رسول الله ﷺ يمسخ من البيت إلا الركنين اليمانيين» وفي الرواية الأخرى لم يكن رسول الله ﷺ يستلم من أركان البيت إلا الركن الأسود والذي يليه من نحو دور المحميين وفي الرواية الأخرى لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني. هذه الروايات متفقة فالركنان اليمانيان هما الركن الأسود والركن اليماني وإنما قيل لهما اليمانيان للتغليب كما قيل في الأب والأم الأبوان وفي الشمس والقمر القمران وفي أبي بكر وعمر العمران وفي الماء والتمر الأسودان ونظائره مشهورة.

واليمانيان بتخفيف الياء هذه اللغة الفصيحة المشهورة. وحكى سيبويه والجوهري وغيرهما فيها لغة أخرى بالتشديد فمن خفف قال هذه نسبة إلى اليمن فالألف عوض من إحدى ياء النسب فتبقى الياء الأخرى مخففة ولو شددناها لكان جمعاً بين العوض والمعوض وذلك ممتنع. ومن شدد قال الألف في اليماني زائدة وأصله اليمني فتبقى الياء مشددة وتكون الألف زائدة كما زيدت النون في صنعاني ورقباني ونظائر ذلك والله أعلم. وأما قوله «يمسح» فمراده يستلم وسبق بيان الاستلام وأعلم أن للبيت أربعة أركان الركن الأسود والركن اليماني ويقال لهما اليمانيان كما سبق وأما الركنان الآخران فيقال لهما الشاميان. فالركن الأسود فيه فضيلتان أحدهما كونه على قواعد إبراهيم عليه السلام والثانية كونه فيه الحجر الأسود. وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة وهي كونه على قواعد إبراهيم. وأما الركنان الآخران فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين فلهذا خص الحجر الأسود بشيئين الاستلام والتقبيل للفضيلتين. وأما اليماني فيستلمه ولا يقبله لأن فيه فضيلة واحدة. وأما الركنان الآخران فلا يقبلان ولا يستلمان والله أعلم. وقد أجمعت الأمة على استحباب استلام الركنين اليمانيين واتفق الجماهير على أنه لا يمسخ الركنين الآخرين، واستحبه بعض السلف، وممن كان يقول باستلامهما الحسن والحسين ابنا علي وابن الزبير وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعروة بن الزبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد رضي الله عنهم. قال القاضي أبو الطيب: أجمعت أئمة الأمصار والفقهاء على أنها لا يستلمان قال: وإنما كان فيه خلاف لبعض الصحابة والتابعين، وانقرض الخلاف، وأجمعوا على أنها لا يستلمان والله أعلم. قوله «ان رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليماني» يحتج به الجمهور في أنه يقتصر بالاستلام في الحجر الأسود عليه دون الركن الذي هو فيه، وقد سبق قريباً فيه خلاف القاضي أبي الطيب. قوله «رأيت ابن



عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده، وقال ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله» فيه استحباب تقبيل اليد بعد استلام الحجر الأسود إذا عجز عن تقبيل الحجر وهذا الحديث محمول على من عجز عن تقبيل الحجر، وإلا فالقادر يقبل الحجر ولا يقتصر في اليد على الاستلام بها. وهذا الذي ذكرناه من استحباب تقبيل اليد بعد الاستلام للعاجز هو مذهبنا ومذهب الجمهور وقال القاسم بن محمد التابعي المشهور: لا يستحب التقبيل وبه قال مالك في أحد قوليه والله أعلم.

باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف

قوله «قبل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال أم والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» وفي الرواية الأخرى وإني لأعلم أنك حجر وأنت لا تضر ولا تنفع. هذا الحديث فيه فوائد منها استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف بعد استلامه، وكذا يستحب السجود على الحجر أيضاً بأن يضع جبهته عليه، فيستحب أن يستلمه ثم يقبله ثم يضع جبهته عليه هذا مذهبنا ومذهب الجمهور وحكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وطاوس والشافعي وأحمد قال وبه أقول قال وقد روينا فيه عن النبي ﷺ وانفرد مالك عن العلماء فقال: السجود عليه بدعة واعترف القاضي عياض المالكي بشذوذ مالك في هذه المسألة عن العلماء وأما الركن اليماني فيستلمه ولا يقبله بل يقبل اليد بعد استلامه هذا مذهبنا وبه قال جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وقال أبو حنيفة لا يستلمه وقال مالك وأحمد: يستلمه ولا يقبل اليد بعده وعن مالك رواية أنه يقبله وعن أحمد رواية أنه يقبله والله أعلم. وأما قول عمر لقد علمت أنك حجر وإني لأعلم أنك حجر وأنت لا تضر ولا تنفع فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله. وإنما قال وإنك لا تضر ولا تنفع لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار، وتعظيماً ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريباً بذلك فخاف عمر أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب، فعناه أنه لا قدرة له على نفع ولا ضرر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع، وأشاع عمر هذا في الموسم؛ ليشهد في البلدان ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفوا الأوطان والله أعلم. قوله «رأيت الأصلع» وفي



رواية الأصيلع يعني عمر فيه أنه لا بأس بذكر الإنسان بلقبه ووصفه الذي يكرهه، وإن كان قد يكره غيره مثله. قوله «رأيت عمر قبل الحجر والتزمه وقال رأيت رسول الله ﷺ بك حفيماً» يعني معتنياً.

باب جواز الطواف على بعير وغيره واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب

قوله «إن رسول الله ﷺ طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن» المحجن بكسر الميم واسكان الحاء وفتح الجيم وهو عصا معقفة، يتناول بها الراكب ما سقط له، ويحرك بطرفها بعيره للمشى وفي هذا الحديث جواز الطواف راكباً واستحباب استلام الحجر وأنه إذا عجز عن استلامه بيده استلمه بعود (٥٥).

روايات استلام الحجر الأسود وتقبيله:

- حدثنا ... عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك (٥٦).
- ... عن سويد بن غفلة، قال: رأيت عمر قبل الحجر والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيماً، وفي رواية أخرى: رأيت أبا القاسم ﷺ بك حفيماً (٥٧).
- ... عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة، قال: وكان عبد الله بن عمر يفعله (٥٨).
- ... عن أبي هريرة، قال: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة، فأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت ... (٥٩).
- ... عن ابن عباس، قال النبي ﷺ: «يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر» حيث

- إن المعتمر يشتغل بالتلبية حتى يريد استلام الحجر الأسود للطواف وتنتهي التلبية، وعلى هذا الجمهور والشافعي وأحمد والثوري... (٦٠).
- قال ابن عمر: لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين [وهما الركن الذي فيه الحجر والركن الذي قبله، وسميا بهذا لأنهما جهة اليمن كما سمي الآخران بالشامي والعراقي لاتجاههما لهما] (٦١).
- وفي رواية: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير [لأنه كان مريضاً] يستلم الركن بمحجن [عصا منحنية الرأس] (٦٢) رواه الخمسة.
- وفي رواية: كلّمّا أتى على الركن أشار إليه بشيء في يده وكبر (٦٣).
- قال منصور: سألت مجاهداً إذا أردت الوداع كيف أصنع؟ قال: تطوف بالبيت سبعا، ... ثم تستلم الحجر، وتنصرف (٦٤).
- قال جابر: ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن [أي مع النبي ﷺ] استلم الحجر الأسود بمسحه وتقيله (٦٥).
- ... عن سالم عن أبيه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يستلم من أركان البيت إلا الركن الأسود... (٦٦).
- ... عن نافع عن عبد الله ذكر أن رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني (٦٧).
- ... حدثني نافع عن ابن عمر قال: ما تركت استلام هذين الركنين اليماني والحجر منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما في شدة ورخاء (٦٨).
- ... عن نافع، قال: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده، وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله (٦٩).
- ... سمع ابن عباس يقول: لم أر رسول الله ﷺ يستلم غير الركنين اليمانيين .. وفي رواية عنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ طاف في حجة الوداع على بعير يستلم



الركن بمحجن^(٧٠).

□ عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحاماً فلا تؤذ ولا تؤذى^(٧١).

□ وفي فضل استلام الركنين (الركن الأسود واليماني) قال عبيد الله بن عمير لابن عمر: إني أراك تزاحم على هذين الركنين فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن استلامهما يحطُّ الخطايا خطاً^(٧٢).

الدعاء عند الحجر الأسود وفي بداية كل طوفة:

فيقول عند استلام الحجر الأسود عند ابتداء كل طوفة: بسم الله؛ والله أكبر مع رفع يديه كرفع الصلاة: اللهم إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك سيدنا محمد ﷺ، وهذا القول أكد في الطوفة الأولى من غيرها^(٧٣).

وفي الختام آمل أن أوفق مرةً أخرى لأن أقدم دراسةً تحليليةً شاملةً لكل ما ورد عن الحجر الأسود من روايات وآراء وأقوال.. ولما تعرض له من حوادث.. فتكون وقتذاك دراسةً مستوعبةً قصته التاريخية والفقهية...

الهوامش :

- (١) البقرة: ١٢٧.
- (٢) معجم البلدان: ٢٢٤ حرف الحاء، وورد خطأً أنه في الركن الشمالي؛ وانظر معجم معالم الحجاز ٢: ٢٣٥؛ موسوعة المورد ٢: ٧٤.
- (٣) أخبار مكة، الأزرقى ١: ٦٢ و٦٥ طبعة الشريف الرضي، قم، إيران؛ تاريخ الطبري ١: ١٥٣ دار الكتب العلمية، بيروت، الكامل ج.ص.
- (٤) الحج: ٢٧-٢٩.
- (٥) أخبار مكة ١: ١٦٣؛ الكامل ٢: ٤٥؛ الطبري ١: ٥٢٦؛ سيرة ابن هشام ١: ١٩٧.
- (٦) أخبار مكة ١: ١٦٣؛ حياة محمد، هيكل: ١٢٤-١٢٦؛ الطبري ١: ٥٢٦، الكامل ٢: ٤٢-٤٥؛ سيرة ابن هشام ١: ١٩٧.

- (٧) أخبار مكة ١: ٣٤٦؛ معجم البلدان: ٢٢٤ حرف ح؛ المختصر في أخبار البشر لابن الوردي ١: ٣٩٠.
- (٨) أخبار مكة ١: ٣٤٦.
- (٩) أخبار مكة ٢: ١٥٥.
- (١٠) معجم البلدان ٢: ٢٢٤ حرف الحاء.
- (١١) آل عمران: ١٠٦.
- (١٢) فصلت: ٢١.
- (١٣-١٨) وسائل الشيعة ١٣: ٣٠٢، ٣١٩.
- (١٧ و ٢٠) البحار ٩٩: ٢٢١.
- (١٩) معجم البلدان، باب الحاء: ٢٢٤.
- (٢٠-٢٨) التاج الجامع (كتاب الحج) ٢: ١٢٩، ١٣٠؛ معجم البلدان ٢: ٢٢٤-٢٢٣.
- (٢٧) دائرة معارف القرن العشرين ٣: ٣٥٥.
- (٢٨، ٣١) موسوعة المورد، منير البعلبكي ٧: ٢١ و ٢: ٧٤.
- (٣٠) المساجد في الإسلام للشيخ طه الولي: ٦٠-٦١.
- (٣١) النهاية، الشيخ الطوسي: ٢٣٥-٢٣٦.
- (٣٢) شرح شرائع الإسلام، المحقق الحلي، كتاب الحج، كيفية الطواف: ١٩٩-٢٠١.
- (٣٣) اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول: الروضة البهية، الشهيد الثاني ٢: ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٥.
- (٣٤) جامع المقاصد، المحقق الكركي؛ شرح القواعد، العلامة الحلي ج ٣ كتاب الحج، الطواف: ١٩٠، ١٩٨.
- (٣٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، باب الحج - الطواف.
- (٣٦) وسائل الشيعة: ٣٤٤-٣٢٥.
- (٣٧) فقه الإمام الصادق، مغنية ٢: ٢٠٠.
- (٣٨) فقه الإمام الصادق ٢: ٢٠٣.
- (٣٩) وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٥.
- (٤٠) وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٥ ح ١.
- (٤١) وسائل الشيعة ١٣: ٣١٥ ح ٤.
- (٤٢) الوسائل ١٣: ٣٢٦.
- (٤٣) الوسائل ١٣: ٣٢٧.
- (٤٤) الوسائل ١٣: ٣٤٣.
- (٤٥ و ٣٨) الوسائل، الحج - الطواف: ٣١٤.
- (٤٧-٥٢) كل هذه الآراء للمذاهب الأربعة نقلت من مصدر واحد وهو الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، كتاب الحج ١: ٦٥٣.
- (٥١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاضي ابن رشد القرطبي الأندلسي ١: ٢٤٨، القول في الطواف.
- (٥٢) الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر ٣: ١٦١.
- (٥٣) الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور الزحيلي ٣: ١٦٤-١٦٥.
- (٥٤) التاج الجامع ٢: الهامش ص ١٣٠.



- (٥٥) صحيح مسلم ٩: ١٦ الهامش.
- (٥٦) صحيح سنن المصطفى، السجستاني، كتاب المناسك : ٢٩٤ باب تقبيل الحجر؛ أخبار مكة ١: ٣٣٠.
- (٥٧-٦٢) صحيح مسلم ٩: ١٧-١٨؛ التاج الجامع للأصول، كتاب الحج ٢: ١٢١.
- (٦١) صحيح سنن المصطفى، كتاب المناسك : ٢٩٤.
- (٦٢) التاج الجامع ٢: ١٣٠.
- (٦٣) البخاري ٢: ٥٨٣ باب ٦١.
- (٦٤) الفقه الإسلامي وأدلته ٣: ١٥١.
- (٦٥) التاج الجامع ٢: ١٥٤.
- (٦٦) صحيح مسلم ٩: ١٣.
- (٦٧) صحيح مسلم ٩: ١٤.
- (٦٨ و ٧١) صحيح مسلم ٩: ١٥.
- (٧٠) صحيح مسلم ٩: ١٨؛ البخاري ٢: ٥٨٢ باب ٥٦، ٥٧-٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١ أبواب تختص بروايات الحجر الأسود.
- (٧١) أخبار مكة ١: ٣٣٤.
- (٧٢-٧٥) الفقه على المذاهب الأربعة، الطواف؛ الفقه الإسلامي وأدلته.

جَنَّةُ المَعْلَاةِ علي قاضي عسكر

يقع إلى جوار الحجون في مكّة المكرّمة شعب يُعرف بشعب أبي دبّ^(١)، وأبو دبّ رجل من بني سؤاءة بن عامر سكنه فسَمِّي به^(٢). وقال ياقوت الحموي عن هذا الشعب ما يلي:

شعبُ أبي دبّ: بمكة... قال الفاكهي أبو عبد الله محمد بن إسحاق في كتاب مكّة من تصنيفه: أبو دبّ هذا رجل من بني سُوءاءة بن عامر بن صَعَصَعَة^(٣). ويُسمّى هذا الشعب الواقع إلى الشمال الشرقي من مكّة أيضاً، بشعب الجزّارين^(٤) ويُسمّيه بعض آخر، باسم «شعب المقبرة» وسبب هذه التسمية أن أهل الجاهلية كانوا يدفنون موتى أهل مكّة في هذا المكان^(٥).

وذكر الأزرقي:

كان أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام يدفنون موتاهم في شعب أبي دبّ من الحجون إلى شعب الصفي، صفي السباب^(٦)، وفي الشعب اللاصق بشنية المدنيين



الذي هو مقبرة أهل مكّة اليوم، ثم تمضي المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحايط خرمان^(٧).

وقال في موضع آخر:

كان أهل مكّة يدفنون موتاهم في جنبي الوادي يمّنة وشامة^(٨) في الجاهلية وفي صدر الإسلام، ثم حول الناس جميعاً قبورهم في الشعب الأيسر لما جاء من الرواية فيه، ولقول رسول الله ﷺ نعم الشعب، ونعم المقبرة. ففيه اليوم قبور أهل مكّة إلا آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وآل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فهم يدفنون في المقبرة العليا بحايط خرمان^(٩).

تُعرف هذه المقبرة فيما مضى بمقبرة المعلّاة، ويسمّيها بعض آخر بالمعلّى^(١٠) وبين أهل مكّة تعرف بجَنَّةِ المعلّاة^(١١) ولما كان جبل الحجون مشرفاً على هذه المقبرة، فقد سمّاها البعض بمقبرة الحجون^(١٢).

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال:

نعم المقبرة هذه، مقبرة أهل مكّة^(١٣).

روى هذه الرواية بتعبير آخر:

قال رسول الله ﷺ: نِعَمَ الشَّعْبِ وَنِعَمَ الْمَقْبَرَةُ^(١٤).

وجاء في معجم الطبراني أن ابن عباس قال: لما أشرف النبي ﷺ على المقبرة وهو على طريقها الأول، أشار بيده وراء الضفيرة أو الظهيرة فقال: «نِعَمَ المقبرة هذه» قلت للذي يخبرني: خصّ الشعب؟ قال: هكذا كنا نسمع أن النبي ﷺ خصّ الشعب المقابل بالبيت^(١٥).

عبد الله بن مسعود قال: وقف رسول الله ﷺ على الثنية، ثنية المقبرة، وليس بها يومئذ مقبرة فقال: يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كلّ سبعين

ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألف، وجوهم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر: يا رسول الله من هم؟ قال: الغرباء. انتهى^(١٦).
كثير بن كثير - من مشاهير شعراء القرن الأول للهجرة - قال في هذه المقبرة:

كم بذاك الحجون من أهل صدق وكهول أعفّة وشباب
سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو سئ إلى التخل من صفي السباب
أهل دار تباعوا للمنايا ما على الدهر بعدهم من عتاب
فارقوني وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتة من إياب^(١٧)
كانت هذه المقبرة ومنطقة الحجون معروفة في الماضي، ونظم فيها شعراء العرب الكثير من الأشعار، نذكر بعضها:

فلما التقينا بالحجون تنفست تنفس محزون الفؤاد سقيم^(١٨)
وقال شاعر آخر:
واردات الكديد^(١٩) مجترعات حزن وادى الحجون بالاثقال^(٢٠)
وقال آخر:

ليالي سمار الحجون إلى الصفا خراعة إذ خلّت لها البيت جرهم
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها وخيف مني والمأزمان وزمزم^(٢١)
وقال الأعشي:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب في ماء زمزم
وقال عمرو بن الحرث بن مضاخ بن عمرو يتأسف على البيت، وقيل هو للحرث الجرهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كئنا أهلها، فأبادنا صروف الليالي والجود العواثر^(٢٢)



وروى الأزرقي عن ابن صبي أنه قال: من قُبر في هذه المقبرة بُعث آمناً يوم القيامة - يعني مقبرة مكّة - (٢٣).

وإنّ من مميزات هذه المقبرة وقوعها أمام جزء من الكعبة:
قال الأزرقي: قال جدّي: لا نعلم بمكّة شعباً يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلاّ شعب المقبرة فإنّه يستقبل وجه الكعبة كلّهُ مستقيماً (٢٤) ومما ورد في فضل هذه المقبرة ما نقل عن عبد الله بن المرجاني في تاريخه للمدينة أنّه قال: سمعت والدي يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الله الدلاصي يقول: سمعت الشيخ أبا محمد الدبشي يقول: كُشف لي عن أهل المعلاة فقلت: أتجدون نفعاً بما يُهدى إليكم من قراءةٍ أو نحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، قال: فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ قالوا: ما يقف حال أحد في هذا المكان (٢٥).

قال الفاسي في شفاء الغرام:

زيارة هذه المقبرة مستحبة لما حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين (٢٦).

قال الجوهري: الحَجُون - بفتح الحاء - جبل بمكة وهي مقبرة.
وقال ابن الأثير: الحَجُونُ الجبلُ المُشْرِفُ ممَّا يَلِي شُعْبَ الْجَزَارِينَ بِمَكَّةَ.
وقال ابن منظور: والحَجُونُ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ (٢٧).
وقال محمد حسين هيكَل في وصف مقبرة المعلّاة:

ومقبرة المعلّاة تقع في الشمال الشرقي من مكّة، وهي فضاء فسيح محصور بين الجبال من شماله وغربه، وتفصل بينه وبين الجبال من الشرق بعض المساجد والمساكن، ويتصل من الجنوب بمنازل أهل مكّة، وهذه المقبرة قديمة ترجع إلى عهد الجاهلية، وهي ما تزال مع ذلك مقبرة أهل مكّة في هذا الزمن الحاضر. ولعل بقاءها مقبرة حتى اليوم يرجع إلى تقديس المكيين للقبور القديمة التي بها أكثر مما يرجع إلى رغبتهم عن اتخاذ مقبرة لمدينتهم فيما وراء الجبال التي تحصرها (٢٨).

والمسافة من باب بني شيبّة إلى باب مقبرة المعلّاة ٢١٢٧ ذراعاً بذراع اليد أي ١٠٤٢ متراً تقريباً (٢٩). والمسافة بين باب المعلّاة بمكة وأوّل منى ٥٤٠٧ أمتار (٣٠).

المدفونون في هذه المقبرة:

دُفِنَ في هذه المقبرة الكثير من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام نذكر فيما يلي أسماء بعضهم:

١ - قصي بن كلاب، وهو أوّل شخص دُفِنَ في الحجون، توفّي في مكّة، ومن بعد دفنه في الحجون، اعتاد الناس على دفن موتاهم فيها (٣١).



- ٢- عبد مناف (٣٢).
- ٣ و ٤- عبد المطلب وهاشم أجداد النبي ﷺ (٣٣).
- ٥- أبو طالب، توفي في السنة العاشرة للبعثة بعد أن مضى من عمره ثيف وثمانون عاماً، ودفن في مقبرة الحجون (٣٤).
- ٦- خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ وأُم المؤمنين (٣٥)، توفيت بعد انتهاء المقاطعة، والخروج من الشعب، عن عمر يبلغ ٦٥ عاماً ودفنت في مقبرة الحجون، فجَّع الرسول بوفاتها وحزن عليها أشدَّ الحزن.
- ٧- القاسم بن رسول الله ﷺ (٣٦).
- ٨- الطيب (عبد الله) بن رسول الله ﷺ (٣٧).
- أبناء رسول الله ﷺ الذين ولدوا بمكة هم:
- ١- القاسم ٢- الطيب (عبد الله) ٣- الطاهر ٤- زينب ٥- رقية ٦- أم كلثوم ٧- فاطمة ﷺ.
- قال ابن هشام: كان أكبرهم القاسم ومن بعده الطيب والطاهر (٣٨) ولد القاسم قبل البعثة، إلا أن عبد الله واسمه الآخر الطيب، وكذلك الطاهر ولدا في عهد الإسلام وبعد البعثة (٣٩).
- ٩- سمية أمَّ عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام واسمها سمية بنت الحنَّاط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله.
- ١٠- عبد الله بن ياسر، أخو عمار.
- ١١- حذامة بنت خويلد اخت خديجة الكبرى ﷺ.
- ١٢- أسماء بنت أبي بكر.
- ١٣- زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب أخت عثمان بن مظعون زوجة

عمر بن الخطاب.

١٤ - عبد الله بن شهاب بن عبد الحرث جد محمد بن شهاب الزهري.
١٥ - عبد الله بن عمر بن الخطاب وأمه زينب بنت مظعون، مات بمكة في سنة أربع وسبعين، وقد أتت له أربع وثمانون وكان نازلاً على عبد الله بن خالد بن أسيد في داره، وكان صديقاً له، فلما حضرته الوفاة أوصاه أن لا يصلي عليه الحجاج، وكان الحجاج بمكة والياً بعد مقتل ابن الزبير فصلّى عليه عبد الله بن خالد بن أسيد ليلاً على ردم آل عبد الله عند دارهم، ودفنه في مقبرته (٤٠).

١٦ - عبد الله بن الزبير بن العوام (٤١).
ظنّ بعض المؤرخين أن قبر آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ في هذه المقبرة، وهذا ليس بصحيح إذ ذكر ابن هشام في سيرته، وابن سعد في طبقاته بأن وفاة آمنة كان بالأبواء بين مكة والمدينة، ودفنت هناك (٤٢).
وقال الأزرقي: قد زعم بعض المكيين أن في هذا الشعب قبر آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم رسول الله (٤٣). ومن هذه العبارة - قد زعم - يظهر بأن هذا عنده ليس بصحيح.

وجاء في مرآة الحرمين:
... وبه أيضاً قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول ﷺ وهذا افتراء، والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء (٤٤) بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلاً من رابغ (٤٥).
وقع الأبواء في الجهة الشرقية للمدينة المنورة، ومن رابغ إلى الأبواء ٤٣ كيلومتراً -

وقد ذكر مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الحافظ الفيروز آبادي في كتابه باسم - اثارة الحجون إلى زيارة الحجون - وكذلك محمد بن العلوي المالكي



في مؤلفاته، أسماء بعض الصحابة والتابعين والعلماء والعرفاء المدفونين في هذه المقبرة (٤٦).

كانت مقبرة الحجون قبل تسلط الوهابيين موضع اهتمام خاص من أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام، وكان الناس يقصدونها لزيارة القبور.

قال محمد حسين هيكل في كتابه - في منزل الوحي - ما يلي:

وقبور المعلاة مسوأة بالأرض اليوم، وهي لم تكن كذلك قبل أن يدخل الوهابيون الحجاز. ويفصل بينها وبين الطريق منحدر من الأرض يسمونها، وبما تحويه من ذكريات إلى سفح الجبل. وإنك لترى بها على رؤوس قبور شواهد نفشت عليها بالخط الكوفي أو بالخط الثلث الجميل آيات قرآنية في أغلب الأمر، وأسماء ساكني هذه القبور في بعض الأحيان، ولقد صحبنا حارس المقبرة في مسيرنا يهدينا أثناءها إلى مقابر بعض الصحابة والتابعين.

وتقدمنا غير بعيد، ثم وقف يشير بإصبعه إلى قبر ذكر أنه قبر عبد الله بن الزبير... وإلى جانب قبر ابن الزبير أشار الحارس إلى قبر آخر ذكر أنه قبر أمه أسماء بنت أبي بكر. ومد الحارس بصره إلى ناحية الجبل من الشمال ومددنا البصر معه، فأشار إلى جدار قائم في سفح الجبل يحجب ما وراءه ولم ينس بنت شفة. أمّا الشيخ عبد الحميد حديدي^(٤٧) فقد أخبرني أنّ الوهابيين شادوا هذا الجدار ليستروا به قبر خديجة أم المؤمنين، وقبور بني هاشم من أجداد الرسول عن الأعين، وليحولوا بين الحجاج وزيارتها للتبرك بها؛ لأنهم يرون في الزيارة والتبرك إثماً هو إثم الشرك بالله، أو اتخاذ هذه القبور زُلفى إليه.

وتقدمنا الشيخ عبد الحميد إلى ناحية هذا الجدار متخطياً المقبرة التي كنّا بها إلى فضاء يعترض السبيل إليه عارض من خشب سدّ به الطريق... وبعد هنيئة أشار إلى قبر على يسار الداخل قال: إنّه قبر خديجة بنت خويلد أمّ

المؤمنين وجدة جميع المنتسبين إلى الرسول بأنهم من أبناء ابنته فاطمة وابن عمه علي بن أبي طالب. ولقد سُوي هذا القبر بالأرض كما سويت القبور بأمر الوهابيين. وتقدمنا خطوتين بعد ذلك إلى قبور، قال الحارس: إنها قبور جدِّي الرسول: عبد المطلب وعبد مناف وعمه أبي طالب. ثم أشار إلى قبر ذكر أنه قبر أمه آمنة. ولم يدهشني ما ذكره عن قبر آمنة مع علمي أنها توفيت ودفنت بالأبواء بعد الذي ذكره أهل مكة عن هذه الآثار وقيمة سندها من التاريخ. فالقول بوجود قبر آمنة في هذا المكان إنما كان يقصد به إلى الاستزادة مما يدفعه الحجاج أثناء زيارتهم هذه القبور للتبرُّك... وآن لنا أن ننصرف من المقبرة، فاستوقفنا الحارس إذ مدَّ يده ممسكاً بها قطعة من القاشاني الأخضر الجميل اللون زينت أطرافها بنقش فني دقيق وقال: «هذه قطعة من جدار القبة التي كانت على قبر السيدة خديجة» فقد كان على قبر خديجة قبة شاهقة بارعة الجمال، يذكر المؤرخون أنها بنيت في السنة الخمسين والتسعمائة من الهجرة أثناء ولاية داود باشا بمصر، وأن الذي بناها أمير دفاتر هذا الوالي الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسي. وقد أزال الوهابيون هذه القبة فيما أزالوا من القباب أوّل دخولهم مكة إرضاء لهوى إيمانهم، ثم بقيت صورتها الشمسية تشهد بأنها كانت آية بارعة في فنّ العمارة براعة تصدّ من يفهم هذا الفن عن أن يصيبها بسوء. وكانت إلى جوارها قباب لجدِّي النبيّ عبد المطلب وعبد مناف ولعمّه أبي طالب، بذلك كانت هذه المقبرة بدعاً يعشقه من يحبون جمال الفن، وكان الناس يزورونها إجلالاً لهذه القباب، وتبركاً بذكرى ساكنيها. أما اليوم فلا يفكر أحد في القباب وقد أزيلت، ولا يزور أحد القبور وقد حيل بين الناس وبينها بهذا الجدار الذي يصدّهم عنها. على أنهم ما فتئوا يحضرون اليوم كما كانوا يحضرون من قبل فيقفون عند هذا الحاجز الذي تخطيناه قبل أن نصعد سفح الجبل فيقرأون الفاتحة



ويلتمسون البركة ثم ينصرفون (٤٨).

قال «رفعت باشا»: قد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها، ويحيط بالمقبرة سور قديم مبنٍ بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وبه أيضاً جملة قباب قيل لنا: إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم أجداد النبي ﷺ وكذلك قبة على قبر عمه أبي طالب (٤٩).

تحتل منطقة الحجون - إضافةً إلى ما لها من أهمية بسبب عظمة الشخصيات المدفونة فيها - بقداسة خاصة لدى المسلمين ولا سيما أهل السنة، وذلك لأن النبي ﷺ حينما عاد من المدينة ودخل مكة، دخلها من هذه المنطقة وسكن فيها.

ابو الوليد قال: حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء أن النبي ﷺ بعدما سكن المدينة كان لا يدخل بيوت مكة، قال: إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلى مكة فاضطرب به الأبنية، قال عطاء: في حجته فعل ذلك أيضاً، ونزل أعلى مكة قبل التعريف، وليلة النفر نزل أعلى الوادي.

ونقل عن أبي رافع أنه قال: قيل للنبي ﷺ يوم الفتح: ألا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ قال: وكان عقيل بن أبي طالب باع منزل رسول الله ﷺ ومنازل أخوته من الرجال والنساء بمكة حين هاجروا، ومنزل كل من هاجر من بني هاشم فقيل لرسول الله ﷺ: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك، فأبى رسول الله ﷺ وقال: لا أدخل البيوت. فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون (٥٠).

ونقل أيضاً عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ مضطرباً بالحجون في الفتح يأتي لكل صلاة (٥١).

وسكن أبو موسى الأشعري في هذا الشعب بعد انصرافه من الحكمين، وله على فم الشعب سقيفة وقال كثير بن كثير السهمي له:
سكنوا الجزع جزع بيت أبي موسى إلى النخل من صفى السباب
وعلى باب الشعب بئر لأبي موسى، وكانت تلك البئر قد دثرت واندفت
حتى نثلها بغا الكبير أبو موسى، ونفض عامتها، وبناها بنياناً محكماً، وضرب في
جبلها حتى انبط ماؤها، وبني بمحاذئها سقاية، وجناذ يسقي فيها الماء، واتخذ
عندها مسجداً، وكان نزوله هذا الشعب حين انصرف عن الحكمين، وكانت فيه
قبور أهل الجاهلية فلما جاء الإسلام حولوا قبورهم إلى الشعب الذي بأصل ثنية
المدنيين الذي هو اليوم فيه، فقال أبو موسى حين نزله: أجاور قوماً لا يغدرون،
يعني أهل المقابر (٥٢).

وجاء في الروايات التاريخية: حينما ولد الرسول ﷺ سمع قائل يقول فوق
الحجون:

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت ولا ولد أنثى من الناس واحدة
كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبة لؤم القبائل ماجدة (٥٣)
وروى أبي سلمة، أن رسول الله ﷺ وقف عام الفتح على الحجون، ثم قال
[لأرض مكة]: والله إنك لخير أرض الله، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولو لم
أخرج منك ما خرجت... (٥٤).

وكان أيضاً لابن أبي ذر في أصل الحجون دار كان يسكنها (٥٥) بعض
الناس يتصوّرون أن النبي ﷺ وقومه وأنصاره قد بقوا في هذه المنطقة لمدة ثلاث
سنين محاصرين من قبيلة قريش، ويعدّون هذا المكان شعب أبي طالب، إلا أن
هذا التصوّر غير صحيح، فشعب أبي طالب يقع قرب المسجد الحرام وإلى جبل
أبي قبيس.



الهوامش :

- (١) العقد الثمين ١: ٢٢٢.
- (٢) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢١٠؛ معجم معالم الحجاز: ٥٦.
- (٣) معجم البلدان ٣: ٣٩٣.
- (٤) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢٧٣.
- (٥) المصدر نفسه: ٢٠٩؛ شفاء الغرام ١: ٢٨٥.
- (٦) صفى السباب: أكمة في المعابدة تشرف على الخرمانية من مطلع الشمس. أخبار مكة للسباعي: ٣١.
- (٧) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢٠٩.
- (٨) قال ابن ظهيرة المراد باليمنى هو شعب أبي دب المعروف الآن بـ«شعب العقاريت» و«شعب الجزارين» والمراد بالشام هو «شعب الصفي». أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢١١.
- (٩) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢١١.
- (١٠) شفاء الغرام ١: ٢٨٤.
- (١١ و ١٢) فقه العبادات (الحج): ٢٠٥.
- (١٣) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢٠٩.
- (١٤) شفاء الغرام ١: ٤٥٣.
- (١٥) المعجم الكبير للطبراني ١١: ١١٠ ح ١١٢٨٢.
- (١٦) شفاء الغرام ١: ٤٥٤؛ في رحاب بيت الله الحرام: ٢٥٢.
- (١٧) الأغاني ١: ٣٢٢؛ أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢١١.
- (١٨) الأغاني ١: ٢١٨.
- (١٩) الكديد: مكان بين مكة والمدينة، يبعد عن مكة بمسافة اثنين وأربعين ميلاً. معجم معالم الحجاز ٧: ٢٠٤.
- (٢٠) المصدر نفسه.
- (٢١) الأغاني ١٩: ٧٨.
- (٢٢) لسان العرب ٣: ٦٩.
- (٢٣) أخبار مكة للأزرقى ٢: ٢٠٩.
- (٢٤) المصدر نفسه.
- (٢٥) شفاء الغرام ١: ٤٥٤.
- (٢٦) المصدر نفسه: ٤٥٦.
- (٢٧) لسان العرب ٣: ٦٩.
- (٢٨) في منزل الوحي: ٢١٠.
- (٢٩) امرأة الحرمين ١: ٣٣٨.
- (٣٠) المصدر نفسه: ٣٣٩.

- (٣١) العقد الثمين ١: ١٤٧.
- (٣٢ و ٣٣) مرآة الحرمين ١: ٣١.
- (٣٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ١: ١٩.
- (٣٥) مرآة الحرمين ١: ٣١؛ فقه العبادات (الحج): ٢٠٥.
- (٣٦) بحار الأنوار ١٩: ٢٠.
- (٣٧) المصدر نفسه.
- (٣٨) البداية والنهاية ٣: ٢٩٤.
- (٣٩) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠.
- (٤٠) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٢١٠.
- (٤١) في رحاب البيت الحرام: ٢٥٢ - ٢٥٨؛ فقه العبادات (الحج): ٢٠٥.
- (٤٢) السيرة النبوية ١: ١٧٧؛ طبقات ابن سعد ١: ٧٣.
- (٤٣) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٢١٠.
- (٤٤) الأبواء تسمى اليوم (الخريبة).
- (٤٥) مرآة الحرمين ١: ٣١.
- (٤٦) في رحاب البيت الحرام: ٢٥٨.
- (٤٧) الشيخ عبد الحميد حديدي كان مع الشيخ عباس قطان في أمانة العاصمة، وكان قبل ذلك قد اشتغل بالتعليم في جدة، وبالقضاء عند أدنى حدود الحجاز من اليمن، في منزل الوحي: ٢٠٨.
- (٤٨) في منزل الوحي: ٢١١ و ٢١٢.
- (٤٩) مرآة الحرمين ١: ٣٠، ٣١ و ٣٢.
- (٥٠) أخبار مكة للأزرقي ٢: ١٦١.
- (٥١) المصدر نفسه.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٢٧٢.
- (٥٣) سبل الهدى والرشاد ١: ٤٢٦.
- (٥٤) أخبار مكة للأزرقي ٢: ١٥٦.
- (٥٥) المصدر نفسه: ١٦٠.

مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٢)

عاتق بن غيث البلادي

الحِثْمَة:

بثلاث فتحات، هي حِثْمَة عمر بن الخطاب، كانت من ربيع رهطة بني عدي بن كعب، وكان يقول:

إن الذي أخرجني من الحِثْمَة لقادر على أن يسوقها إليَّ. أي الشهادة.
والحِثْمَة - جغرافياً - أكمة صخرية قابلة للتفتت. وكانت هذه الحِثْمَة بسفح جبل عُمر مما يلي الشبيكة فغشيها العمران، وهي اليوم لصق جسر الشبيكة من مغيب الشمس، وفيها يقول خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة، ويقال الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة:

لنساء بني الحُجُون إلى الحِثْمِ	حِثْمَة في ليال مقمرات وشرق
ساكنات البطاح أشهى إلى القلب	من الساكنات دور دمشق
يضمخن بالعنبر والمسك	ضماخاً كأنَّه ريح مَرْق

ويروي الأصفهاني، قصة هذا الشعر فيقول: (١)

بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة، ويقال: بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة، كان تزوج حُمَيْدة بنت النعمان بن بَشِير بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان، فقالت فيه:

نكحت المديني إذ جاءني فيا لك من نكحة غاوية
كهول دمشق وشبانها أحب إلينا من الجالية
صنان لهم كصنان التيو س أعياء على المسك والغالية
فقال الحارث يحييها:

قاطنات الحجون أشهى إلى قلـ جي من ساكنات دور دمشق
من قصيدة طويلة، وله أشعار أخرى في تشوقه إلى مكة. وكذلك ظلت خزاعة تلي البيت خمسمائة سنة إلى أن أفسدت فأزاحها قُصَي بن كلاب، فوليتها قُرَيْش وعمرتها، فلما أفسدت في الحرم بما وضعت فيه من أصنام، وغيرت ما تبقى من ملة إبراهيم، أرسل الله محمداً (ﷺ) بدين الحق، وبذل الله مكة خيراً وجعلها قبلة الدنيا.

وقصيدة مضاض هذه، قبل البعثة النبوية بما يقرب من ٧٠٠ سنة، وهي من الجودة بحيث جاءت في قمة النضوج مما يدل على أن عمر الشعر العربي قبل البعثة بأمدة مديد، أما قول المستشرقين بأن الشعر العربي بدأ قبل الرسالة بزمان قصير نسبياً، فهو من تخميناتهم الكثيرة، وأما تشكيكهم في كل شعر ذي زمن عميق كشعر مضاض، فإننا لو اتخذنا التشكيل معياراً ومذهباً لألغينا جلّ تراثنا. هذا استطراد أملتته سيرة مضاض بن عمرو.

وقال أبو طالب عم النبي (ﷺ): (٢)

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا على ملأ يهدي الحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم مقاوله بل هم أعز وأمجـد



ويقول كثير بن كثير - بفتح الكاف - السهمي: (٣)

كم بذاك الحُجُون من حيِّ صدق من كهولٍ أعفَّةٍ وشباب
فارقوا وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إياب
وقال أبو ذؤيب الهذلي: (٤)

أَلَكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرِّسْ لِي أَعْلَمُهُم بِنَوَاحِي الْخَبَرِ
بَايَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَاءِ بَيْنَ الْحُجُونِ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وقال النسيب: (٥)

لا أنساك ما أرسى ثبيرٌ مكانه وما دام جاراً للحُجُونِ الْمُحْصَبِ
يتضوَّعْنَ لو تَضَمَّنَ بِالْمَسِّ لِكِ صَنَاناً كَأَنَّهُ رِيحُ مَرْقٍ
وقد رأيت مَنْ تَحَلَّ وَفَسَّرَ هَذَا الشَّعْرَ، فَفَسَّرَ (المِرق) بِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْعُطُورِ.
وَالْعَرَبُ تَعْرِفُ الْمَرْقَ وَقِيحَ رِيحِهِ فِي الثِّيَابِ، خَاصَّةً أَنَّ الْمَوْقِفَ كَانَ مَوْقِفَ سَبَابٍ
وَمَعَايِرَةٍ.
وَهَذَانِ حَجَازِيَانِ تَقْدُمُ أَحَدُهُمَا فَقَطْنَ الشَّامِ، وَعَدَّ الْآخِرُ جَالِيَةً أَيْ
غَرِيباً!

الحُجُون:

بضم الحاء المهملة والجيم على التوالي .. والعامة اليوم تقول: الحُجُول،
بإبدال النون لاماً، وذلك لقرب مخارج الحروف.
كانت جرهم سادة البيت فبغوا وفسقوا فيه فثارت الحرب بينهم وبين
خُزاعة فأجلتهم خُزاعة إلى اليمن، فضلت إبل لمُضاض بن عمرو الجرهمي ملك
جرهم، فتابع أثرها حتى أشرف على وادي مكة، فإذا بإبله تنحر وتطبخ، فأنشأ
مُضاض يقول:

كأن لم يكن بين الحُجُونِ إلى الصِّفا
ولم يتربّع واسطاً فجُئوبه
بلى! نحن كُنّا أهلها فأزالنا
وبدّلنا ربّي بها دار غُربة
فإن تمل الدنيا علينا بكلّها
فكنّا ولاة البيت من بعد نابتِ
كل هذه الأقوال لشعراء عبروا عن الحجون، فأين الحجون؟ المعروف
اليوم ريع الحجون وتقول العامة: الحجول كما قدمنا، ولكن هذا الريع ما كان
يسمى الحجون في عهد أولئك الشعراء، بل كان يسمى كداء وهو الذي يقول فيه
حسان بن ثابت، يخاطب مشركي قريش:

عدمتم خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

ولم يتعمق جغرافيو المتقدمين في تحديد الحجون، ولعل ذلك لبعدهم عن
مكة. ومن شاهدها منهم شاهدها مشاهدة الزائر الغريب، وما ستأتي به
مشاهدات غريب؟ إن لم يكن له من أهل البلد راوية ومرشد. وعندما قام
الأستاذ رشدي ملحس بتحقيق أخبار مكة، تأليف محمد الأزرق، توهم أن
الحجون حجوانان: أحدهما جاهلي، والآخر إسلامي، ولا أرى ذلك. بل إن لدينا
نصوصاً من أهمها نصّ الأزرق نفسه، على أن الحجون هو الجبل الذي يمتد من
ريع الحجون اليوم مشرقاً بشمال، ويكون وجهه الشرقي جبل أذاخر الذي
يشرف على ثنية أذاخر التي تفضي على الحُرمانية (حائط خرمان) وهي الثنية
التي دخل منها رسول الله (ﷺ) يوم الفتح، فإذاً جبل الحجون هو ذلك الجبل
الذي تقع مقبرة أهل مكة القديمة بسفحه من الجنوب الغربي، وفي هذه المقبرة قبر
خديجة رضي الله عنها.



وقفه: هذه الوقفة مع شعر مضاض بن عمرو الجرهمي المتقدم. فقبل مدة ألقى أحد الأساتذة الكرام محاضرة كرر فيها أن عمر الشعر العربي لا يزيد عن (٢٠٠) سنة! قبل البعثة النبوية على أكثر تقدير. ويقول هذا المحاضر (وعساه يعني ما يقول) وكان ذروة مجد الشعر ذلك البيان الذي نجده في القرآن! لما تركته المعلقات من مفردات راقية، أي أن بلاغة القرآن - على حدّ تعبير هذا المحاضر - ما كانت لتصل إلى هذا المستوى لو لم يترك الشعر! ولن تناقش هذا الزعم الباطل يقيناً. إنما الذي نريد أن تناقشه قوله: إن أول من هلهل الشعر وهو المهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس، فأورثه شعره وعلى يد امرئ القيس سما الشعر. أهـ.

قلت: هذا منحى نحاه بعض المتقدمين عليه السلام كقولهم: فتح الشعر بأمير وختم بأمير. أي فتح بامرئ القيس وختم بأبي فراس الحمداني، ولا زال الشعر حياً يغنى رغم القرون التي مرّت على موت أبي فراس. وكانوا يجادلون في من هو أشعر الناس. ولكنهم كانوا يقصدون أشعر الناس في زمانهم. وحتى بعض المتأخرين قال: ختم الشعر بشوقي ولم يختتم بعد. والمهم في موضوعنا المقارنة بين زمن مضاض والمهلهل.

فالمصادر تقول: إن المهلهل عاش نحو (٥٧٠) م أي قبل الهجرة بخمسين سنة. ومضاض قبل الهجرة بسبعائة سنة تقريباً، ذلك أن خزاعة وليت البيت بعد جرهم خمسمائة سنة، وبين قُصَيٍّ وبين الرسول ﷺ بمائتي سنة، كل هذا بالتقريب. وهذا شعر مضاض أمامنا من شعر البلدانيات والتشوق الجيد، وهو بالتأكيد ليس بدعاً عليه بل نتيجة مسيرة طويلة.

ولجرهم شعر آخر:

لَهُمْ إِنْ جُرْهُمًا عِبَادُكَ النَّاسَ طَرْفَ وَهُمْ تَلَادُكَ
فإلى أخي ذلك المحاضر الذي تكرم وأرسل إليّ نسخة من المحاضرة وإلى

كلّ الدارسين لأدبنا نقول: التروي والبحث العميق قبل إصدار الحكم ﴿وما أُوتِيتُمْ من العلم إلا قليلاً﴾.

حِراء:

بكسر أوله وفتح ثانيه مع المد، من أشهر جبال مكة بل أشهرها على الإطلاق: جبل يقع في شرقي مكة إلى الشمال، فيه الغار الذي كان يتعبد فيه رسول الله (ﷺ). وفيه نزلت على رسول الله (ﷺ): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٦).

وكانت النبوة التي عمّ البشرية نورها ووسعهم عدلها وشغلهم بركتها، فلا يحرم منها، إلا شقي. وله تأريخ طويل وأقوال للمتقدمين فيه لغوية وتأريخية (انظر معجم معالم الحجاز) وقد أكثر المتأخرون من ذكره في أشعارهم، فقد أصبح رمزاً للهداية والإلهام، أما ذكره في الشعر القديم فممنه قول عوف بن الأحوص:

فإني والذي حجت قريش محارمه وما جمعت حِراء

وكتبنا في معجم معالم الحجاز:

حِراء: هو الجبل الشاخ ذو الرأس الأزلق المقابل لِثَبِيرِ الأَثْبَرَةِ من الشمال، بينهما وادي أفاعية، يأخذه (أفاعية) الطريق من مكة إلى الشرق ماراً باليمانية.

فيه الغار الذي كان يتعبد فيه (ﷺ) وفيه نزلت عليه أول سورة من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وكان يسمى ثبيراً الأعرج، ويسمى اليوم جبل النور، يسيل منه إلى الغرب وادي جليل، وقد وصل اليوم عمران مكة إلى سفوحه الغربية. يرتفع حِراء (٢٠٠م) عن سطح البحر، وبسفحه الجنوبي آثار عين الزعفران، وهي من العيون التي أجرتها زُبَيْدَةُ إلى مكة، ثم انقطعت.



وقال ياقوت:

بالكسر، والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه، قال جرير:

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً وَأَعْظَمَهُم بَيْطَنَ حِرَاءٍ نَاراً؟

فلا يصرفه لأنه ذهب به إلى البلدة التي حراء بها، وقال بعضهم: للناس فيه ثلاث لغات: يفتحون حاء وهي مكسورة، ويقصرون ألفه وهي ممدودة، ويميلونها وهي لا تسوغ فيها الإمالة، لأن الراء سبقت الألف ممدودة مفتوحة وهي حرف مكرّر فقامت مقام الحرف المستعلى مثل راشد ورافع فلا تمال؛ وكان النبي (ﷺ) قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل، وفيه أتاه جبريل (عليه السلام)؛ وقال عَرَّام بن الأصبع: ومن جبال مكة ثبير، وهو جبل شامخ يقابل حراء، وهو جبل شامخ أرفع من ثبير في أعلاه قُلَّةٌ شامخة زلوج، ذكروا أن رسول الله (ﷺ) ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك، فقال رسول الله (ﷺ): اسكن يا حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؛ وليس بهما نبات ولا في جميع جبال مكة إلا شيء يسير من الضَّهْيَاء يكون في الجبل الشامخ، وليس في شيء منها ماء، ويليهما جبال عرفات، ويتصل بها جبال الطائف، وفيها مياه كثيرة. وقال البكري: حراء: بكسر أوله ممدود على وزن فعال: جبل بمكة. قال الأصمعي: بعضهم يذكره ويصرفه، وبعضهم يؤنثه ولا يصرفه؛ قال عَوْف بن الأحوص في تأنيثه:

فإني والذي حَجَّتْ قريش محارمه وما جمعت حراء
وأنشد الفراء:

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحْلاً وَأَعْظَمَهُم بَيْطَنَ حِرَاءٍ نَاراً؟

قال ابن الأنباري: إنما لم يجر حراء لأنه جعله اسماً لما حول الجبل، فكأنه

اسم لمدينة، وأنشد لابن هزيمة:

وخلئتُ حراءَ من ربيعٍ وصيفٍ نعاماً رحل وافرأ ومقر نصا
واجراها لضرورة الشعر. وقال أبو حاتم: التذكير في حراء أعرف
الوجهين. وذكر الحديث السابق مع اختلاف في اللفظ.
وقال رؤبة: ورب وجهٍ من حراءٍ منحن.
قال الأصمعي: لم أره منحنياً. قال المؤلف: أمّا قول عرام: أرفع من ثبير.
فهو خطأ تظهره المشاهدة، وقلة حراء فيها شيء من الانحناء.

الحَزْوَرَة:

قال الأزرقى: ^(٧) الحَزْوَرَة وهي كانت سوق مكة، كانت بفناء دار أم هاني
ابنة أبي طالب التي كانت عند الحنّاطين ^(٨)، فدخلت في المسجد الحرام، كانت في
أصل المنارة إلى الحثمة والحزاور والجبابج الأسواق، وقال بعض المكيين: بل
كانت الحَزْوَرَة في موضع السقاية التي عملت الحَيْرَان بفناء دار الأرقم؛ وقال
بعضهم: كانت بجذاء الردم في الوادي، والأولى أنها كانت عند الحنّاطين أثبت
وأشهر عند أهل مكة. وروى سفيان عن ابن شهاب قال: قال رسول الله (ﷺ)
وهو بالحزورة: أما والله إنك لأحبّ البلاد إلى الله - سبحانه - ولولا أن أهلك
أخرجوني منك ما خرجت. قال سفيان، وقد دخلتُ الحَزْوَرَة في المسجد الحرام
وفي الحزورة يقول الجرهمي:

بدأها قوم أشحّاء أشدّة على ما بهم يشرونها بالحزاور
وقال أبو عبيد البكري:

الحَزْوَرَة: موضع بمكة يلي البيت، وفيه دفن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد
الله، ابن أخي طلحة بن عبيد الله وكان قُتِل مع ابن الزبير، فلما زيد في المسجد



الحرام دخل قبره في المسجد، ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر.
وقال الغنوي:

يوم ابن جُذعان بجنب الحزوره كأنه قيصر أو ذو الدسكرة
روى الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن عبد الله بن عدي
بن حمراء الزهري أخبره، أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول وهو واقف بالحزورة في
سوق مكة (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجتُ
منك ما خرجت).

قلت: ولذا احتج الشافعي، بأن مكة أفضل البلدان على الإطلاق.
ولذا يتعين أن موضع الحزورة هو داخل الركن الشمالي الغربي من المسجد
الحرام، قبل التوسعة العثمانية، أي أنها الآن في طرف الصحن مما يلي ذلك الركن.

الخطم:

بفتح الحاء المعجمة وضم الطاء المهملة: هو ما يسميه عرب اليوم الخشم،
وهو النصف المنقاد من الجبل إلى الأرض، وبمكة خطمان: أحدهما خطم الحُجُون،
وهو ما حازت مقبرة أهل مكة باتجاه أذاخر. وعن يمين الأبطح.

وفي هذا يقول الحارث بن خالد: (٩)

أقوى من آل فطيمة الحزم فالعيرتان فأوحش الخطم
وهذا هو الذي يقع في سفحه حي الجعفرية الممتد من مقبرة أهل مكة
القديمة إلى شعب أذاخر اليماني، وله شاهد في الحجون.
والخطم الآخر يقع شمال عرفة بينهما سيل عُرنة يأخذ بعضه حد الحرم،
يتصل شمالاً بجبال الشُّعر جمع شعراء، ثم جبل الطارقي، وتمتد منه إلى الشرق
والشمال الشرقي سهول المغمس.

وهذا عناه أبو خراش الهذلي بقوله: (١٠)
غداة دعا بني جشع وولي يوم الخطم لا يدعو مجيبا
وبنو جشع أرى صوابها بني جشم، لأن بني جشم قبيلة معروفة،

خُم:

بضم الخاء المعجمة، وميم: بئر كانت بمكة. قيل: هي لكلاب بن مُرّة أبي قصي، وقيل: حفرها وحفر رم، عبد شمس بن عبد مناف، وقال:
حفرت خُمًا، وحفرت رُمًا حتى ترى المجد لنا قد نَمًا (١١)
وقيل: خُم: بئر قريبة من الميثب، وكان الناس يأتون خُمًا في الجاهلية والإسلام يتنزهون (١٢).

قلت: خُم - اليوم - شعبتان جنوب المسجد الحرام على قرابة خمسة أكبال، أو أقل، إحداهما تدعى خُمًا، والأخرى خُميماً، تصبان من جبل سُدير، فتجتمعان فتكوّنان رأس بطحاء قُريش، التي تذهب إلى عُرنة.
وفي خُم مسلك لماء المطر يخرج إليه أهل مكة إذا مطرت متنزّهين، وعند اجتماع الشعبين توجد بئر كان فيها الماء إلى عهد قريب، ربما هي (بئر خُم) المنسوبة إلى قدماء قريش. ومن هذا البئر يمكنك أن ترى الميثب مغيب الشمس. وقد أكّدت لي أحد كبار السن من سكان تلك الناحية: أن البئر تدعى بئر خُم، وكذلك الشعبة التي تقع فيها البئر. والعرب من عادتهم تسمية الشيء بجاره وما فيه، على أني أرجح أنها هي البئر القرشية القديمة، لوجود نظائرها على أسمائها القديمة.

الخندمة:

بفتح الخاء المعجمة، وسكون النون ثم الدال المهملة فيم فهاء. وقد تجمع



الخنادم: هي سلسلة جبلية خشباء بمكة، تبدأ من شعب عامر قرب المسجد الحرام فتشرق حتى تصل المفجر، وإن كان شرقها يسمى باسم آخر، وفيها اليوم أحياء كثيرة وهي تقابل الحجون من الجنوب، وتمتد جنوباً فيكون نهايتها هناك جبل (سُدَيْر).

قيل: وكان أبو الرّعّاس - أحد بني صاهلة - وقيل: حمّاس بن قيس بن خالد البكري^(١٣) يعد سلاحاً، فقالت امرأته: ما تصنع بما أرى؟ قال: سمعت أن محمّداً سيغزونا فهذا له ولأصحابه. فقالت: ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. فقال: والله إنّي لأرجو أن أخدمك منهم خادماً، ثم قال: (١٤)

إن يقبلوا اليوم فما بي عِلَّةٌ هذا سلاح كامل وآلُه

وذو غرارين سريع السِّلَّةُ

ثم شهد هذا الشاعر يوم الفتح الخندمة مع أناس جمعهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، فhez مهم خالد بن الوليد، فر منهزماً حتى دخل بيته، وقال لامرأته: هل من محش؟ فقالت: أين الخادم؟ قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كلّ ساعد وجمجمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه

لم تنطقي باللوم أدنى كلمة

قلت: وقوله: فhez مهم خالد بن الوليد، هذا ناتج عما لخالد في نفوس المسلمين من البطولة، فلا يكادون يجهلون قائداً أحدث مثل هذا حتى يتبادر إلى أذهانهم اسم خالد، وهذا وهم، لأن خالداً دخل مع (كُذَي) المعروف اليوم بريع الرسام، وكان سيره على طول الشارع المعروف اليوم بشارع خالد بن الوليد، وفيه مسجد ينسب إليه، وهذا غرب المسجد الحرام، ومعروف أن جيوش الفتح

أحاطت بمكة من ثلاث جهات: أذاخر حيث دخل رسول الله (ﷺ)، وكداء - بالفتح - حيث دخل الزبير وكتائب من الأنصار، وكُدَى - بالضم والقصر - حيث دخل خالد. فاجتمعت في المسجد الحرام. فكيف يقاتل خالد في الخدمة في أعلى مكة؟ لكن هذه فرقة أرسلها الزبير لا شك، للسيطرة على جبل الخدمة المسيطر على كل معلاة مكة إلى المسجد الحرام، وتوطئة لنزول رسول الله في الأبطح، ولأن فيلق الزبير يمر بسفح الخنادم فلا شك أن مجموعة صفوان ناوشتهم وهم بين ثنية المدنيين (ربيع الحجون اليوم) وبين المسجد الحرام، فأمر القائد بتطهير هذا الجيب لتخلو معلاة مكة وتأمين.

وقال بُدَيْل بن عبد مناة بن أم أصرم يخاطب أنس بن زعيم الديلي، والدليل من كنانة، رهط أبي الأسود الدؤلي، صاحب الإمام علي (عليه السلام).

بكى أنس رزناً، فأعوله البكا فالأعدى إذ تطل وتبعد
أصاهم يوم الخنادم فتية كرام، فسل منهم، نفيل ومعد
هنالك، إن تسفح دموعك، لا تلم عليهم وإن لم تدمع العين تكمد
... يتبع

الهوامش :

- (١) الأغاني: ٣٣٤٧ ط دار الشعب.
- (٢ و ٣) أخبار مكة ٢: ٢٧٣.
- (٤ و ٥) معجم ما استعجم (الحجون).
- (٦) العلق: ١-٤ ويعرف اليوم بجبل النور.
- (٧) ٢: ٢٩٤.
- (٨) كذا قال: الحناطين، وهم بائعوا الحنطة، ولكن في الفاكهي (الخياطين).
- (٩) معجم معالم الحجاز، الخطم.
- (١٠ و ١١) معجم البلدان، الخطم.
- (١٢) أخبار مكة: ٢١٤.
- (١٣) كذا في معجم ما استعجم، وفي معجم البلدان: حماس.. الخ (الخدمة).
- (١٤) معجم ما استعجم.

الحجازيات

الشريف الرضي رحمته الله

ميعاد دمع العيين

ألا يا ليالي الخيف! هل يزجع الهوى
فيا دين قلبي من ثلاث على منى
ورامين وهنأ بالجمار، وإنما
رماؤا لا يبالون الحشى، وتروّحوا
وقالوا: غداً ميعادنا النفر عن منى،
ويا بُؤس للقرّب الذي لا ندوقه
فيا صاحبي! إن تُعط صبراً، فإنني
وإن كنت لم تدّر البكسا قبل هذه،
إليكن لي؟ لا جازكن ندى القطر
مضين ولم يُبقين غير جوى الذكر
رماؤا بين أحشاء المحبين بالجمر
خليين، والرامي يُصيب، ولا يدري
وما سرّني أن اللقاء مع النفر
سوى ساعة ثم البعاد مدى الدهر
نزعني يدّي اليوم من طاعة الصبر
فميعاد دمع العيين مُنقلب السفر

أحبك

أُحِبُّكَ مَا أَقَامَ مِنِّي وَجَمَعُ،
وَمَا رَفَعَ الْحَجِيجُ إِلَى الْمُصَلَّى،
وَمَا نَحَرُوا بِخَيْفٍ مِنِّي، وَكَبَّوْا
نَظْرَتِكَ نَظْرَةً بِالْخَيْفِ كَانَتْ
وَلَمْ يَكْ غَيْرُ مَوْفِقِنَا فَطَارَتْ
فَوَاهَا كَيْفَ تَجْمَعُنَا اللَّيَالِي؛
فَأُقْسِمُ بِالْوُقُوفِ عَلَى الْأَلِ،
وَأَرْكَانِ الْعَتِيقِ وَبَانِيئِهَا،
لَأَنْتَ النَّفْسُ خَالِصَةٌ، فَإِنْ لَمْ
نَظَرْتُ بِبَطْنِ مَكَّةَ أَمْ خَشَفِ
وَأَعَجَبَنِي مَلَايْحُ مِنْكَ فِيهَا،
فَلَوْلَا أَنَّنِي رَجُلٌ حَرَامٌ،
وَمَا أُرْسَى بِمَكَّةَ أَخْشَبَاهَا^(١)
يَجْرُونَ الْمَطْيَى عَلَى وَجَاهَا^(٢)
عَلَى الْأَذْقَانِ مُشْعَرَةً ذُرَاهَا
جَلَاءَ الْعَيْنِ مِنِّي بَلْ قَذَاهَا
بِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَّا نَوَاهَا
وَاهَا مِنْ تَفَرُّقِنَا، وَآهَا
وَمَنْ شَهِدَ الْجِبَارَ، وَمَنْ رَمَاهَا
وَزَمَزَمَ وَالْمَقَامَ وَمَنْ سَقَاهَا
تَكُونِيهَا، فَأَنْتِ إِذَا مُنَاهَا
تَبَغَّعْ، وَهِيَ نَاشِدَةٌ طَلَاهَا
فَقُلْتُ أَخَا الْقَرِينَةِ أَمْ تُرَاهَا؟
ضَمَمْتُ قُرُونَهَا وَلَثَمْتُ فَاهَا^(٣)

سلوت المعالي إن سلوتك

حَلَفْتُ بِأَعْلَامِ الْمُحْصَبِ مِنْ مِنِّي،
وَكُلِّ مُجَاوِيٍّ يَجْرُ زَمَامَهُ،
وَتَرْجِيعِ أَصْوَاتِ الْحَجِيجِ وَقَدْ بَدَا
وَرَوْعَةِ يَوْمِ النَّحْرِ، وَالْهَدْيِ حَائِرٌ،
وَمَا ضَمَّ ذَاكَ الْقَاعُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ
إِذَا مَا تَرَاخَتْ فِي أَرْمَتِهَا التُّجُبُ^(٤)
وَقُورُ النَّوَاحِي تَسْتَبِدُّ بِهِ الْحُجُبُ
وَكُلِّ دَمٍ أَوْدَى بِجُمَّتِهِ الرُّكْبُ



سَوَاءٌ تَدَانِي الْبُعْدُ أَوْ بَعْدَ الْقُرْبِ
وَنَارُ غَرَامٍ بَيْنَ جَنَبَيَّ لَا تَخْبُو^(٥)
وَطَرْفُ، إِذَا سَكَنَتْهُ نَفَرُ الْقَلْبِ^(٦)
عَلَى النَّاسِ قَالُوا: هَكَذَا يَفْعَلُ الْحَبِّ
وَيُزِمُّنِي الْعَدْلُ الْمُورِّقُ وَالْعَتَبُ^(٧)
وَأَصْفِيكَ مُحَضَّ الْوُدِّ مَا عَظُمَ الْخَطْبُ
صَمْتُ، فَلَا جِدُّ لَدَيَّ وَلَا لِعَبِّ
بِمِثَاءٍ يَلْطَى فِي أَبَاطِحِهَا التُّرْبُ^(٨)
بِهَا الرِّيحُ مُخْضَرًّا كَمَا نُشِرَ الْعَصْبُ^(٩)
تَهَاوَى بِهِمْ قُودُ السَّوَالِفِ أَوْ قَبَّ^(١٠)
جَمِيعاً وَفِي غُضَنِ الْهُوَى وَرَقَ رَطْبُ
فَأَنْشُرَ مَا تَطْوِي الرِّسَائِلُ وَالْكَتُبُ
وَمَا أَنَا إِلَّا مُغْرَمٌ بِالْعُلَى صَبَّ

لَقَدْ جَلَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَنْ قَلِيٍّ،
وَلِي دَمْعُ عَيْنٍ لَا يُرْنَقُ سَاعَةً،
وَقَلْبُ يُمُورُ الطَّرْفُ إِنْ قَرَّ فِي الْحِشَاءِ،
وَجِسْمٌ، إِذَا جَرَّدَتْهُ مِنْ قَيْصِهِ
فَمَا لِي عَلَى مَا بِي أَعْتَفُ فِي الْهُوَى،
عَلَى حِينَ أُعْطِيكَ الْوَفَاءَ مُصَرَّحاً،
وَكُنْتُ، إِذَا فَارَقْتُ دَارَكَ سَاعَةً،
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
تَطَرَّقَهَا مَاءُ الْغَمَامِ وَدَرَجَتْ
وَهَلْ أَذْعَرَنَ قَلْبَ الظَّلَامِ بِفِتْيَةٍ
وَهَلْ أَرَدَنَ مَاءً وَرَدْنَا بِمِثْلِهِ
وَهَلْ لِي بَدَارٍ أَنْتَ فِيهَا إِقَامَةٌ
سَلَوْتُ الْمَعَالِي إِنْ سَلَوْتُكَ سَاعَةً،

هَوَايَ يَمَانٍ وَرَكْبِي مُعْرَقٌ

تُعَادُ كَمَا عِيدَ السَّلِيمِ الْمُورِّقُ
كَأَنَّكَ فِي الْحَيِّ الْوُلُودُ الْمُطَرِّقُ^(١١)
فُؤَادِي مَا سُورُ وَدَمْعِي مُطْلَقُ
بِإِنْسَانٍ عَيْنٍ فِي صَرَى الدَّمْعِ يَغْرَقُ^(١٢)
وَرَكْبِي مُنْفَادُ الْقَرِيبَةِ مُعْرَقُ
وَأَهَا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا

أَمِنْ ذِكْرِ دَارٍ بِالْمُصَلَّى إِلَى مَنَى،
حَنِيناً إِلَيْهَا وَالتَّوَاءَ مِنَ الْجَوَى،
أَلَلَّهُ، إِنِّي إِنْ مَرَرْتُ بِأَرْضِهَا
أَكُرِّرُ إِلَيْهَا الطَّرْفَ ثُمَّ أُرْدُهُ،
هَوَايَ يَمَانٍ كَيْفَ، لَا كَيْفَ نَلْتَقِي،
فَوَاهَاً مِنَ الزَّبْعِ الَّذِي غَيَّرَ الْبَلَى؛

أَصُونُ تُرَابَ الْأَرْضِ كَأَنُورًا حُلُولَهَا، وَأَحْذَرُ مِنْ مَرِيٍّ عَلَيْهَا وَأَشْفِقُ
وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلْهَوَى غَيْرَ أَنِّي إِذَا الرَّكْبُ مَرَّوَا بِي عَلَى الدَّارِ أَشْهَقُ

أَنَّهُ الشَّاكِي وَتَنْفَسُ الْمَكْرُوبِ

لَا وَالَّذِي قَصَدَ الْحَجَّ لِبَيْتِهِ، مَا بَيْنَ نَاءٍ نَازِحٍ وَقَرِيبٍ
وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ الْمُقْبِلِ تَلْتَقِي فِيهِ الشِّفَاءُ، وَرَكْنِهِ الْحُجُوبُ
لَا كَانَ مَوْضِعُكَ الَّذِي مُلْكُتُهُ بَيْنَ الْأَضَالِعِ بَعْدَ ذَا الْحَبِيبِ
إِنِّي وَجَدْتُ لَذَاذَةً لَكَ فِي الْحِشَا لَيْسَتْ لِمَا كُؤِلَ وَلَا مَشْرُوبٍ
لِي أَنَّهُ الشَّاكِي إِذَا بَعُدَ الْمَدَى مَا بَيْنَنَا وَتَنْفَسُ الْمَكْرُوبِ

ذَكَرِي

تَذَكَّرْتُ، بَيْنَ الْمَازَمِينَ إِلَى مَنِيٍّ، غَزَالًا رَمَى قَلْبِي وَرَاحَ سَلِيمًا^(١٣)
لَيْنُ كُنْتُ أَسْتَحْلِي مَوَاقِعَ نَبْلِهِ، فَإِنِّي أَلَاقي غِبَّيْنِ أَلِيمَا
أَصَابَ حَرَامًا يَنْشُدُ الْأَجَرَ غُدُوَّةً، فَمَا عَادَ مَاجُورًا وَعَادَ أَثِيمًا
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي بَارِتًا مَا أَلِمْتُهُ، وَلَكِنَّ أَسْقَامًا أَصَبَنَ سَقِيمًا
إِذَا بَلٍّ مِنْ دَاءٍ أَعَادَتْ لَهُ الْمَهَا نُكَاسًا، إِذَا مَا عَادَ عَادَ مُقِيمًا
يَظُنُّونِي اسْتَطَرَفْتُ دَاءً مِنْ الْهَوَى وَهَيَّاتُ، دَاءُ الْحَبِّ كَانَ قَدِيمًا
قَنَصْتُ بِجَمْعٍ شَادِنًا فَرَحْمَتُهُ، وَأَخْفَقَ قَنَاصٌ يَكُونُ رَحِيمًا^(١٤)
أَأْغْدُو مُهِينًا بِالْحَبَائِلِ سَاعَةً غَزَالًا عَلَى قَلْبِي، الْعَدَاةُ، كَرِيمًا
تَرَاءَتْ لَنَا بِالْخَيْفِ نَفْحُ لَطِيمَةٍ، سَرَتْ عَنْكَ إِلَّا عَبَقَةً وَنَسِيمًا^(١٥)



وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَاطِلَاتِ عَشِيَّةً، ذَوَاتِ يَسَارٍ مَا قَضَيْنَ غَرِيماً
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا مِنْ الْعَهْدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَمِيماً

الهوامش :

- (١) الأخشابان: هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر.
- (٢) رفعوا: أصدوا. وجاها: حفاها.
- (٣) حَرَامٌ: مُحَرَّمٌ.
- (٤) البجاوي: نوع من الإبل ينسب إلى بجاوة وهي أرض النوبة.
- (٥) يرفق: يضعف، يتوقف.
- (٦) يemor: يجري. الطرف: العين.
- (٧) يرمضني: يحرقني.
- (٨) الميثاء: الأرض السهلة. يلطى: يلزق.
- (٩) العصب: ضرب من البرود، واللبلاب.
- (١٠) القود، الواحد أقود: الدليل المتقاد. وقوله السوالف: أراد الخيل ذات السوالف. وسالفة الفرس: ما تقدم من عنقه. القب: الضواير البطون.
- (١١) المطرق، من طرقت الحامل بولدها: نشب في بطنها ولم يسهل خروجه.
- (١٢) الصرى: الماء إذا طال مكثه.
- (١٣) المأزمين: مضيق بين مكة ومنى.
- (١٤) جمع: اسم للمزدلفة.
- (١٥) اللطيمة: وعاء المسك، أو سوقه.

الحجّ والجهاد... المفاهيم المتكاملة

عبد الكريم آل نجف

يرتبط الحج في بعض أبعاده ومفاهيمه مع الجهاد بعلاقة، قد تبدو غريبة على المفهوم السلمي، الذي استوحيناه سابقاً من الحج*. وأكثر ما تتضح هذه العلاقة في الموقف الإسلامي من الشرك وأهل الكتاب. إضافة إلى موقف الإسلام العام منهم.

فهذه العلاقة تمثل موقفاً خاصاً من مشركي الجزيرة وكتائبها. ففي مطلع سورة براءة نقرأ قوله - تعالى -:

﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين • فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأنّ الله مخزي الكافرين • وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾^(١).

(*) راجع العدد الثالث من مجلة ميقات الحج : ٩٧ ، الحجّ والسلام العالمي.



فهذه الآيات التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة تنبئ عن موقف إسلامي متشدّد اتجاه مشركي الجزيرة، كما أن الأخبار التي تحدّثت عن أن النبي ﷺ في أواخر حياته أمر بإخراج أهل الكتاب من الجزيرة تنبئ - أيضاً - عن موقف إسلامي خاص بهم.

فكيف ينسجم المفهوم السلمي للحج في بُعد المكان مع هذه المواقف المتشدّدة؟

هنا نحتاج إلى البحث في أصل الموقف الإسلامي من هاتين الطائفتين مرّة، وفي المتشدّد مع من كان منها في الجزيرة العربية مرّة أخرى.

ففي المرّة الأولى نرى أن ذلك الموقف يرتبط بجوهر النظرة الإسلامية للحياة الإنسانية، وأسس الموقف الإسلامي من الديانات الأخرى، فالإسلام - خلافاً للعلمانية الحديثة - يرى أن قضية الإيمان والتوحيد تمسّ جوهر الحياة الإنسانيّة. فكما لا أهميّة للبدن من غير روح، كذلك تفقد الحياة واقعها المعنوي إذا ابتعدت عن الإيمان الذي يعطي لحركة القلب والعقل الاتجاه الصحيح، ويروي ظمأ الروح، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢).

ولذلك يتّخذ الإسلام من التوحيد قاعدة لحضارته، ويرى ضرورة نشر هذه القاعدة لتستوعب الكرة الأرضية برمتها حيثما وُجد الإنسان، ويعدّ ذلك مبدأً تفوق أهميته أهميّة مبدأ الحرّيّة الإنسانيّة، التي يؤمن بها الإسلام أساساً، ولكنه لا يجد مناصاً من التخلي عنها عندما تتعارض مع قضية الإيمان. فيرى ضرورة نشر التوحيد في الأرض، وإزالة الموانع السياسية والاجتماعية التي تحول دون تقدمه، أو تشكّل خطراً عليه في الأرض.

وإذا كانت الحضارة المعاصرة في مستواها النظري تبدو غير متفقة مع

الإسلام في هذا الموقف، فإنها تسلك مع خصومها سلوكاً متشابهاً، بتأكيدها الحرية الإنسانية، وجعلها قاعدة وجودها، وعدم سماحها بظهور النظم السياسية الديكتاتورية والفاشستية في العالم إلى حدّ استخدام القوّة العسكرية ضدّها لاسقاطها، فتكون قد عملت بنفس النهج الإسلامي الذي تعدّه بائداً ينتسب إلى القرون الوسطى.

فإذا كان ما تقوله حقّاً فهي أولى به ذمّاً؛ لأنّ الإسلام لم يجعل الحرية قاعدة لوجوده حتى يناقض هذا السلوك مع تلك القاعدة، وإنما جعل الحرية جزءاً من حضارته، والتوحيد قاعدة لها، ومن الطبيعي أن يقدم مصلحة القاعدة على مصلحة الجزء كلما تعارضتا، فيلجأ إلى القوة كلما تطلبت مصلحة التوحيد ذلك. فإِنَّه لو لم يَقم بذلك ينتهي الأمر إلى أن تخسر البشرية المصلحة المرجوة من الإسلام، قد تقول: لماذا لا يترك الإسلام الشرك ليسقط وحده وبالوسائل السلمية؟

ويبيني هذا السؤال على افتراض أن تقدم الزمن وتطور المعرفة كفيلاً بإزالة الشرك، ولكن الواقع ينفي هذا الافتراض. فإنّ المعرفة لا تؤثر في كثير من الأحيان بالأديان والمذاهب التي تستقر غالباً في كوامن النفس، وتتغلغل فيها عبر نقاط لا سبيل إلى المعرفة إليها فتبقى هناك يتوارثها الأجيال، فتتحوّل بعد فترة من الزمن والأحداث المؤثرة نفسياً عليها إلى عقائد قومية يشحذها التعصب القومي تجاه القوميات ذات الأديان المختلفة. ألا ترى أنّ عبادة الأوثان والحيوانات ظاهرة لا زالت قائمة في أفريقيا وشبه الجزيرة الهندية إلى الآن؟ وليس من شك أنّ بقاء هذه الظاهرة لما يُعاب عليه الإنسان في كل زمان ومكان فضلاً عن زماننا. وهي مما يزرّي بالإنسانية المعاصرة أكثر من إزراء الديكتاتورية - التي تعدّ في نظر الغرب فاحشة الفواحش في دنيا الإنسان - بها.



وانطلاقاً من قاعدته الكبرى في الحياة يقسم الإسلام المجتمع ثلاثة أقسام

هي:

الأول: يمثل إنسانية ملتزمة.

الثاني: يمثل إنسانية شبه ملتزمة.

الثالث: يمثل إنسانية ترفض الالتزام.

وهذا التبرّج في الالتزام يمثل تدرجاً في القرب والبعد من التوحيد، وعلى ضوئه يوزع الإسلام المواقع والمسؤوليات في الحياة بين هذه الأقسام. فيعطي الموقع الأول في الحياة للقسم الأول، والموقع الثاني للقسم الثاني فيما يرفض الإيمان باستحقاق القسم الثالث لأيّ موقع. ويتضمّن موقع القسم الأول - الإنسانية الملتزمة - حقّ السيادة على الأرض وقيادة المجتمع الإنساني. قال تعالى:

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾^(٣).

﴿وكذلك جعلناكم أئمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس...﴾^(٤).

والسيادة في عرف الإسلام ليست سيادة عنصرية كما هو المفهوم منها في العصر الحاضر، وإنما هي سيادة موضوعية ناشئة عن مبدأ سيادة التوحيد على ما سواه في الأرض؛ ليكون الدين كلّهُ لله، وليست سيادة الإنسان على الإنسان إلا ظلاً لذلك المبدأ وهذا ما يفسر الكيفيّة الأيسر، والخسائر الأقل التي يتطلبها فرض هذه السيادة بالقياس إلى عمليات فرض الأنواع الأخرى التي تأخذ أشكالاً عنصرية - قومية أو وطنية - فتجعل كيفيتها متعذرة، وخسائرها لا تطاق؛ لأنها شكلٌ من أشكال عبودية الإنسان للإنسان. والإسلام يرفض كلّ أشكال هذه العبودية، ويحصر نطاق العبودية في الخالق العظيم - سبحانه وتعالى -

ومن هنا فإنّ مفهوم السيادة في الإسلام لا يحمل أي معنى سلبي محلّ بإنسانية الإنسان، وإحساسه بكرامته وشخصيّته. وما قد يتصوّرهُ البعض من أنّ عملية بسط سيادة التوحيد على المجتمع الإنساني ككل سوف تكون عمليّة متعذّرة، وستتطلب أنهاراً من الدماء، منشؤه القياس على الحروب الإستعمارية. والفرق بين الفتح الإسلامي والحروب الإستعمارية واسعٌ جداً^(٥) وهو الفرق الأساس بين مبدأ الإسلام في الدفاع عن قاعدته الكبرى - التوحيد - ومبدأ الغرب في الدفاع عن قاعدته الكبرى - الحرّيّة - فإنّ الإسلام يستطيع أن يفرض على أتباعه النقاء في هذه الأهداف بينما لا يستطيع الغرب أن يفرض على أتباعه ذلك. وسرعان ما تتحوّل عملية الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان إلى نظام انتداب أو معاهدة مذلّة، أو احتلال عسكري مباشر، أو استعمار اللعبة الدولية والمخبرات السريّة الذي يسقط متى ما أراد هذا النظام الحاكم اسقاطه، وإقامة نظام آخر على انقاضه.

إنّ تبني الإسلام لمبدأ حاكمية الإنسانية الملتزمة على الأرض ناشئ من هدفية الإسلام، وسعيه للاتساق مع النظام الكوني بفرض النظام على الحياة الإنسانية، ومنعها من الانحدار إلى العثية والفوضوية. ولكي تكون السيادة في نهاية المطاف للقانون الإلهي الذي يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، ويمنع كلّ غير ذي حقّ من الاعتداء على حقوق غيره، وبما يخدم قضية السلم الإنساني بنطاقها الواسع، ولا يصعب على الإنسان المؤمن بالهدفية في الحياة الإيمان بمبدأ حاكمية الإنسانية الملتزمة، بل يجد الغضاضة بغيره.

من هنا فإنّ التناقض الإسلامي - الغربي حول هذه النقطة ناشئ من عبثية الفكر الغربي، الذي لم يعطِ لمسألتي الكون والحياة حقّها من البحث، وفصل الثانية عن الأولى انطلاقاً من فكرة العلمانية القائلة بفصل الدين عن السياسة.



فأهمل البحث في المسألة الأولى (المسألة الكونية) وانكب على دراسة المسألة الثانية (المسألة الاجتماعية) فجاءت فكرته عن الحرية الإنسانية نتيجة طبيعية لعبثيته ولا بأباليته في المسألة الكونية، التي حكم عليها بأنها نظرية لا علاقة لها بالحياة، وهو حكم متسرّع لم ينشأ من دراسة موضوعية، وإنما من رغبة في إقصاء الدين عن الحياة، بعدما أشبعت الكنيسة أوروبا بالمظالم والمفاسد والانحرافات. ولو أن الغرب بحث هذه المسألة بعيداً عن تلك الروح السلبية تجاه الدين، وانتهى بحكم البحث الموضوعي إلى الإيمان بالله، وكان منطقياً هادفاً ومنسجماً مع نفسه وعقله، لوجد أن الواقع يفرض عليه أن يبحث في المسألة الاجتماعية في ضوء نتائج بحثه في المسألة الكونية، وأن يحدّ من نطاق إيمانه بالحرية الإنسانية كما آمن الإسلام بذلك. ومن هنا فإن الإسلام عندما أعطى السيادة للمجتمع الإسلامي دون سواه كان ينطلق من ذلك من مبدأ هدفية في الحياة، ومطالبته المجتمع الإنساني أن يكون منسجماً مع عقله، وهادفاً في وجوده، ورافضاً انحدار ذلك المجتمع إلى حضيض العبثية.

أمّا الإنسانيّة شبه الملتزمة المتمثلة بأهل الكتاب، الذين يحملون نوعاً من التشبث بالتوحيد، فقد منحها الإسلام الموقع الثاني في الحياة، وهو موقع يتضمّن حقّ الحياة والوجود بلا سيادة. والذي منحها هذا الحقّ هو تشبثها بالتوحيد، كما أنّ الذي حرّمها من السيادة هو نقصان ما تدّعيه من التوحيد؛ ولذلك أمر الإسلام بمعاملتهم بالحسنى، والوفاء معهم بالعهود والمواثيق التي تعطى لهم، ولم يمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية إذا لم يخلّوا بشرائط الذمة. وآمنوا بالسيادة الإسلامية عليهم حتى قال النبي ﷺ:

«مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَقَدْ آذَانِي».

فما عندهم من التوحيد يبتعد بهم عن الاتصاف بالخطر على قاعدة

الإسلام فلا يبقى إلا خطرهم السياسي، فإذا ما التزموا بشروط الذمة زال ذلك الخطر، وأصبح وجودهم في ظلّ الدولة الإسلامية طبيعياً.

وتمشياً مع نزعته الإنسانية سعى الإسلام إلى توسيع دائرة أهل الكتاب لتشتمل على من لهم شبهة كتاب كالمجوس، ولا تقتصر على من يُقطع بانتسابهم إلى كتاب سماوي كاليهود والنصارى، فلم يشترط أن يكون الانتساب للسماء قطعياً.

أمّا القسم الثالث فقد رفض الإسلام الاعتراف به، وجعل التعامل معه قائماً على أساس القتال، ما لم يترك الشرك الذي يمثل أعلى درجات الفوضوية والعبثية في الحياة، ويشكّل خطراً على قاعدة الإسلام الحضارية المتمثلة بالتوحيد، وسيادته السياسية على الأرض المتمثلة بحاكمية القانون الإلهي.

ولما كان التوحيد قاعدة السلم في الحياة الإنسانية، فإنّ الشرك بما يمثله من اتجاه فوضوي عاث يرفض الاتساق مع الفطرة والطبع، ويصرّ على الانحراف، ويشكل خطراً جدياً على قضية السلم والأمن؛ لذا فإنّ محاربته ضرورة من ضرورات الأمن، كما كانت سيادة التوحيد في الأرض تعني سيادة قوى السلم فيها^(٦).

هذا فيما يخصّ موقف الإسلام من المشركين وأهل الكتاب عامة. أمّا ما يخصّ نصارى العرب وكتابي الجزيرة، فإنّ الإسلام وقف منهم موقفاً خاصاً، فلم يقبل من نصارى العرب الجزية، وعاملهم معاملة المشركين بالتخيير بين الإسلام والقتال، وأمر بترحيل الكتائبين غير العرب عن الجزيرة؛ لأنه يعدّ الجزيرة مهد الإسلام وعاصمة التوحيد، فلا بد من تنقيتها من شوائب الشرك، وإخلاؤها لأهل التوحيد الخالص.

فإذا كان الإسلام قد أقرّ بحقّ الكتائبين بالوجود المجرد عن السيادة، فإنّه لم



يقرّ أن يكون ذلك الوجود في مهبط الوحي ومركز التوحيد.
 عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «لا يقبل من عربي جزية. وإن لم
 يسلموا قوتلوا»^(٧) وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يدخل أهل الذمة الحرم ولا
 دار الهجرة ويخرجون منها»^(٨) وعنه عليه السلام: «إنما حرّم الله الجزية من مشركي
 العرب»^(٩).

الهوامش :

- (١) التوبة: الآيات ١-٣.
- (٢) الأنفال: ٢٤.
- (٣) القصص: ٥.
- (٤) البقرة: ١٤٣.
- (٥) راجع بحث الفرق بين الفتح الإسلامي والاستعمار، للسيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر.
- (٦) لمزيد من التفصيل راجع كراس الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن، للشهيد مطهري؛ وتفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ٢: ٦٥؛ وكتاب الإسلام ومنطق القوة للعلامة فضل الله: ٢٠٥-٢١٠.
- (٧) مستدرك الوسائل، المحدث النوري ١١: ١٠١.
- (٨) المصدر نفسه: ١٠٢.
- (٩) جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي ١٣: ٢١٥.

الحرمان الشريفان وحجاجهما وتأريخ الإرهاب

علي خازم

يختصر هذا العنوان بل ويستحضر من تاريخنا العربي والإسلامي أحوالاً عاشها الحرمان الشريفان - مكة والمدينة - وسكانهما والقاصدون والمغادرون أحياناً لا تسر القارئ، ولعلّها تشكل صدمة لما استراحت إليه الذاكرة القرآنية والروائية، التي تسبغ على عبادة الحج وجغرافيتها صورة الأمن والثبات والطمأنينة.

ألم يجعل الله البيت مثابة للناس وأمناً؟
ألم يقدم الفقه أحكامه الخاصة بالحج ليضمن للمسلمين جوّاً روحياً واجتماعياً يقربهم من المولى؟
ألم يشهد الحرمان تطوراً عمرانياً شاملاً في البناء والخدمات يستحق الحديث عنه، وهو يبقينا في صورة المشهد الإيجابي المشجع؟
ولست استبعد من سياق هذه الأسئلة أن تعدّ المقالة كلّها مندرجةً فلماذا هذا التشويش؟

تحت عنوان إشاعة الفاحشة، لكنني آمل لها أن تقرأ بروحية قرآنية.

إنَّ الأحداث المؤلمة التي أدَّت إلى انتهاك حرمة وقداصة الحرمين ليست إلَّا مورداً من موارد الفتنة للمسلمين عن دينهم، سواء في الأرض المقدسة نفسها أو بعيداً عنها، وبالتالي يصير الأسى الذي تستحضره هذه القراءة السريعة، مما لا بدَّ منه في محاولة بناء التاريخ القادم على أساس الاستفادة من تجاربنا السابقة.

وإنَّ كلَّ حدث مذكور هنا يستحق بنفسه دراسة مستفيضة، وله العديد من المراجع والمصادر استغنيْتُ عن ذكرها هنا؛ لأنني آمل من الأساتذة الباحثين أن يفيدونا عنها بصورة مستقلة محقَّقة للغرض الذي ذكرته، خصوصاً أن هذه الضرورة تحتمها إحدى نتائج الاستقراء للحوادث، من جهة أنَّ العدد الكبير من الانتهاكات يجعل الأجيال المتتابة للمسلمين مشاهدة وبصورة مباشرة على أحد

هذه الحوادث على الأقل. وهناك أمرٌ آخر تؤكدُه إشارات هذه الفهرسة وهو: أنَّ الجعل الإلهي للأمن في الحرم جعلُ تشريعي لا تكويني، وبالتالي لا بدَّ لنا من إيجاد الضوابط المساعدة على إيجاد الأمن للحجاج، وتسهيل شؤون ومجريات هذه العبادة بحيث تؤدي إلى الغاية منها.

١ - حملة أبرهة في عام الفيل حيث دفع الله عن البيت الحرام بالطير الأبابيل.

٢ - سنة ٣٥ هجرية الموافقة ٦٥٥ ميلادية في ١٨ ذي الحجة قتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث، وكانت مدة خلافته ١٢ سنة إلَّا ١٢ يوماً وذلك في المدينة المنورة.

٣ - سنة ٤٠ هجرية الموافقة ٦٦٠ ميلادية بعث معاوية بسرَّ بن أرطاة في عسكر إلى الحجاز فقدم المدينة، وعامل علي عليه السلام عليها هو أبو أيوب الأنصاري فهرب، ودخل بسرَّ المدينة وسفك الدماء، واستكره الناس

الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم باغتيال الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

٧ - سنة ٦٣ هجرية الموافقة ٦٨٢ ميلادية، كانت وقعة الحرة على باب طيبة؛ لأن أهلها عندما خالفوا يزيد أرسل إليهم ١٢ ألف مقاتل تحت إمرة مسلمة بن عقبة المرسي لمحاصرتهم، وأن لا يفكوا الحصار عن المدينة إلا إذا أذعنت، وليحرقوها إذا مضت ثلاثة أيام ولم تدعن.

وهكذا حصل فأصبحت المدينة غنيمة للنار بعد القتل والنهب والسي والفسق، وفعل ما لا يفعل، وكانت وقعة الحرة في ٢٧ ذي الحجة.

٨ - في خلافة عبد الملك بن مروان أكل ابن دلجة عامله في المدينة اللحم والخبز على المنبر الشريف، وقال عامله الآخر خالد بن عبد الله القسري: والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت - وهو مستند إلى جداره - حجراً حجراً لنقضته في

على البيعة لمعاوية، ثم سار إلى اليمن فهرب منه عاملها عبيد الله بن العباس فذبح ولديه الصبيين.

٤ - سنة ٥٠ هجرية الموافقة ٦٧٠ ميلادية، أراد معاوية نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله من المدينة إلى الشام، وقال: لا يترك هو وعصا النبي بالمدينة، فعارضه من الصحابة جابر وأبو هريرة وقالوا له: «إن أردت فانقل المسجد بكامله»، فتركه معاوية وزاد فيه ست درجات واعتذر.

٥ - سنة ٥١ هجرية الموافقة ٦٧٠ ميلادية حج معاوية بالناس، وأخذهم ببيعة ابنه يزيد بالقوة، وكان بينه وبين الصحابة ما كان في ذلك.

٦ - سنة ٦٠ هجرية أنفذ يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الفاتك الجبار في عسكر عظيم، وأمره على الحاج، وولاه أمر الموسم، وأوصاه بقبض الحسين عليه السلام، وإن لم يتمكن منه يقتله غيلةً، وأمره أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه. ودسّ مع



- مرضاته.
- وسار إلى مكة وفيها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، فتغلب طالب الحق عبد الله على مكة بالقوة.
- ٩ - في سنة ٧٢ هجرية الموافقة ٦٩١ ميلادية جهّز عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، فسار في جمادى الأولى من تلك السنة، ونزل الطائف، وجرى بينه وبين أصحاب ابن الزبير حروب كانت الكثرة فيها على أصحاب ابن الزبير.
- وأخيراً حصر ابن الزبير بمكة ورمي البيت الحرام بالمنجنيق ودام الحصار لآخر هذه السنة.
- في سنة ٧٤ هجرية الموافقة ٦٩٣ ميلادية هدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت، وبنى البيت على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ وهو على ذلك إلى الآن.
- ١٠ - في سنة ١٢٩ هجرية الموافقة ٧٤٦ ميلادية خرج بمحضر موت طالب الحق عبد الله، واجتمعت عليه الإباضية من الخوارج، وفي هذه السنة جهّز عبد الله عشرة آلاف مقاتل
- وسار إلى مكة وفيها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، فتغلب طالب الحق عبد الله على مكة بالقوة.
- ١١ - في سنة ١٣٠ هجرية الموافقة ٧٤٧ ميلادية أرسل الخليفة مروان الحمار جيشاً لتخليص مكة ودعم عبد الواحد، فبرز أعوان طالب الحق لقتالهم، والتقى الجمعان بقديد فانهزم عبد الواحد، وسار أبو حمزة فاستولى على المدينة.
- ١٢ - في سنة ١٤٥ هجرية الموافقة ٧٦٢ ميلادية ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب واستولى على المدينة، فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، فانهزم محمد بن عبد الله، واستولى عيسى على المدينة.
- وفي هذه السنة منع يزيد بن حاتم أمير مصر أهل مصر من الحج؛ لما كان في الحجاز من اضطرابات.
- ١٣ - في سنة ٢٣٠ هجرية ٨٤٤ ميلادية عاثت الأعراب فساداً حول

المدينة، فسار لحربهم الأمير بغا، وأنزل بهم القتل والأسر، وحبس منهم في القيود نحو ألف نفس، وكان ذلك في خلافة الواثق، والأعراب هؤلاء هو بنو سليم كانوا يؤذون الناس.

١٤ - في سنة ٢٨٥ هجرية الموافقة ٨٩٨ ميلادية تعبت الحجاج تعباً شديداً لخروج صالح بن مدرك الطائي وقطعه الطريق عليهم.

١٥ - في سنة ٢٩٤ هجرية الموافقة ٩٠٦ ميلادية خرج زكرويه القرمطي وأوقع بالحجاز ما أوقع وأخذ جميع ما معهم. فانتدب المكتفي جيشاً لقتاله تحت إمرة زباله، فهزمه زكرويه وفتك بالقافلة الثالثة التي كانت متأخرة، فعظم الأمر على المكتفي وأرسل جيشاً آخر تحت إمرة وصيف، فتغلب عليه وقتله وخلّص النساء والأموال التي كان زكرويه نهبها.

١٦ - في سنة ٣١٧ هجرية الموافقة ٩٢٩ ميلادية سطا عدو الله أبو طاهر القرمطي على البيت الحرام، وعزّاه وقلع الباب والحجر الأسود، وطرح القتلى في بئر زمزم، وأتى كل أمر منكر، ودام الحجر الأسود عنده ٢٢ سنة إلى أن ردّ في مكانه في خلافة المطيع.

١٧ - في سنة ٣٣٨ هجرية ٩٤٩ ميلادية تحركت القرامطة وأثاروا الشغب والرعب ولم يحج أحد.

١٧ - في سنة ٣٣٩ هجرية ٩٥٠ ميلادية ردّ الحجر الأسود إلى موضعه، بعث به القرمطي مع محمد بن بشير إلى الخليفة المطيع لله، وكان قد دفع فيه ٥٠ ألف دينار وما أجابوه إلى ذلك.

١٨ - في سنة ٤٠٠ هجرية الموافقة ١٠٠٩ ميلادية أرسل الحاكم بأمر الله من مصر إلى المدينة، ففتح باب بيت الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأخرج منه مصحفاً وسيفاً وكساءً وقعباً وسريراً.

١٩ - استعمل البارود في حصار مكة سنة ٤٠٧ هجرية كما ذكر اللواء أحمد مختار باشا من دون توضيح للجهة

المحاصرة. هي نفسها المانعة من حج عامي ٤١٠

٢٠ - في عامي ٤١٠ و ٤١١ هجرية.

هجرية انقطع الحج من العراق وعاد سنة ٤١٢ هجرية.

٢١ - في سنة ٤١٤ هجرية

الموافقة ١٠٢٣ ميلادية كان يوم النفر الأول يوم الجمعة، فقام رجل من مصر، بإحدى يديه سيف مسلول وفي

الأخرى دبوس بعد ما فرغ الإمام من الصلاة، فقصده ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب الحجر

الأسود ثلاث ضربات بالدبوس وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد

وعلي؟! فليمنعني مانع من هذا، فأني أريد أن أهدم البيت. فخاف أكثر

الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله

وقطعه الناس وأحرقوه، وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا.

وفي هذه السنة عاد الحجاج إلى العراق من طريق الشام؛ لصعوبة الطريق المعتاد، والظاهر أن الأسباب

٢٢ - في سنة ٥٥٦ هجرية

الموافقة ١١٦٠ ميلادية احتال أمير مكة قاسم بن أبي فليته على أموال أهل مكة، وجمع العرب لمحاربة عمه عيسى. ولما نكث بما وعدهم فيه تنحوا عنه فتملك عمه مكة، وهرب قاسم إلى

جبل قبيس، فسقط عن فرسه حال صعوده ومات.

٢٣ - في سنة ٥٧٧ هجرية

الموافقة ١١٨١ ميلادية عزم البرنس أرناط صاحب الكرك على المسير إلى المدينة المنورة، فمنعه عز الدين فرحشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين في دمشق، وقد قتله السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣ هجرية لنقضه العهد،

- وتهديده الحرم الشريف. بمحمة عسكريه على مكّة، وهي من الحروب التي أقامها علي بك ومحمد بك أبو الذهب وكانت كلفتها ٢٦ مليون فرنك.
- ٢٥ - في سنة ٧٢٧ هجرية الموافقة ١٣٢٦ ميلادية حاصر الأمير ودي حجاز المدينة النبوية سبعة أيام ودخلوها، وأحرقوا باب السوق.
- ٢٦ - في سنة ٧٣١ هجرية الموافقة ١٣٣٠ ميلادية ثارت عبيد مكّة ساعة الجمعة بالوفد، وقتلوا ونهبوا جماعة من الحجاج، وقتلوا أمير مصر وهو أيّدمر. فجرد السلطان محمد بن قلاوون جيشاً من مصر والشام للانتقام من فاعل ذلك.
- ٢٧ - في سنة ١١٠٩ هجرية الموافقة ١٦٩٧ ميلادية اشتكى العلماء والمشايخ والسناجق للحضرة السلطانية بقول: إن (علي باشا) المعزول (والي مكة) أخذ من ثمن غلال الحرمين الشريفين، وجرايات العساكر، وعلائق الخيول وغيرها من كلّ أردب ما (قيّمته ١٩٠ نصفاً فضة).
- ٢٨ - في سنة ١١٨٤ هجرية الموافقة ١٧٧٠ ميلادية تكلفت مصر بمحمة عسكريه على مكّة، وهي من الحروب التي أقامها علي بك ومحمد بك أبو الذهب وكانت كلفتها ٢٦ مليون فرنك.
- ٢٩ - في سنة ١٢٢٦ هجرية الموافقة ١٨١١ ميلادية استلم طوسون باشا السيف المرسل له هديةً من قبل الحضرة السلطانية، واستلم سر عسكريه تجريدة الوهابية.
- ٣٠ - في سنة ١٢٢٧ هجرية الموافقة ١٨١٢ ميلادية سخر طوسون باشا الناس والحمير لخدمة العسكر المسافرين للحجاز. وفي شوال أرسل خبراً لوالده ليخبر الباب العالي بأن طريق الحج صار آمناً.
- ٣١ - في سنة ١٢٢٩ هجرية الموافقة ١٨١٣ ميلادية قام طوسون باشا بتجهيز جيشٍ لحرب الوهابية في المدينة المنورة.
- ٣٢ - في سنة ١٢٣١ هجرية الموافقة ١٨١٥ هجرية قام إبراهيم باشا بمحمة عسكريه في المدينة المنورة ضدّ

الوهابية. الفرنسية والأميركية مدنسة الحرم

٣٣ - في سنة ١٢٣٣ هجرية الشريف بقيادة الكابتن الفرنسي بول الموافقة ١٨١٧ ميلادية (٧ ذو القعدة) باريل.

٣٦ - في سنة ١٤٠٧ هجرية طلب عبد الله بن سعود المهادنة بعد حصار استمر نحو سبعة أشهر. ثم سلم المدينة على شروط منها: رد الكوكب الدري إلى محله. وفيما عدا ذلك لم يضمن إبراهيم باشا لابن سعود حياته حيث كان أمره بيد السلطان. الموافقة ١٩٨٧ ميلادية ضربت قوات الأمن السعودية حجاج بيت الله الحرام (إيرانيين وغيرهم) فقتلت منهم عدداً عظيماً وذلك تحت قيادة الجنرال الألماني اولريخ فينجر.

٣٤ - في سنة ١٣٤٣ هجرية الموافقة ١٩٢٤ ميلادية استولى السعوديون على الطائف في محرّم وعلى مكة في ١٣ ربيع الثاني وفي ٥ جمادى الآخرة دخل ابن سعود مكة. وفي هذه الفترة جرى تهديم مقامات أهل البيت عليه السلام.

٣٥ - في سنة ١٤٠٠ هجرية ثار جهيمان العتيبي على السلطة السعودية وهو من أصوليين الوهابية، وقد نسب إليه إدعاء المهدوية، والتجأ إلى الحرم المكي بعد مطاردته وجماعته إلى أن استقطت حركته بواسطة القوات

رجال من الحرمين الشريفين
(٣)

المقداد بن الأسود الكندي
إيمان، مواقف
محمد سليمان

كان أبي عمرو بن ثعلبة بن مالك
البهراقي أو البهراوي طريد قومه الذين
يطالبونه بدم سفكه فلاحق بمحضر موت
وحالف بني كندة، وتزوج عندهم، ثم
ولدت بينهم، لهذا لقبت بـ(الكندي).
ولما كبرت وقع بيني وبين أبي
شمر بن حجر الكندي شيخ القبيلة
نزاع، فشهرت سيفي بوجهه، ثم ضربت
رجله، وكان جزاء عملي ذلك الموت.
وقبل أن ينفذ بي العقاب تسلفت من
سجنهم حيث الصحراء الشاسعة، لا
يأوي بني مكان، ولا يستقر بي أوان.
أجوب الصحاري المترامية الأطراف،
أقطع عشرات الأميال عبر الأودية
والتلال والجبال، ولم أعبأ بأهوال السفر
ومشقة الطريق، وكيف يكون ذلك،
وبين جنبي روح تحذثني بالعزة والأمل،
وفي أن أعيش فارساً عزيزاً يهابني
الآخرون، ولا تريجه ولا تستهويه إلا
ميادين القتال وساحات الوغى؟
نزلت من على ظهر فرسي
(سبحة) لأستريح قليلاً على ظهر تل،



عليّ بهيئة مهابة.

عشت ردحاً في مضارب بني
زهرة، فاقداً لحقوق كثيرة - يتمتع بها
أبناء القبيلة - وهذا شأن كلِّ محالف.
رافضاً حالة السلب والنهب، والغزو
بغير حقٍّ، نابذاً عادات الجاهلية المقيتة
التي لم تجد رضاً وقبولاً عندي، وكم
تمنّيت أن أجد من يشاطرنِي ذلك كله،
ويشاركني الرأي .. فكانت الفرصة، إنَّها
لقائي بعمار بن ياسر وتعرفي عليه،
فانشغلني من ذاك الضياع، بعد أن
سبقني إلى نور الإسلام، وعظمة الإيمان.
اصطحبني معه في جوف الليل إلى دار
الأرقم حيث رسول الله ﷺ والمؤمنون.
أعلنت إسلامي بين يديه ﷺ فتخلّصتُ
نفسي من ظلام الجاهلية. وتغيّرت
حياتي، فقد ملأ الإيمان قلبي، وأضاء
التوحيد بصيرتي، وأخذتُ أروي
ظمأي منه وأنهل من معين الإسلام
بنهم وشوق عظيمين. حتى صرتُ من
الأوائل الذين أظهروا إسلامهم،
فتصدّت لنا قريش بكلِّ جبروتها،

وقد احتواني العراء الواسع، سرحتُ
عينايا فيما يحيطني من جهات، حتى وقع
بصري على شيء، دققتُ النظر فيه من
بعيد .. إنَّه مضارب بني زهرة، القبيلة
التي عرفت بمنعتها بين قبائل العرب.
أسرعتُ نحوهم، أويتُ إليهم، وألقيت
رحلي عندهم، لم يكن لي خيارٌ إلا أن
أُحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري،
الذي صرْتُ أدعى باسمه حتى نزل قوله
تعالى: ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط
عند الله﴾^(١). فعدتُ إلى اسمي (المقداد
بن عمرو بن ثعلبة ...) ولكني بقيت
معروفاً بـ«ابن الأسود الكندي»، وبقي
هذا يلزمني طيلة حياتي وبعد مماتي.

كنتي: أبو الأسود، وأبو عمر،
وأبو معبد أحبُّ كُنائي إليّ، لأنَّ رسول
الله ﷺ كان يدعوني أبا معبد.

أما صفاتي: فقد كنتُ طويلَ
القامة، بطيئاً عظيمَ الجثة، قويها، حينما
أعلو فرسي تكاد رجلاي تخطّان
الأرض، أما شعر رأسي فكثير، ولحيتي
فكثيفة .. وختاماً فإنَّ الله - تعالى - منَّ

ووسائل قبعها، وسياط تعذيبها، فنالت من أبداننا وأجسادنا شيئاً عظيماً، لكنها لم تنل من عقيدتنا وصمودنا وثباتنا أبداً، كنا نزداد قوّة أمام قوّتها، وشموخاً عظيماً وعزّة إزاء طغيانها وجبروتها.

ولما رأى رسول الله ﷺ ما حلّ بنا، واشتداد أذى قريش علينا وملاحقتها لنا أمرنا بالهجرة إلى الحبشة حيث قال: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه ...».

فكننّ مع نحو ثمانين من المهاجرين، ممن وطأت أقدامهم أرض الحبشة حيث وجدنا ما قاله لنا رسول الله ﷺ ملكاً عادلاً، أحسن ضيافتنا، ورفض تسليمنا إلى وفد المشركين من قريش الذي أتبعنا ... ثمّ عدنا إلى مكة ودخلها كلّ واحد منّا تحت أمان وعهد زعيم من زعمائها، وكبير من كبرائها، فعدتُ مرّة أخرى حليفاً لأحدهم ...

هاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب وتبعه جمع من الصحابة، ولم أتمكن من اللحاق به ﷺ حتى أعدت قريش سرية قتال التحقّت بها مع صاحبي عتبة بن غزوان - وكان هدفهم قتال سرية أرسلها رسول الله ﷺ بقيادة حمزة بن عبد المطلب، فلما اقتربنا منها انخزنا إليها والتحقنا بإخواننا الذين سبقونا إلى يثرب.

وفي المدينة لم يدم انتظارنا لقتال المشركين طويلاً حيث تناهت إلينا أخبار عن استعداد مشركي مكة لقتالنا، وجاءوا بجيش فاق عددنا كثيراً. فأقبل رسول الله ﷺ علينا ونحن مجتمعون يحدث بعضنا بعضاً عن الأخبار تلك، وقال:

« .. هذه مكة قد ألّقت إليكم أفذاذ أكبادها .. فما ترون في قتالهم؟ » فتحدث عدد من الصحابة حتى جاء دوري فقلتُ:

يا رسولَ الله إمضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت



الحال، فقال: «أبشر يا رسول الله! فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكن والذي بعثك بالحق ... لنكونن من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، أو يفتح الله لك.

ثم قام سعد بن معاذ عن الأنصار فقال: ... بأبي وأمي يا رسول الله! إنا قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله - عزّ وجلّ - أن يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

ففرح رسول الله ﷺ بما سمع من أصحابه، وقال: «سيروا على بركة الله، فإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (أو تل العماد، يعني مدينة الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، .. فاستبشر رسول الله بذلك، وأشرق وجهه، ودعا لي بخير.

وسميئاً عند بعضهم بـ«صاحب المقال المحمود» إشارة إلى قولي هذا لرسول الله ﷺ، ودفع مقالي ذاك أيضاً الأنصار إلى قولهم: فتمنينا نحن لو أنّا قلنا كما قال المقداد، أحبّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيم ...

كما حمل موقفي ذاك وقولي كبار الصحابة على الإشادة به وإكباره وتمنوه، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود يقول: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحبّ إليّ مما في الأرض من شيء؛ كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمّرت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك

وفلان وفلان ...». المبدأ الحق والعقيدة الصحيحة. لا دفاعاً
ثم أمرنا ﷺ بالتوجه إلى بدر ولا قتالاً من أجل الثأر والنهب
الذي نزلناه عشاء ليلة السابع عشر من رمضان، وكانت الآبار ومنابع الماء إلى
جانب المسلمين. وكان عددنا ٣٠٠ رجل كنتُ الفارس الوحيد فيهم، فيما
كان عدد المشركين قرابة ألف رجل .. فيهم من الفرسان عدد كثير.
كانت عيوننا متجهة صوب رسول الله ﷺ وهو يناجي ربّه
ويدعوه: «اللهم هذه قريش قد أقبلت
بُخَيْلًا وفخرها، تحادك، وتكذب
رسولك، اللهم فنصرك الذي
وعدتني ...».

واشتدّ أوار المعركة، وخفقت
رايات القتال ولمعت الأسنة والسيوف،
وعندها تيقنتُ أن الفروسية في الإسلام
غيرها في الجاهلية، وتعلمتُ وقتها
الفرق بينها وهي تحمل راية الحق
وتدافع عنه وبينها وهي تحمل راية
الضلال وتدافع عن الباطل، إنّ لها
حلاوة وطعمًا حينما تكون دفاعاً عن

المبدأ الحق والعقيدة الصحيحة. لا دفاعاً
ولا قتالاً من أجل الثأر والنهب
والسطو. إنّهُ القتال والجهاد والنضال
المقدس الذي تعلّمته وإخواني من
الإسلام ونبى الإسلام. قتال عظيم هذا
الذي ترعاه السماء بآيات القرآن
وبإمدادها الرباني، ويرعاه رسول
الله ﷺ، بدعواته التي لا يحجبها عن
السماء شيء ولا يمنعها مانع، وتتخلله
استغاثة المؤمنين

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ
لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مَرْدِفِينَ ...﴾^(٢) والرسول ﷺ يقول:
«والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم
اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً
غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

فكانت تلك الآيات وهذه
الكلمات باعثاً عظيماً قوياً لنا، يثبت
أقدامنا ويشدّ عزمنا نحو الشهادة ...
فكان النصر حليفنا، وكان القتل وكانت
الهزيمة والعار والذل يلاحق المشركين



فقال النبي ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ورسوله ما يقول.
وأنا أقول: إنه أسيري.
حتى قال رسول الله ﷺ: اللهم أغن المقداد من فضلك.

فقلت: هذا الذي أردت.
فقتله عليٌّ رضي الله عنه صبراً.
وفي معركة أحد، هذه المعركة التي كنت فيها فارساً مقدماً، ومقاتلاً عنيداً... أنزلت هزيمة مروعة بالمشركين الذين ولّوا هاربين وقد تركوا قتالهم تملأ ساحة المعركة، وكاد النصر النهائي يكون حليفنا لولا أن

ترك بعض الرماة مواقعهم التي حدّدها لهم رسول الله ﷺ طمعاً في الغنائم التي خلفها مشركو قريش وراء ظهورهم، فلما أحسّ خالد بن الوليد ومن كان معه من المشركين بضعف هذا الموقع، وثبوا عليه، وقتلوا ما بقي من الرماة، ثم عادوا من خلفنا، فوقفنا مع نفر من أجل الصحابة مدافعين عن رسول الله ذابّين بأرواحنا وأجسادنا عنه، إنها

الذين تركوا كبار زعمائهم صرعى على أرض المعركة ينتظرهم القليب الذي أمر بحفره رسول الله لتلقى به جثثهم. كما وقع آخرون أسرى، منهم النضر بن الحارث بن علقمة الذي يكنى أبا القائد وقع أسيراً بيدي، وكان أشدّ قريش تكذيباً للنبي ﷺ وأذى لأصحابه، كما كان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وهو من الذين قالوا:

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم ما زادهم إلا نفوراً...﴾.

وهو الذي نزلت فيه هذه الآية: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾.

وكان يقول: إنما يأتاكم محمد بأساطير الأولين. وقع هذا أسيراً بيدي وأتيت به إلى رسول الله ﷺ، وما إن رآه حتى أمر علياً رضي الله عنه بقتله.
فقلت: يا رسول الله! أسيري.

لحظات كادت تودي برسول الله ﷺ وبدينه لولا رحمة الله تعالى به وبنا. حيث حلت بنا هزيمة مفاجئة، تحولت - ويوم فتح مكة معقل قريش، برحمة من الله - إلى نصر كبير لنا بعد أن كنت يومها على ميمنة الجيش، ثبت رسول الله ﷺ وأكثر من ثمانين من الإسلامي الذي يقوده رسول الله ﷺ، الذين بايعوه حتى الموت وكنت أدهم، وبعد أن عاد المسلمون الذين فتاوت بدخوله ﷺ وجيشه الأوثان والأصنام التي كانت تمثل الشرك والكفر كله، وقد أحاطت الكعبة من كل جوانبها، وبلغ عددها ٣٦٠ صنماً، فأمر رسول الله ﷺ بتهديمها وإخراجها من البيت الحرام. وارتفعت راية التوحيد خفاقة، وملأ التكبير سماء مكة، وكانت فرحتنا بهذا النصر الذي طال انتظاره، عظيمة، وابتهاجنا به كان كبيراً ...

وإذ نحن في غمرة أفراحنا بهذا النصر تناهت إلينا أنباء حشود عظيمة خطيرة بلغ تعدادها أكثر من ١٢ ألف مقاتل من قبائل الطائف وفي مقدمتها قبيلتنا هوازن وثقيف. فراح رسول الله ﷺ يعد منا جيشاً كبيراً بلغ تعداده ١٢ ألف مقاتل أو يزيد، وأمرنا بالتحرك، وكان اللقاء في وادي حنين

حيث حلت بنا هزيمة مفاجئة، تحولت - برحمة من الله - إلى نصر كبير لنا بعد أن ثبت رسول الله ﷺ وأكثر من ثمانين من الذين بايعوه حتى الموت وكنت أدهم، وبعد أن عاد المسلمون الذين لاذوا بالفرار من ساحة المعركة فاندفعت جموعهم نحو ساحة المعركة التي حمي وطيسها وهم ينزلون بالعدو هزيمة ساحقة.

لم أتخلف أبداً عن معارك رسول الله ﷺ وغزواته كما أني شاركت في معركة اليرموك وفي فتح مصر وحمص ودمشق وغيرها حتى قال لي أحد الذين كنت أحدثهم عن الجهاد - يوم فتح حمص ودمشق - وقد كبر عمري وضعف جسمي، يومذاك، قال لي: لو قعدت العام عن الغزو.

فقلت: أبت البحوث، فقد قال الله عز وجل فيها: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ (٣).

وكنت في كل تلك المعارك فارساً أخوض غمارها، وأبلي بها بلاءً حسناً،



مستبشراً بإحدى الحسينين: الشهادة أو الزبير بن عبد المطلب. ولا فخر - ضباعة بنت النصر.

قال لي - يوماً - عبد الرحمن بن عوف وقد جلسنا نتحدث: فتزوجتها وكانت من العقل والجمال بدرجة عالية مع قرباتها من رسول الله ﷺ.

ما يمنعك أن تزوج؟ فقلتُ له: زوجني ابنتك. فما كان منه إلا أن أغلظ لي في الكلام وجبهني.

وكان الصحابة إذا أصاب أحدُ منهم غمٌّ أو غيظٌ أو فتنة شكى ذلك إلى رسول الله ﷺ. فقمْتُ من فوري وأتيتُ رسول الله ﷺ، فما إن نظر إليّ حتى عرف الغم في وجهي.

وقال: ما شأنك يا مقداد؟ فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمِّي، كنتُ عند عبد الرحمن بن عوف جالساً فقال لي:

ما منعك يا مقداد أن تزوج؟ فقلت له: زوجني أنت ابنتك، فأغلظ لي وجهي.

فقال لي رسول الله ﷺ: لكنِّي

نزلت فيّ وفي نفر من أصحاب رسول الله ﷺ (ابن مسعود، صهيب، عمار، بلال) هذه الآية: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾.

حين كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ، وجاء بعض زعماء قريش، فقالوا لرسول الله:

إنّا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك حتى نجلس معك فنزلت فينا تلك الآية.

كما نزلت فيّ وفي رهط من أصحاب رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم﴾ (٤).

حينما اجتمعنا في دار الصحابي

الجليل القدر عثمان بن مطعون، واتَّفَقْنَا على أن نصوم النهار ونقوم الليل، ولا ننام على الفرش، ولا نأكل اللحم ولا الوَدَك، ولا نقرب النساء والطيب، ولا نلبس المسوح، ونرفض الدنيا ونسيح في الأرض ونترهب ونحبّ المذاكير. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعنا، وقال: ألم أنبأ أنكم اتَّفَقْتُمْ على كذا وكذا؟

فقلنا: بلى يا رسول الله! وما أردنا إلا الخير.

فقال لنا: إني لم أؤمر بذلك، إنّ لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، ومن رغب عن سنّتي فليس مني، ثمّ خرج إلى الناس وخطبهم فقال: ما بال أقوامٍ حرّموا النساء والطعام، والطيب والنوم، وشهوات الدنيا؟

أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهباناً، فإنّه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتّخاذ الصوامع،

وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتها الجهاد؛ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان؛ فإنّما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الدّيار والصالع. فأنزل الله تعالى تلك الآية.

وقلنا: يا رسول الله! كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟

وكنا حلفنا على ما عليه اتَّفَقْنَا. فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُوَاخِذْكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

ومما قاله رسول الله ﷺ فيّ وما سمعته منه:

□ أمرني الله - عزّ وجلّ - بحبّ أربعة من أصحابي، وأخبرني أنه يحبّهم: عليّ، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد الكندي.

□ ألا إنّ الجنّة اشتاقت إلى أربعة من أصحابي، فأمرني ربّي أن أحبّهم:



فانتدب ضُهيّب، وبلال بن رباح، وطلحة، والزُّبير، وسعد بن وقاص، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر.

فقالوا: يا رسول الله! مَنْ هؤلاء الأربعة حتى نحبهم؟

فقال رسول الله ﷺ: يا عمار أنت عرّفك الله المنافقين، وأما هؤلاء الأربعة فأحدهم عليّ بن أبي طالب، والثاني المقداد بن الأسود الكندي، والثالث سلمان الفارسي، والرابع أبو ذر الغفاري.

ومما سمعه منه ﷺ:

بعث رسول الله ﷺ سرية وأمّرني عليها، فلما رجعتُ قال لي ﷺ: كيف وجدتَ الإمارةَ يا أبا معبد؟

قلتُ: خرجتُ يا رسول الله! وأنا كأحدهم، ثمّ رأيتُ أنّ لي على القوم فضلاً، ورجعتُ وأنا أراهم كالعبيد لي.

فقال ﷺ: كذلك الإمارة يا أبا معبد، إلّا من وقاه الله شرّها، فخذ أو دَع.

فقلت: لا جرم، والذي بعثك

بالحق يا رسول الله! لا أتأمر على اثنين بعدها أبداً.

□ قلتُ - يوماً - لأصحاب لي: العجب من قوم مررتُ بهم آنفاً يتمنون الفتنة، يزعمون ليبتليهم الله فيها بما ابتلى به رسول الله ﷺ وأصحابه، وأيم الله، لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ السعيد لمن جنب الفتن» يردّها ثلاثاً «وإن ابتلي فصبر».

وأيم الله، لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتّى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول:

«لقلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياً».

□ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويُمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (٥).

وعقب نزول هذه الآية، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما على ظهر الأرض بيت حجر أو مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل: أما بعزهم فيجعلهم من أهلها، وأما بذلهم فيدينون بها.

والمسلمين خير الجزاء، ونسأله - تعالى - أن يرزقنا شفاعتك وصحبك يوم لا ينفع مال ولا بنون ...

من أحاديثي:

كنتُ مع جمعٍ من أصحابي إذ مرَّ رجل فقال لي: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسولَ الله ﷺ! والله لو دنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت.

فاستغضبني قوله هذا، وأقبلت عليه قائلاً:

ما يحمل الرجل على أن يتمنى شيئاً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهدته كيف يكون فيه؟

والله، لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يُعينوه ولم يصدّقوه، أولاً تحمدون الله أن أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم؟ وأنتم مصدّقون لما جاء به نبيكم، قد كفيتمُ البلاء بغيركم؛ والله، لقد بعث النبي ﷺ على أشدّ حال بُعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون

وما عرفتُ الحزنَ واللوعةَ، والمُ الفراق وقسوته، حتى داهمني الخبر المشؤم (نعي الحبيب رسول الله ﷺ) فكان نبأً عظيماً، وفاجعةً جسيمةً، ما لبثت حتى زلزلة الدنيا، وانتشر دويها في الخافقين ... حقاً، إنّها لصدمةٌ، وكيف لا تكون كذلك وقد وصلت برسول الله القلوب، وجبلت على حبّه النفوس، واعتادت على التشرف بطلعته الوجوه، وقد انتشلها من الضلالة إلى الهدى ومن الظلام إلى النور ...

لقد عاهدتك يا سيدي على أن لا أكون أكثر من جنديٍّ في خدمة الإسلام، وفدائيٍّ نذر نفسه دفاعاً عنه، فجزاك الله يا رسول الله! عن الإسلام



أَنَّ دِيناً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَاءَ
بُفْرُقَانٍ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ
الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ أَوْ وَلَدَهُ أَوْ جَدَّهُ
كَافِراً وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قُلُوبَهُ لِلْإِيمَانِ ...
ثُمَّ قَرَأَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُوَّةً أَعْيُنٌ﴾ (٦).
تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٣٣ هـ
بِأَرْضٍ كَانَتْ لَهُ تَسْمَى «الْجَرْفُ» وَحَمَلَهُ
أَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَفَنُوا فِيهَا. فَسَلَامٌ
عَلَيْكَ فَارِساً مُؤْمِناً قَوِيّاً فِي ذَاتِ اللَّهِ
مُجَاهِداً فِي سَبِيلِهِ، لَمْ تَدْخُرْ شَجَاعَةً وَلَا
نَصِيحَةً وَلَمْ تَبْخُلْ بِشَيْءٍ، فَكُنْتَ حَقّاً
حَبِيباً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

عدتُ فيما كتبت إلى ما تيسر لي من مصادر وهي:

- ١ - تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٢، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢ - الكامل، لابن الأثير.
- ٣ - المغازي، للواقدي.
- ٤ - العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي.
- ٥ - ربيع الأبرار.
- ٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري.
- ٧ - حلية الأولياء، لأبي نعيم الإصفهاني.
- ٨ - الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني.
- ٩ - السيرة النبوية لابن هشام، ولابن كثير.
- ١٠ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج ١.

الهوامش :

- (١) الأحزاب : ٥.
- (٢) الأنفال : ٩-١٣.
- (٣) التوبة : ٥ ، سميت بذلك أي بـ«البحوث»؛ لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم، أي استتارها وفتشت عنها.
- (٤) المائدة : ٨٧.
- (٥) النور : ٥٥.
- (٦) الفرقان : ٧٤.

ضربة الشمس

مصطفى شاهر ضائي / نويد علياري

المقدمة:

في كل عام يتوجه آلاف المسلمين لأداء فريضة الحج المقدسة، فيشكل وجودهم حشداً هائلاً يجعله عرضة للإصابة بمرض الأمراض، ومنها ضربة الشمس التي كثيراً ما يصاب بها عددٌ من الحجاج في كل موسم حج؛ ولذا رأينا من المناسب نشر هذه المقالة في مجلة الميقات علّها تنفع القارئ الكريم بما احتوته من معلومات صحيحة يمكن بها احتواء هذه الإصابة، والتعرّف على طرق الإسعافات الأولية، التي نرى من الضرورة للحاج التزوّد بها حتى تكون عنده ثقافة صحيحة وإن كانت بسيطة.

ضربة الشمس:

وهي إحدى الحالات الطارئة التي تلاحظ بصورة شائعة، ومع عدم وجود إحصاء دقيق عن نسبة انتشار هذه الحالة في إيران، إلا أنه من المحتمل أن تكون هذه الحالة على جانب كبير من الشيوع والانتشار؛ بسبب كثرة وجود



المناطق الحارّة في بلادنا. وقد شوهدت هذه الحالة بشكل متكرّر بين المقاتلين طوال سنوات الحرب المفروضة في المناطق الجنوبية لإيران، وكذلك بين حجّاج بيت الله الحرام. وتشاهد كذلك بين الرياضيين المحترفين، الذين يمارسون الرياضة كهواية للحصول على السلامة البدنية. وتختلف الأعراض التي تظهر إثر الإصابة بضربة الشمس، وتشمل الحالات التالية: السكتة القلبية على أثر ارتفاع الحرارة، والتشنج العضلي الشديد، والإرهاق والضعف المفرط الناشئ عن الحرارة، وضربة الشمس و...

كيف ينظم الجسم درجة حرارته؟

كما نعلم فإن الإنسان يعدّ من الموجودات ذات الدم الحار، ومن أجل بقائه على قيد الحياة لا بدّ من أن يحافظ على درجة حرارة جسمه ضمن حدود ضيقة. إنّ المحافظة على حرارة الجسم ضمن هذه الحدود تعدّ عاملاً حيويّاً وأساسياً، من أجل قيام مختلف أجهزة الجسم بوظائفها المعينة على النحو المطلوب. وبهذا اللحاظ فإن بدن الإنسان يسعى جاهداً كي يحافظ على درجة حرارته عند ٣٧ درجة سانتيفراد. ومن أجل المحافظة على بقاء هذه الدرجة ثابتة، يجب أن تتوازن عملية فقدان الحرارة مع انتاجها. هذا التعادل يحصل من خلال تغيير نسبة جريان دم القسم الخارجي للبدن؛ أي عندما ترتفع الحرارة المركزية للجسم، فإنّ العروق المجاورة تتسع وينقل الدم الحرارة الفائضة إلى الجلد، ويتم التخلص منها هناك بطريقتي الإشعاع والتوصيل. وإن كانت حرارة الجلد أقل من حرارة المحيط، يتم التخلص من الحرارة على شكل عرق يفرز خارج الجسم ... وبإمكان الفرد البالغ أن يفرز لتراً واحداً من العرق خارج بدنه خلال ساعة واحدة كأقصى حدّ؛ علماً بأنّ التعرق يحصل عندما تكون رطوبة

الجو قليلة، وينقطع التعرق عندما تصل الرطوبة إلى ٧٥٪. وتصل نسبة الحرارة المتولدة في الظروف المثلى، وأثناء الاستراحة لدى الشخص البالغ إلى حوالي ٦٠-٧٠ كيلو كالوري في الساعة. طبعاً هناك عوامل مختلفة يمكنها أن ترفع معدل إنتاج الحرارة في الظروف المثلى. ومن جملة هذه العوامل يمكن الإشارة إلى الاضطراب، والخوف، وتعاطي بعض الأدوية وارتفاع هرمونات الغدة الدرقية. ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع معدل إنتاج الحرارة الجهد البدني الذي يمكنه أن يرفع الحرارة المتولدة إلى ١٠٠٠ كيلو كالوري في الساعة بحسب نوعه وشدته. ولو تلاحظون أننا عندما نقوم بجهد بدني عالٍ، (مثلاً عندما نؤدي التمرينات الرياضية الثقيلة و...) فإن لون بشرتنا يميل إلى الحمرة، وهذا يعود إلى ارتفاع معدل جريان الدم تحت الجلد، الذي يحصل لغرض انتقال حرارة الجسم إلى المحيط الخارجي.

كيفية خفض درجة حرارة البدن:

- ١- الإشعاع: ويعدّ من أهم الطرق في فقدان الحرارة، الذي يتمثل بانتقال الحرارة من سطح إلى سطح آخر دون حصول التماس فيزيائي بينهما. وفي الظروف الطبيعية، يتم دفع ٦٪ من الحرارة المتولدة في الجسم عن طريق الإشعاع.
- ٢- التوصيل (كنداكسيون): هذه الطريقة مهمة في الماء والأجواء القطبية. ومن خلال طريقة التوجيه، فإن الهواء البارد الذي يكون في حالة تماس مع الجلد يسخن، ويخلي مكانه أمام الهواء البارد للنقاط الأخرى.
- ٣- طريقة التصعيد: الذي يتم فيه تبادل الهواء عن طريق حركة الهواء، أو جريان السوائل، مثل الحرارة الخارجة من الجسم عن طريق حركة الهواء الرطب، والإدرار، والعرق.



التأقلم مع التغيرات الحرارية:

كيف يتمكن بعض الأشخاص أن يتحملوا الحرارة، ويعيشون بكل هدوء وراحة في الأجواء الحارة؟

يطلق على الطريقة التي تؤدي إلى إيجاد هذه الحالة التأقلم أو التطابق الحراري. وعندما يحصل الشخص على حالة التطابق مع الحرارة، يمكنه القيام بأداء أعماله بكل راحة في الحالات التي كانت تعدّ سابقاً غير قابلة للتحمل ومجهدة في الظروف الطبيعية. ومع أن التطابق الأولي والنموذجي يمكن أن يحصل خلال ٥ أيام، إلا أن التطابق الكامل يحتاج إلى أسبوعين أو أكثر من الوقت. ويحتاج التطابق الكامل إلى تعاون الأجهزة القلبية والعرقية والجهاز الكليوي. وكما قلنا سابقاً: فإن معدل الحرارة المتولدة في الظروف المثلى، وأثناء الاستراحة يصل ٦٠-٧٠ كيلو كالوري في الساعة لدى الشخص البالغ، علماً بأن هذا المعدل يتفاوت خلال الفعاليات المتعددة. وفي الجدول التالي مقارنة بين الحرارة المتولدة في الأشخاص حسب الأعمال المختلفة، مع بيان متوسط مقدار الحرارة الناتجة:

معدل الحرارة المتولدة كيلو كالوري/ساعة	نوع العمل
٨٤	الطباعة
١٠٢	رياضة كرة القدم
١٠٨	الأعمال الوظيفية - الإدارية
١١٤	رياضة المصارعة
١٧٣	رياضة الهوكي
٢١٦	أعمال البناء
٣٠٠	حمل أدوات البناء
٣٤٤	رياضة كرة السلة
٣٦٠	الركض لمسافة ٥ أميال
٤٥٠	استخدام المنشار
٥٧٠	الحراثة بالمجرقة
٦٦٠	رياضة السباحة

الحوادث والأضرار الناتجة عن الحرارة:

تقسم الأضرار الناتجة عن الحرارة إلى مجاميع ثلاثة: ضربة الشمس، والإرهاق الناشئ عن الحرارة، والآلام والتشنجات العضلية الناشئة عن الحرارة.

أ- ضربة الشمس:

تحدث ضربة الشمس عندما تعجز الأنظمة المسؤولة عن تنظيم الحرارة في الجسم عن تبريد الجسم إلى الحد المطلوب، وفي هذه الحالة ترتفع حرارة الجسم، ولكن دون حصول التعرق، وبالنسبة تُخزن نسبة عالية من الحرارة في الجسم، مما يؤدي إلى إصابة الخلايا الدماغية بالضرر. وهذه المسألة تؤدي إلى الضعف الدائم أو الموت.

ويمكن تشخيص الإصابة بأنها «ضربة شمس» في حالة وجود الأعراض والأمارات المبينة أدناه:

- ١- حرارة أكثر من ٤٠ درجة م.
- ٢- الجلد ساخن، ويابس ومحمّر.
- ٣- النبض محدود ١٦٠ ضربة في الدقيقة، حيث يكون في بداية الأمر قوياً وسريعاً، ومع تفاقم الحالة يضعف ويسرع.
- ٤- ضيق الحركات في البداية، ولكن بعد فترة تأخذ بالاتساع.
- ٥- الدوار.
- ٦- التنفس في البداية يكون سريعاً وشديداً، ولكن يضعف بالتدريج ويصبح سطحيّاً.
- ٧- الصداع.



٨- تيبس الفم.

٩- التهوع، والتقيؤ والضعف العام.

١٠- انخفاض ضغط الدم.

١١- التشنجات العضلية، مع احتمال الإغماء وفقدان الوعي.

وفي أمريكا يلقى أكثر من ٤٠٠٠ شخص سنوياً حتفهم على أثر الإصابة بضربة الشمس. وإن ٨٠٪ من هذه الوفيات تحدث في الأفراد الذين تزيد أعمارهم على ٥٠ سنة، وتعدّ «ضربة الشمس» السبب الشائع الثاني للوفاة بين الرياضيين في المدارس الإعدادية. (السبب الأول يتمثل بالصدمة النخاعية).

إن الذين يتعرّضون للإصابة بضربة الشمس يواجهون الوفاة بنسبة ٨٠٪، وكلّما تأخر العلاج أكثر فإن الضرر الذي يلحق بالجهاز العصبي سيكون أكثر ديمومة وإضعافاً للمصاب. كما أن المستن، والضعفاء، والمبتلين بسوء التغذية، وخاصة المبتلين بالأمراض المزمنة (مثل أمراض الكلى، وأمراض القلب والعروق، ومرض الباركنسون^(١)، ومرض السكر، والإدمان على الكحول، والسمنة والأمراض الجلدية)، فهم أكثر تعرضاً لخطر الإصابة.

وأما المدمنون على المخدرات فهم لا محالة معرضون للإصابة. وحتى الأفراد الأصحاء عندما يبذلون نشاطاً مضاعفاً فإنهم معرضون للإصابة والموت بفعل ذلك. ويمكن أن تكون بشرة الشباب الذين يعانون من الإصابة بضربة الشمس حارّة ورطبة أكثر من الحدّ الطبيعي. ويرتفع معدل الإصابة بـ«ضربة الشمس» بارتفاع درجة الحرارة مع ارتفاع نسبة الرطوبة وسرعة الرياح.

ويمكن أن تحدث «ضربة الشمس» بسبب بعض العوامل مثل:

الحمى التي يستعصي علاجها، وتعاطي الكحول و....

العلاج:

كما علمنا سابقاً: فإنَّ «ضربة الشمس» تعدُّ من الحالات الطارئة، وأهم إسعاف فوري لها الإسراع لتبريد الجسم المصاب؛ ولهذا أبعادوا المريض عن أشعة الشمس فوراً، اخلعوا ملابسه، وبلّلوا كلَّ جسمه بالماء البارد، سارعوا إلى تهوية المكان بالهواء البارد. ثم لقّوا المريض بالأغطية المبلّلة بالماء البارد، إنقلوه من مكانه بأسرع ما يمكن، وعلمّوا الشخص المرافق له، كيف يحافظ على تعريض المريض أثناء الانتقال إلى الهواء، وأن يشغل جهاز التهوية بقابليته القصوى. ومن الأفضل الإسراع بوضع المريض داخل حوض فيه ماء وثلج. أو تمسح بشرته بالثلج. وإن لم يكن بالإمكان القيام بذلك، فضعوا قطع الثلج في كيس بلاستيكي، وبلّلوا جسم المريض بالماء، وعند تشغيل المكيف امسحوا الكيس على جسمه، وضعوا سطح الثلج تحت أيدي المريض، وحول رقبته، وعلى أطراف قبة الرجل كي تبرد العروق السطحية الكبيرة.

إن أكياس الثلج العادية عندما تستخدم بمفردها لا تؤدي إلى انخفاض الحرارة حتى الحد المطلوب، وعليه ينبغي أن تلفّق هذه الطريقة مع أساليب أخرى متعددة، وعندما تصل حرارة الجسم إلى أقل من 39° مئوية يجب قياس حرارة الجسم بواسطة المحارير بشكل مستمر، واحذروا انخفاض حرارة الجسم لأكثر من الحد المطلوب. وما دامت حرارة الجسم لم تصل إلى أقل من $37/8^{\circ}$ مئوية استمروا بعملية التبريد. وفي حالة عدم وصول الحرارة إلى أقل من $37/8^{\circ}$ مئوية بواسطة الإجراءات التي قتم بها فإن ضربة الشمس ستحدث ثانية. وأثناء تبريد جسم المريض ارفعوا رأسه وأكتافه إلى الأعلى قليلاً، وتأكّدوا من أن المريض ينعم بالهدوء.

لا تعطوا المريض أية مادة مهيّجة أو سوائل ساخنة إطلاقاً. وبما أن ضربة



الشمس تؤثر على أجزاء الجسم كافة، فمن الممكن أن تحدث إصابات كثيرة ناشئة عن ضربة الشمس أو الإجراءات العلاجية؛ ومن هذه الناحية لاحظوا الأعراض التالية أثناء تبريد جسم المريض:

١- التشنجات.

٢- رجوع المواد المتقيئة إلى الحلقوم.

يحدث التقيؤ غالباً بشكل متزامن مع التشنجات الناشئة عن أساليب التبريد، ولغرض منع دخول المواد المتقيئة إلى الحلقوم اجعلوا المريض في وضع يساعدكم على إخراج السوائل من المسالك التنفسية بسهولة.

ولو نجحتم في تخفيض حرارة الجسم بنسبة ٢° مئوية خلال ٣٠-٦٠ دقيقة أوقفوا إجراءات التبريد، وافسحوا المجال أمام الجسم ليبرد تلقائياً. وراقبوا المريض بشدة، فإن ارتفعت حرارة جسمه مجدداً قبل إكمال عمليات نقل المريض فاستأنفوا إجراءات التبريد مرة أخرى.

خلاصة إجراءات الطوارئ:

١- هبئ التهوية اللازمة والأوكسجين الكافي.

٢- انقل المريض إلى محيط بارد، واخلع كل ما يمكن خلعته من ملابسه.

٣- برّد جسم المريض بأية وسيلة متوفرة، وبالسّعة الممكنة. إنّ حوضاً مليئاً بالماء البارد والثلج مفيد جداً لتبريد المريض. وفي غير هذه الحالة فالاستحمام بالماء البارد، ومسح الثلج المجروش على جسمه، واستمرار الغسل المتزامن مع مسح البدن بالكحول، ولفّ المريض بغطاء مرطوب، مع التهوية بالهواء البارد، سيكون مفيداً هو الآخر. ولا بدّ من القول: بأن نجاح هذه الإجراءات العلاجية يتوقف على

سرعة العمل والدقة العالية، والتأخير في العلاج يؤدي إلى حدوث الاختلال الدائم في الدماغ. تابع قياس حرارة جسم المريض من ناحية المقعد عدة مرات.

يجب الاستمرار بشكل جدّي في الإجراءات العلاجية لتبريد المريض لحين بلوغ درجة حرارة الجسم أقل من ٣٩° مئوية.

٤ - حافظ على معدل النشاط القلبي حين نقل المريض، ويمكن الاستفادة من نبض المريض للسيطرة على ذلك.

٥ - لاحظ وراقب حالات التشنج.

ب - الإرهاق الناشئ بفعل الحرارة:

تحدث هذه الحالة في الفرد السالم عندما يؤدي نشاطاً بدنياً شديداً في محيط حار جداً، إذ تحدث نتيجة لحصول اختلال حقيقي في جريان الدم (كما يحصل في اختلال جريان الدم أثناء الصدمة).

إن الإرهاق الحراري في الواقع حالة مُشابهة للصدمة، التي تحدث بسبب تجمع الدم في العروق الجلدية وانخفاض نسبة إيصال الدم إلى الأعضاء الرئيسة، ويفقد الجسم مقادير كبيرة من السوائل والأملاح بسبب كثرة تصبب العرق. وفي حالة عدم تعويض هذه السوائل المفقودة بالحد الكافي فإن جريان الدم يضعف، ويؤثر ذلك على فعاليات الدماغ والقلب والرئة. ويبرز «الإرهاق الحراري» أحياناً متزامناً مع فقدان الماء والأملاح والإحساس بالآلام والتشنجات العضلية، ويعدّ «الإرهاق الحراري» أكثر شيوعاً من «ضربة الشمس».

إنّ عمال الغسيل والأفراد الذين يشتركون في الألعاب الرياضية الثقيلة، والتمرينات المجهدة وفي الأجواء الحارة، وكذلك الذين انتقلوا تَوّاً إلى المناطق



الحارّة، معرضون لخطر الإصابة أكثر من غيرهم.

حالات الشكوى والأعراض الأولية عبارة عن:

- ١- الصداع، والدوار، والتهوع والضعف.
- ٢- الإغماء.
- ٣- التعرق الشديد.
- ٤- فقدان الشهية.
- ٥- انخفاض الوعي بنسبة قليلة
- ٦- انخفاض درجة حرارة الجسم لأقل من الحد الطبيعي أو ثباتها في الحد الطبيعي.
- ٧- اتساع حدقة العين.
- ٨- الضعف والنبض السريع.
- ٩- التنفس السطحي والسريع.
- ١٠- شحوب لون البشرة (عادةً ما يكون لونها رمادياً)، وتكون باردة رطبة.
- ١١- احتمال وجود آلام في العضلات.
- ١٢- صعوبة السير.

وفي الوقت الذي تتشابه فيه أعراض وأمارات الإرهاق الحراري لسائر حالات ضربة الشمس، إلا أنه توجد اختلافات واضحة بينها تساعدك على التشخيص الصحيح للمرض. وأكثر الفوارق وضوحاً هو حالة الجلد أو البشرة ودرجة حرارة الجسم. ففي «ضربة الشمس» يكون الجلد محمّر اللون، ويابساً وحاراً جداً، بينما في حالة «الإرهاق الحراري» يكون الجلد - عادةً - رطباً، بارداً

وشاحِبَ اللون. ودرجة حرارة الجسم في الفرد المصاب بضربة الشمس يمكن أن تصل إلى أكثر من ٤١° مئوية، بينما في «الإرهاق الحراري» تكون الحرارة طبيعية أو أقل من الحد الطبيعي.

أهم المشاكل في «الإرهاق الحراري» هي فقدان الأملاح: وحتى المرضى الذين يستخدمون العلاجات المساعدة على الادرار فهم معرضون للخطر بشدة. إذ إنَّ نسبة الماء والأملاح في أجسامهم تفقد توازنها. أي أنَّ مقدار فقدان الماء يزيد على نسبة استهلاك الأملاح أو بالعكس.

لغرض علاج المريض يجب:

- ١ - حمله إلى غرفة باردة، ولكن تأكد من عدم ارتجافه من البرد، وامسح بشرته بأكياس باردة ورطبة، واستخدم مكيف الهواء البارد.
- ٢ - اطلب منه أن يستلقي، وارفع رجليه لارتفاع ٢٠-٣٠ سم، واخفض رأسه قليلاً؛ لكي يصل الدم الكافي إلى دماغه، حاول أن تخلع ملابسه جهد الإمكان، وإن كان ذلك غير ميسور فأرخها.
- ٣ - أعط المريض محلول الماء والملح (ملعقة طعام في قدح ماء) بمعدل نصف قدح في كل ١٥ دقيقة، ولمدة ساعة واحدة.
- ٤ - إذا تقيأ المريض، توقف عن إعطائه محلول الماء والملح، وانقله إلى المستشفى؛ ليزرقوا محلول الماء والملح في أورده (استخدام المغذي). وهذه الحالة عادة ما تكون الحالة الوحيدة التي يحتاج فيها الفرد المصاب بالإرهاق الحراري إلى الرقود في المستشفى؛ ذلك لأن تعويض الماء والملح أمرٌ ضروري.
- ٥ - في حالة عدم تقيؤ المريض، علّموا أفراد الأسرة بأن يتركوا المريض ليسترخ في جو هادئ لمدة ٢-٣ أيام، وأن لا يجعلوه عرضةً للحرارة.

ج - الشد العضلي (التشنجات العضلية) الناشئة بفعل الحرارة:

إنَّ تقلُّص العضلات الناشئ بفعل الحرارة والانقباض، أو التشنج الدائم للعضلات عادةً ما يرافقه الألم والأوجاع، الذي يحدث عند فقدان الأملاح بنسبة عالية أثناء التعرق الشديد، أو انخفاض نسبة تمثيل الأملاح في الجسم. وعندما تنخفض نسبة الماء في الجسم فإن المريض يشعر بالعطش، لذا يلجأ إلى شرب مقادير كبيرة من الماء ليطفى ظمأه من دون أن يلتفت إلى تعويض الملح المفقود. وفي كل الأحوال فإنَّ الشدَّ العضلي يحصل غالباً في عضلات اليد، والفخذ والبطن. وغالباً ما يكون ذلك علامةً على احتمال حصول «الإرهاق الحراري».

ليس من الضروري أن يكون الهواء شديد الحرارة أو ساخناً ليحصل الشدَّ العضلي (التشنج العضلي). وعلى سبيل المثال فإن الشخص الذي يمارس الرياضة بشدة في الهواء البارد، ويتصبب عرقاً، من الممكن أن يتعرض للإصابة للشد العضلي الناشئ بفعل الحرارة، في حالة عدم تعويضه الأملاح المفقودة من جسمه. وبشكل عام ومن أجل أداء العضلات لوظائفها بنحو أحسن، فهي بحاجة إلى توازن دقيق في نسبة الماء والأملاح. ومتى ما اختلَّ هذا التوازن فإنَّ الانقباض والانبساط العضلي لا يحدثان بشكل جيّد، ممّا يؤدي إلى حدوث الشدَّ العضلي.

ومع إمكانية تعرض المريض إلى الدوار وحتى الشعور بالإغماء، إلا أن الوضع النفسي ومستوى الوعي لدى هؤلاء المرضى يبقيان في مستواههما الطبيعي.

ولغرض معالجة الشدَّ العضلي، أضف ملعقة طعام من الملح إلى قدح من الماء، وأعط المريض نصف قدح كل ١٥ دقيقة بهدوء. هذا العلاج يقضي على الشدَّ العضلي بسرعة. وانتبه جيداً إلى عدم ذلك العضلات المصابة بالشدَّ

العضلي، ذلك أن التدليك لا يعالج التشنجات، بل يمكن أن يزيد الآلام! ومن المهم جداً أن نبين للمريض الحالة التي تعرّض لها وما هو سببها، كي يقي نفسه من حصول هذه الحادثة مجدداً، وأكدوا له أنه لا يعاني من مشكلة معينة. إن بعض المرضى المصابين بالشّد العضلي الشديد ويعانون من آلامه، يخشون من تحترق الدم أو تمزق العضلة. ساعدوا المريض ليحافظ على هدوئه، ذلك أن الهدوء يبعث على سرعة تحسّن التشنجات العضلية. ويجب على المريض أن يجتنب القيام بأي نشاط لمدة ١٢ ساعة.

الوقاية:

متى ما صادفتم المرضى المبتلين بالأضرار الناجحة عن الحرارة، فاشرحوا لهم الطرق والأساليب التي بوسعها أن تساعدكم في المستقبل على اجتناب هذه الأضرار. ذكّروهم بالاجراءات المبيّنة أدناه:

١- ارتدوا الملابس الفضفاضة (بحيث لا تلتصق كثيراً بالجسم) والملابس ذات اللون الفاتح (التي تعكس أشعة الشمس وتساعد على التعريق بنحو أفضل)، وضعوا القبعات العريضة على رؤوسكم.

٢- اجتنبوا التغيرات المفاجئة في الجو؛ مثل المغادرة السريعة لبنائية ذات تهوية باردة والنزول إلى الشارع الساخن. وقبل أن تستقلّوا السيارة التي هي في الموقف تحت أشعة الشمس، افتحوا أبوابها بضع دقائق لغرض تهويتها وتغيير الهواء الذي بداخلها.

٣- تناولوا الأغذية والمشروبات الباردة، وضعوا المقدار الذي ترغبونه من الملح على الطعام، وفي حالة توازن نظامكم الغذائي فلا داعي لأقراص الملح عادةً.



٤- إشرَبوا المقدار الكافي من الماء في الجو الحار، حتى وإن لم تشعروا بالعطش.

٥- لغرض التأقلم على هواء منطقة حارّة دخلتموها تَوّاً، يجب عليكم أن تحدّدوا فترة ١٥ دقيقة في اليوم الأول للتعرض إلى أشعة الشمس الشديدة، أو القيام بالنشاطات الفعّالة ولمدة ١٠ أيام، وفي كلّ يوم أضيفوا ١٥-٣٠ دقيقة لذلك المقدار.

٦- اجتنبوا القيام بأي نشاط خارج الأماكن المغلقة أو المسقّفة بين الساعة ١٠-١٢ نهراً قدر الإمكان.

٧- متى ما مارستم الرياضة في الجو الحارّ، الجأوا إلى الاستراحة لمدة ٥-١٠ دقائق كلّ نصف ساعة.

٨- إحرصوا على شرب مقادير من الماء المملح أثناء ممارسة الرياضة.

٩- لو كانت الرطوبة مرتفعة في منطقة حارّة، يجب أن تكونوا أكثر احتياطاً، فعندما تصل رطوبة المنطقة إلى ٦٠٪ فإنّ الهواء المحيط سيكون غير قادر على تقبل جميع العرق المتصبّب منكم، ولو وصلت الرطوبة إلى ٧٥٪ فلن يتعرق جسمكم إطلاقاً.

١٠- في المناطق الساخنة والجافة لا تظنوا بأن أجسامكم لا تتعرق، بل إن العرق في حالة تصبّب من أبدانكم، وعليكم أن تشربوا مقادير كبيرة من الماء.

١١- لو بلغت درجة حرارة المحيط أكثر من ٣٠° مئوية كونوا أكثر احتياطاً.

١٢- لو كنتم تتبعون نظاماً غذائياً يخلو من الملح أو قليل الملح، أو تعانون من أحد الأمراض المزمنة مثل مرض القلب، أو ضغط الدم العالي، أو مرض السكر، أو الأمراض الرئوية، فإنّ الحرارة العالية والرطوبة على درجة عالية من

الخطورة، وينبغي عليكم استشارة طبييكم الخاص قبل القيام بأي نشاط غير مألوف في الجو الحار والرطب.

١٣ - لو تعرّضتم للدوار، التهوع، الإرهاق غير الطبيعي، الصداع، تقلص عضلات الفخذ واليد، ألم وحرقة شديدة في المعدة، فلا بد من الخضوع لمراقبة الطبيب.

الخصوصيات	التشنجات العضلية	الارهاق الحراري	ضربة الشمس
السبب	فقدان الماء والأملاح	فقدان الماء والأملاح	فقدان آلية تنظيم حرارة الجسم
الشّد العضلي	يحدث	ممكّن الحدوث	غير موجود
الوضع النفسي	طبيعي	يملك أن يختلّ	النعاس، الإغماء
الجلد	بارد ورطب	بارد ورطب وشاحب اللون	حار ومحمّر وجاف
درجة الحرارة	طبيعية	طبيعية أو منخفضة	مرتفعة عادةً
النبض	سريع	سريع وضعيف	سريع وقوي
ضغط الدم	يملك أن يكون منخفضاً	يملك أن يكون منخفضاً	يملك أن يرتفع في البداية
العلاج	إعطاء الماء والملح	إعطاء الماء والملح وتبريد الجسم	تبريد الجسم بسرعة

الهوامش :

(١) ويعرف بالشلل الرعاشي (Parkinsonism) (وهو مرض أو اضطراب عصبي مزمن يتسم بتصلب عضلي، ولكنّه غير مصحوب بارتعاش).

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة
لزائر المدينة المنورة الميمونة (٢)

عبد الرحمن خويلد

٦ - مسجد السجدة أو البجير أو أبي ذر

يبعد هذا المسجد حوالي خمسمائة وخمسين متراً شمال المسجد النبوي، ويقع في نهاية شارع أبي ذر المتصل بشارع المطار القديم. ومسجد السجدة هو أصل اسم هذا المسجد؛ لأن النبي (ﷺ) صلى في مكانه ركعتين، وأطال السجود في إحداهما حتى ظنَّ مَنْ كان معه أنَّه قُبِضَ، فلما نهض من سجوده أخبر بقوله: «إنَّ جبريل أتاني فقال: مَنْ صَلَّى عليك من أمتك صَلَّى الله عليه عشراً، ورفع به عشر درجات»^(١). ثم أطلق على هذا المسجد اسم البحير، وهو اسم لبستان كان المسجد يقع في طرفه^(٢)، وتدارك النسيان هذا الاسم، وأصبح الآن يُعرف بمسجد أبي ذر، ولعلَّه سمي بذلك نسبة لاسم الشارع الذي يقع المسجد في نهايته، والله أعلم.

٧ - مسجد السبق



يقع هذا المسجد في الشمال الشرقي من مسجد الرسول (ﷺ)، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بخمسمائة متر، وهو في نهاية نفق المناخة السابق، قبل زيادة امتداده حالياً، وهو ملاصق لمحطة النقل الجماعي الرئيسية.

وسمى بالسبق لأنه يقع في منتصف ميدان سباق الخيل في عهد النبي (ﷺ)^(٣). روى الدارمي في سننه^(٤) أنه «كان رسول الله (ﷺ) يسابق بين الخيل المضمرة من الحفياء^(٥) إلى الثنية، والتي لم تضر من الثنية إلى مسجد بني زريق».

وقد بُني هذا المسجد بناءً حديثاً، وتقام فيه الصلوات الخمس، ويُعتبر من

المساجد الكبيرة بالمدينة المنورة.

٨- كهف بني حرام

مكان هذا الكهف على جبل سلع، وهو معلّم بارز فيه، يمكن أن يُرى من مكان بعيد، لكن العماثر العالية غطّت أغلب جهاته، وهو في الشمال الغربي من المسجد النبوي، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بثمانمائة متر، وهو قريب من مسجد السبق، على يمين المتجه إلى المساجد السبعة، ويمكن الصعود إليه من ممر ضيق بين عمارة جوهرة المدينة للزائرين والحجاج، وجوهرة أمّ القرى للسفريات الدولية. وبناءؤه عثماني، وكان فوقه قبة صغيرة، ثم أزيلت، وبقي الكهف قائم العين حتى الآن. وقيل: إنّ النبي (ﷺ) كان يبيت فيه محروساً أيام غزوة الخندق قبل أن يترك الحراس^(٦).



وروى الطبراني^(٧) عن أبي قتادة قال: «خرج معاذ بن جبل لطلب رسول الله (ﷺ) فلم يجده، فطلبه في بيوته فلم يجده، فأتبعه في سكة حتى دُلَّ عليه في جبل ثواب (سُلع) فخرج حتى رقي جبل ثواب، فنظر يمينا وشمالاً فبصر به في الكهف الذي اتخذته الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح، قال معاذ: فإذا هو ساجد، فهبطتُ من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع رأسه حتى أسأت به الظن؛ فظننت أنه قد قُبِضَ، فلما رفع رأسه قلت: يا رسول الله! لقد أسأت بك الظن، وظننت أنك قد قُبِضت، فقال: جاءني جبريل ﷺ بهذا الموضع فقال: إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يقرئك السلام، ويقول لك: ما تحبُّ أن أصنع بأمتك، قلت: الله أعلم، فذهب، ثم جاءني فقال: إنَّه يقول: لا أسوءك في أمتك، فسجدتُ، فأفضل ما يتقرب به العبد إلى الله السجود».

٩ - مسجد الراية

يقع هذا المسجد شمال المسجد النبوي، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بكيلومتر واحد وثمانمائة متر، وهو خلف المحطة الأهلية للبنزين، التي تُعرف بمحطة الزغبية.

وقد أصبح هذا المسجد محصوراً بين المساكن الجديدة، ويصعد إليه صعوداً، وكان في حجم الغرفة، وبنائه من الحجر، وقربه حوش، أما الآن فقد رُممت الغرفة، وطلي حجرها بالبلاط الجميل الصغير الحجم، وأُلحق الحوش بالمسجد، وفُصل بينه وبين الغرفة جدار له باب متصل بها.

وأصل تسميته بمسجد الراية نسبة إلى جُبيل الراية الذي يقع عليه هذا



المسجد، والذي نصب النبي ﷺ رايته المنصورة عليه في غزوتي خيبر وتبوك.
وقد صلى الرسول ﷺ على هذا الجبيل، ووضع قبته عليه في الأيام
الأولى من حفر الخندق^(٨).

١٠- مسجد الدرع

مكان هذا المسجد على يسار طريق مزار سيد الشهداء، وقبل مسجد
المستراح بثلاثمائة متر، وسمي بالدرع؛ لأن النبي ﷺ وضع فيه درعه، وهو
لباس الحرب الخاص به^(٩).

وبناؤه عثماني، وقد جُدد في الوقت الحاضر.
١١- مسجد الشيخين أو البدائع أو المستراح

يقع هذا المسجد علي يسار الذهاب إلى أحد من طريق سيد الشهداء، وقبل الوصول إلى شهداء أحد بمسافة تقدّر بكيلومتر واحد وثلاثمائة متر، وقد بُني إلى جانبه مسجدٌ حديثٌ، وسمّي باسمه.

وأصل تسميته بمسجد الشيخين نسبة إلى أئمة الشيخين، وهي عبارة عن نتوء كان أصله أطمان ليهود، وقيل: سميت بأئمة الشيخين نسبة إلى رجل وامرأة تجاوز عمرهما مائة عام، تحادتا وتسامرا عند هذه الأئمة، فاستغرب الناس ذلك، وسموا مكانهما بهذا الاسم^(١٠).

وكان هذا المسجد يسمى أيضاً بمسجد البدائع^(١١).
فروى ابن شبه^(١٢) عن سعد: «أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي عند



الشيخين، وبات فيه، وصلى فيه الصبح يوم أحد، ثم غدا منه إلى أحد، وعن ابن عباس عن سعد أن النبي (ﷺ) صلى في المسجد الذي عند البدائع عند الشيخين العصر والمغرب والعشاء والصبح وبات فيه حتى أصبح.

ويسمى الآن بمسجد المستراح، وهو معروف عند أهل المدينة بهذا الاسم، ويظهر أن سبب تسميته بذلك نسبة إلى استراحة النبي (ﷺ) فيه عند ذهابه إلى غزوة أحد.

وقد استعرض الرسول (ﷺ) جيشه عند هذا المسجد، وردّ من استصغره من الصحابة، كما ردّ كتيبة اليهود من أحلافه، وقال: «لا نستعين بالمشرّكين على المشرّكين»^(١٣)، وعندها رجع عبد الله بن أبيّ بن أظاعه من المنافقين، وهم ثلث الجيش، متذرعاً أن النبي (ﷺ) أخذ برأي غيره^(١٤).

١٢ - جبل عينين (الرامة)

وهو جبيل شمال المسجد النبوي على بُعد أربعة كيلومترات وثلاثمائة متر منه.

وكلمة عينين أصلها اسم لرجل من العمالقة (١٥).

جبل الرماة من الخلف، ويظهر مجرى السيل واضحاً

وقيل: إن النبي (ﷺ) صلى على هذا الجبل يوم أُحد.

وسمي في الإسلام جبل الرماة، لأن النبي (ﷺ) أوقف عبد الله بن جبير في خمسين من الصحابة الرماة يوم معركة أُحد لصدّ المشركين من الجهة الجنوبية ورميهم بالنبل، وأوصاهم بعدم التحرك من الجبل سواء انتصر المسلمون أم هزموا، وقد حاولت خيول المشركين الإغارة على المسلمين من جهة هذا الجبل،



فصدّهم الرماة ثلاث مرّات.

وبعد احتدام القتال بين الجانبين أسفر عن قتل حملة لواء المشركين، وانكشفوا وتركوا متاعهم، فنزل أغلب الرماة ليشاركوا بقية المسلمين في أخذ الغنائم، ولم يبق منهم إلا رئيسهم وستة من أصحابه^(١٦)، وعند ذاك التفّ عليهم خالد بن الوليد في خيول المشركين، واستطاعوا قتلهم، وأخذوا مكانهم، ثم هجموا على المسلمين، فتألّم قائد الرماة عبد الله بن جبير، وقال: «اللهم إني أبرأ إليك ممّا فعل هؤلاء وما فعل هؤلاء»، يعني المخالفين والمشركين^(١٧).

وأصيب سيد الشهداء حمزة عليه السلام برمية وحشي^(١٨) في الركن الجنوبي الشرقي من هذا الجبل، ثم سقط شهيداً في جهته الشرقية، ودفن مع ابن أخته عبد الله بن جحش في ذلك المكان، وبقياً كذلك حتى سنة ٤٦ هـ، ثم نقلوا إلى مكانهما الحالي بسبب سيل الماء الشديد الذي جرف قبريهما^(١٩).

وقيل: إنّهُ تحرّكت يد حمزة - رضوان الله عليه - عن جرحه، فسال منه الدم، وكأنّ صاحبه حيّ لم يمّت^(٢٠)، ثم أعيدت إلى مكانها فوقف ثوران الدم، فصدق الله - تعالى - بقوله: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾^(٢١).

وقد أزيل الكثير من هذا الجبل، فقبل بضع سنين رأيت عليه بناءً عثمانياً من الحجر، لكنه هدم معظم هذا البناء، ولم يبق منه إلا آثار قليلة، كما سوي سطحه، وصار الصعود إليه سهلاً.

والملاحظ على جبل أحد أنّه شبيه بقلعة عسكرية محصّنة من جهاتها الثلاث الشمالية والشرقية والغربية، أما جبل الرماة فهو حماية للجيش الإسلامي من الجهة الجنوبية، فلما دخل جيش المشركين بين الجبلين سهّل الانقضاض عليه، فلو التزم الرماة بأمر النبي ﷺ لما استطاع الكفار الانتصار في هذه

المعركة.

فيا ليتنا نلتزم بأوامر الله - تعالى - ونبيّه (ﷺ) التزاماً كاملاً؛ لنفوز بسعادة الدارين، ويكون لنا شأن آخر.

... يتبع

الهوامش :

- (١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢: ٢٦٧ ح ٢٩٨٢.
- (٢) الدر الثمين : ١٧٠.
- (٣) تاريخ معالم المدينة المنورة : ١٢٠؛ والدر الثمين : ٢٣٢.
- (٤) باب في السبق ٢: ٢١٢.
- (٥) الحفيا: هي السهل الواقع غربي جبل أحد، ينظر: الدر الثمين : ٢٣٢؛ وجاء في كتاب معالم المدينة المنورة : ٢٤٩ (حَفْيًا بالفتح ثم السكون وياء وألف ممدودة، موضع قرب المدينة المنورة، أجرى منه رسول الله (ﷺ) الخيل في السباق).
- (٦) الدر الثمين : ٢٣٢.
- (٧) المعجم الصغير ٢: ١١٧.
- (٨) وفاء الوفا ٢: ٨٤٥، وعمدة الأخبار : ١٨٧-١٨٨؛ والدر الثمين : ١٧١.
- (٩) تاريخ معالم المدينة : ١٣٤.
- (١٠) عمدة الأخبار : ١٧٦؛ والدر الثمين : ١٧٥.
- (١١) تاريخ المدينة ١: ٧٢؛ ووفاء الوفا ٢: ٨٦٥؛ والدر الثمين : ١٧٥.
- (١٢) تاريخ المدينة ١: ٧٢.
- (١٣) طبقات ابن سعد ٢: ٣٩؛ وتحقيق النصرة : ١٥٤؛ والدر الثمين : ١٧٤.
- (١٤) الدر الثمين : ١٧٤.
- (١٥) الدر الثمين : ١٧٥؛ والعمالقة قوم كانوا في يثرب (المدينة) قبل مجيء نبي الله (ﷺ) من اليمن إليها، ومحاصرته لها، وإعجابه بها، ورغبته في اتخاذها محلاً لسكناه، لكن قيل له: إنها ليست لك، إنها مهاجر نبي يأتي في آخر الزمان، فترك من قومه، وهم الأوس والخزرج، ليدركوا ذلك النبي وينصروه.
- (١٦) الدر الثمين : ١٨٧.
- (١٧) الدر الثمين : ١٧٦.
- (١٨) جاء في سيرة ابن هشام ٣: ١٢ ما نصّه: «فبلغني أنّ وحشياً لم يزل يحدّ في شرب الخمر حتى خلع من الديوان»؛ وجاء في الدر الثمين : ١٩٩ أنه «مات مدمن خمر».
- (١٩) جاء في تحقيق النصرة : ١٣٤-١٣٥ أنه «لا يُعرف من قبور الشهداء إلا حمزة وابن أخته عبد الله بن جحش، قيل: وهو الملقب بالمُجدع في الله، لأنه قُتل وجُدِعَ (قُطِعَ أنفه وأذنه)».

(٢٠) تاريخ المدينة المنورة ١: ١٣٣، والدر الثمين: ١٩٩.
(٢١) آل عمران ١٦٩.



١٢٣٤/٤

معجم ما كتب في الحج والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز (١)

عبد الجبار الرفاعي

تعريف بمصادر دراسة الحج ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمعالم المشرفة في الحجاز، وما يرتبط بذلك، يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

- ١ - بلغ عدد العناوين ما يقارب (٢٠٠٠) عنوان.
- ٢ - شملت التغطية الزمانية ما كُتِبَ منذ بداية التدوين عند المسلمين الى اليوم.

٣ - ينشر هذا العمل خلال حلقات في مجلة «ميفقات الحج» بناءً على طلب رئيس تحرير المجلة. وبعد الفراغ من نشره هنا ستقوم معاونة شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج، التابعة لممثلة الولي الفقيه لشؤون الحج والزيارة

بنشره مستقلاً إن شاء الله تعالى.

- ٤ - لا تمثل هذه القائمة استقراءً تاماً لجميع ما كُتِبَ في هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكتّاب إعلامه بأعمالهم التي لم تُرصد في القائمة على عنوان المجلة، كما يجري استدراكها حيثما ينشر هذا العمل في كتاب.
- ٥ - اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.
- ٦ - رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائي التام، واعتبار الوحدة في الترتيب هي الكلمة، أي على أساس كلمة كلمة، ثمّ حرف حرف.

المختصرات:

ت: تاريخ الوفاة	د.ن: بدون ذكر الناشر	ع: العدد
ج: الجزء	س: السنة	ق ٧هـ: القرن السابع الهجري
ح: الحلقة	سم: سنتيمتر	م: السنة الميلادية
خ: نسخة مخطوطة	ش: السنة الهجرية الشمسية	مج: مجلد
د.ت: بدون تاريخ	ص: الصفحة	مط: المطبعة
د.م: بدون ذكر مكان النشر	ط: الطبعة	هـ: السنة الهجرية القمرية
في المطبوع	ظ: أنظر	

١ - آئين وملكت ابراهيم ﷺ در قرآن

مجيد

(بالفارسية)

عبد الله جوادى آملي

مِيقَاتُ حَجَّ، س ٣، ع ٩ (پاييز

١٣٧٣ش) ص ٤٦-٥٥.

٢ - آثار اسلامى مكه ومدينه

(بالفارسية)

رسول جعفریان

طهران: مشعر، ط ١، ١٣٧١ش، ١٤٠ص.

طهران: نشر مشعر، ط ٢، ١٣٧٣ش،

١١١ص، تصاویر.



- ٣ - الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية
في عهد الرسول والخلفاء الراشدين
سعد بن عبد العزيز الراشد
العصور، مج ٣، ج ٢ (ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٨٨ م) ص ١٩٩-٢٣٦.
- ٤ - الآثار الإسلامية في مكة المكرمة
العرب، س ١٧، ص ١٦١، ٧٩٣، س ٢٠، ص ٦٤١.
- ٥ - آثار المدينة المنورة
عبد القدوس الأنصاري
دمشق: مطبعة الترقى، على نفقة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م).
المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٩٣٥ م، ١٨٨ ص، خريطة، لوحة، مصور، ٢٢ سم.
- ٦ - آداب حج
عبد الرحمن الجامي
خ:
ملك في طهران برقم ٤٧٩٥، تاريخها رجب ٨٩٥ هـ.
(والمظنون أن هذا الكتاب متحد مع مناسك الحج الآتي للمؤلف)
ظ:
الذريعة ٢٢/٢٦٥.
- ٧ - آداب الحج الظاهرة
محمد صابر البرديسي
منار الاسلام (أبو ظبي)، س ١٦، ع ١٢ (١٩٩١/٦)، ص ١٠٥-١٠٩.
- ٨ - آداب الحرمين
علي بطحائي گليايگاني
طهران: إسلامية، ١٣٨٢ هـ، ٧٤ ص.
طهران: خزر، ط ٣، ١٣٧١ ش، ٣٥٢ ص.
- ٩ - آداب زيارة المسجد النبوي والسلام
على رسول الله ﷺ
عطية محمد سالم
المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٨ م، ٧٨ ص.
- ١٠ - آداب واحكام حج
محمد رضا الكلبيايگاني
قم: دار القرآن الكريم، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٦٠٠ ص.
- ١١ - آداب وأدعية زيارة المدينة المنورة
وزيارة مسجد رسول الله ﷺ
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
(٦٦١-٧٢٨ هـ)
القاهرة: شركة الشمري، ١٩٦٥ م، ١٢٠ ص.

- ١٢ - آراء المراجع في الحج
علي افتخاري گلپایگانی
طهران: ١٣٥٧ش، ٢٠٤ص.
- ١٣ - آل فهد مؤرخو مكة
العرب (الرياض): س ١١، ص ٩٠٨.
- ١٤ - آیا غیر مسلمان می تواند در جزیره العرب سکونت کند؟
(بالفارسية)
يعقوب جعفری
مِيقَاتُ حَجَّ، س ١، ع ١٦ (پاییز ١٣٧١ش)، ص ١٣٦-١٢٩.
- ١٥ - أبحاث الندوة العالمية الأولى
لدراسات تاريخ الجزيرة العربية
الرياض: ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ - آيار ١٩٧٧م.
- ١٦ - أبحاث الندوة العلمية لدراسات
تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول
ﷺ والخلفاء الراشدين
الرياض: جامعة الملك سعود، ١٥-٢١
محرم/١٤٠٤ هـ.
- ١٧ - أبواب الجنان وبشائر الرضوان
(وهو في بيان زيارة النبي وسائر
الأئمة عليهم السلام وبعض الأدعية والأعمال
مرتباً على مقدمة في فضل مكة
والمسجد وسائر المشاهد للأئمة عليهم السلام)
خضر بن شلال آل خدام العفكاوي
- النجفي (ت ١٢٥٥ هـ)
ظ:
الذريعة ١/٧٤، معجم ما كُتِبَ عن الرسول وأهل
البيت ١/١١٠.
- ١٨ - ابو الوليد ازرقى وكتاب او (اخبار
مكة)
نقد و بررسی کتاب - اخبار مكة -
نوشته محمد بن عبد الله الازرقى
محمد علي مهدوى راد
مِيقَاتُ حَجَّ، س ٣، ع ٩ (پاییز ١٣٧٣ش)،
ص ١٧٨-٢٠٠.
- ١٩ - اتحاف الزائر في فضائل المدينة
عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر
أبي اليمن (ت ٦٧٦ هـ)
ظ:
الضوء اللامع ٦٤٢.
- معجم ما أُلِفَ عن رسول الله ﷺ ٩٣.
معجم ما كُتِبَ عن الرسول وأهل البيت ١/١١٣.
- ٢٠ - اتحاف فضلاء الزمن في تاريخ مكة
المكرمة
مجهول المؤلف
حققه: حمد الجاسر
الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر
ظ:
المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥، مج ٥١ (١٤١٠ هـ)



معجم ما كتب عن الرسول واهل البيت

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

١١٤-١١٥.

٢١ - اتحاف الوري بأخبار أم القرى

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد
القرشي الهاشمي، المعروف بعمر بن فهد،
وليس اسمه عمر ولا اسم أبيه فهد
(٨١٢-٨٨٥ هـ)

تحقيق: فهد محمد شلتوت، وعبد
الكريم بن علي الباز
مكة المكرمة: مركز البحث العلمي
بجامعة أم القرى، ١٤٠٤ هـ، ٤ مج.
العرب، س ١٨، ج ٥، ٦
(٩-١٠/١٩٨٣م) ص ٤٢٨.

٢٤ - اشارة الترغيب والتشويق إلى

المساجد الثلاثة والبيت العتيق

محمد بن إسحاق الخوارزمي (٨٢٧ هـ)
خ:

الحرم المكي/٢، قال صاحب الأعلام:
اختصره محمد بن أحمد الزمלקاني
والمختصر مطبوع.

ظ:

المـنـهـل، س ٦، ع ٧٥، مج ٥١ (١٤١٠ هـ)
= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠١.

٢٥ - الإحرام

محمد محمد الشرقاوي

منار الإسلام (ابو ظبي)، س ١٥، ع ١١،
(١٩٩٠/٥)، ص ٨٧-٨٩.

٢٦ - احرام - قاموس واژه‌ها

وامصلاحات حج

(بالفارسية)

علي حجتى كرماني

مقيقات حج، س ١، ع ٢ (زمستان
١٣٧١ ش) ص ١٠٥-١١٨؛

س ٢، ع ٤ (تابستان ١٣٧٢ ش)
ص ٨٥-٩٣؛

س ٢، ع ٥ (پايز ١٣٧٢ ش)
ص ٤٧-٥٥.

٢٢ - اتمام الحج في تفسير مدلول

«ولا جدال في الحج» يا پاسخی به
تفسير محرف مفهوم جدال در حج
(بالفارسية)

محمد باقر حجتى

مقيقات حج، س ١، ع ٢ (زمستان
١٣٧١ ش)، ص ٦٦-٨٩، ع ٢
(١٤١٥ هـ) ص ٣٩-٥٩.

٢٣ - اتمام الحجة على من اوجب

الزيارة كالحجة، ولقبها المذهب الماثور

في زيارة سيد القبور

بشير بن بدر الدين السهسواني
ظ:

الثقافة الإسلامية في الهند ٢٤٥.

- ٢٧ - **أحكام اختصاص مكة ومسجد الحرام** (بالفارسية)
يعقوب جعفرى
مِيقَاتُ حَجَّ، س ٢، ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش)، ص ٣٨-٦١.
- ٢٨ - **إحكام الأساس في قوله تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ**
مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي
(ت ١٠٣٣ هـ).
ظ:
- المنهل (جدة): س ٥٦، ع ٤٧٥ (٣-٤/١٠٤١٠ هـ = ١٠-١١/١٩٨٩ م)، ص ٢٠٢.
- ٢٩ - **أحكام الأضحية**
عبد اللطيف عمارة
المجاهد (القاهرة)، س ٩، ع ٩٢ (١٩٨٨/٨)، ص ٥٠-٥١.
- ٣٠ - **أحكام الحج**
محمد علي الصابوني
الوعلي (بيروت)، س ٣، ع ٢٧ (١٩٨٩/٧)، ص ٦-١١.
- ٣١ - **أحكام الحج والعمرة**
إبراهيم سغفان
المجاهد (القاهرة)، ع ١٢٧ (١٩٩١/٥)، ص ٣٤-٣٧.
- ٣٢ - **أحكام الحج والعمرة**
الشهيد الثاني زين الدين العاملي
- تحقيق: رضا مختاري
مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ٣ (١٤١٦ هـ)، ص ٧١-٨٣.
- ٣٣ - **أحكام الحج والعمرة**
عبد الله الموسوي الشيرازي
النجف: مط النعمان، ١٩٧٤ م، ص ٣٢.
- ٣٤ - **أحكام الحج والعمرة**
عبد اللطيف عمارة
المجاهد (القاهرة)، ع ٩١ (١٩٨٨/٧)، ص ٥٦-٨٥.
- ع ١٠٣ (١٩٨٩/٦) ص ٥٠-٥٢،
ع ١١٥ (١٩٩٠/٦) ص ٥٠-٥٢.
- ٣٥ - **أحكام الحج والعمرة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة على المذاهب الأربعة مع بيان الراجح منها**
أبو سريع محمد عبد الهادي
القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٤ م، ص ٢٢٩.
- ٣٦ - **أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمرة ﷺ**
أحمد عبد الغفور عطار (ت ١٤١١ هـ)
مكة: ١٩٧٧ م، ص ١٨٩.
- ٣٧ - **أحكام ويزة بانوان در حج** (بالفارسية)
مطابق لفتاوى آيات الله: الخوئي
والگلپایگانی، والأراكي، وفاضل



لنكراني.

ظ:

[د.م]: نشر مشعر، ١٤٤ ص.

٣٨ - احكام ويژه بانوان در حج

(بالفارسية)

محمد حسين فلاح زاده

طهران: حج وزيارت، ١٣٧١ ش،

٨٦ ص.

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠هـ)

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٢.

٤٣ - اخبار حسينية در اخبار مدينه

(ترجمة خلاصة الوفاء، بالفارسية)

ظ:

فهرست مشترك باكستان ١١/١٠.

٤٤ - اخبار الكرام بأخبار المسجد

الحرام

أحمد بن محمد الأسدي (ت ١٠٦٦هـ)

خ: الحرم المكي / ٢، تاريخ ١٨ دهلوي

ظ:

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، ١٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٦/١،

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥، مج ٥١ (٣-٤/١٠هـ) =

١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠١.

٤٥ - أخبار المدينة

الحسن بن خلف بن شاذان الواسطي

(ت ٢٤٦هـ)

ظ:

الإصابة ٧٥١/٢.

تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين، مج ١،

ج ٢/٢٠٤.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٦/١.

٤٦ - أخبار المدينة

الزبير بن بكار (١٧٢-٢٣٥هـ)

٣٩ - الأحوال السياسية والاقتصادية

لمكة في العصر المملوكي

المستشرق مرينارد مورتيل

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠هـ)

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٦.

٤٠ - أحوالات مكة

(بالفارسية)

خواجه محمد پارسا (ت ٨٢٢هـ)

ظ:

منزوي ٣٩٣.

٤١ - أخبار أمراء مكة

عمر بن شبة النخيري البصري

(١٧٣-٢٦٢هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠هـ)

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٢.

٤٢ - أخبار بناء الكعبة

علي بن محمد المدائني (١٣٥-٢٢٥هـ)

الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام
السجاد عليه السلام العبيدلي العقيقي النسابة
الشهير
(المتوفى بمكة سنة ٢٧٧ هـ)
ظ:

كشف الظنون ٢٩/١،

الغدير ٩٥/٥، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٤٨،

ريحانة الأدب ١٠٦/٤،

الذريعة ٣٤٩/١،

معجم ما أُلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٩٣،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٧/١.

٥٠ - أخبار المدينة المنورة

عمر بن شبة النميري البصري
(١٧٣-٢٦٢ هـ)

تحقيق: فهمي محمد شلتوت

جدة: دار الأصفهاني، ط ١، ١٩٨٢ م،
٤ ج، ١٣٩٦ ص، ٢٤ سم.

بيروت: دار التراث، الدار الإسلامية،
ط ١، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م، ٤ ج،
١٣٩٦ ص، ٢٤ سم.

قم: دار الفكر، ١٣٦٩ هـ. ش
= ١٩٩٠ م، ٣ ج، ١٣٩٦ ص، ٢٤ سم.

دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ج ١
(١٩٧٩ م) ص ٣-٨ (فهمي محمد
شلتوت).

العـرب، س ١٩، ج ٥، ٦

توجد مقتبسات منه في الإصابة لابن
حجر: ١٥٧/٢، ٩٢/٣، ٤٣٤، ٦٨٢،
٨٠١، ٩٥٠، ٦٣٣/٤، ٦٦٠، ٨١٩،
٨٣٩.
ظ:

تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين، مج ١، ج ١٤٩/٢
الرسالة المستطرفة ٦٠،

معجم ما أُلّف عن الرسول صلى الله عليه وآله ٩٣،

معجم ما كُتِب عن الرسول وأهل البيت
١٣٦/١-١٣٧.

٤٧ - أخبار المدينة

محمد بن الحسن بن زُبالة (من أصحاب
مالك)
أُلّف سنة ١٩٩ هـ.
ظ:

كشف الظنون ٢٩/١، ٣٠٢،

معجم ما أُلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ١٩٣،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٧/١.

٤٨ - أخبار المدينة

محمد بن يحيى العلوي
ظ:

الضوء اللامع ٦٤١،

معجم ما أُلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٩٣،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٧/١.

٤٩ - أخبار المدينة

يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله



بالرواية التالية: حدثني محمد بن يحيى
عن الواقدي
ظ:

فهرست ابن النديم ١١١،

تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، مج ١،

ج ١٠٥/٢،

الذريعة ٣٥١/١،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٨/١.

٥٥ - أخبار مكة

(نصوص عربية في أربعة مجلدات)

جمعها: المستشرق فستنفلد

(١٨٠٨-١٨٩٩م)

ليبتسك: ١٨٥٧-١٨٦١م.

جمع فستنفلد في هذا المجموع مؤلفات

خمسة مؤرخين:

فالمجلد الأول: يحتوي على أخبار مكة،

للأزرقي وابنه. وقد نشرها فستنفلد

عام ١٨٥٨م، ليبتسك، ٢٩+٥١٨ص.

والمجلد الثاني: يشتمل على نصوص

الفاكهة وابن ظهيرة، ليبتسك،

١٨٥٩م، ٢٣+٣٩١ص.

والمجلد الثالث: يحتوي على تاريخ مكة

والبيت الحرام، لقطب الدين (ق ١٠هـ)،

وقد ظهر أول المجلدات الأربع في:

ليبتسك، ١٨٥٧م، ١٦+٤٨٠ص.

والمجلد الرابع: يحتوي على ترجمة ألمانية

(١٠/٩-١٩٨٣م) ص ٩٨٩-٣٥٦.

س ١٨، ع ٩، ١٠ (١٩٨٥/١م)

ص ٥٨٩-٦٥٧ (حمد الجاسر).

٥١ - الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة

من آل قتادة

محمد بن أبي السعود بن ظهيرة

(ت ٩٤٠هـ)

ظ:

كشف الظنون ٣٠/١،

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ١٧،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٨/١.

٥٢ - أخبار مكة

علي بن محمد المدائني

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥؛ (٣-٤/١٠هـ=

١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

٥٣ - أخبار مكة

عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)

ظ:

تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، مج ١،

ج ٢٠٦/٢،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٨/١.

٥٤ - أخبار مكة

محمد بن عمر بن واقد الواقدي

(١٣٠-٢٠٧هـ)

(أفاد منه الأزرقي كثيراً، وأخذه عنه

للمجلدات الثلاثة الأولى، وظهر في
ليبتسك، ١٨٦١م.
ظ:

موسوعة المستشرقين ٢٧٩.

٥٦ - أخبار مكة

أبو عبد الله محمد بن إسحاق الكناني
الفاكهي (ت حوالي ٢٨٠هـ)
تحقيق: عبد الملك بن دهيش
مكة المكرمة: مكتبة النهضة، ١٤٠٧هـ،
٥ مج (تشكل هذه المجلدات النصف
الثاني من الكتاب مع حواشي المحقق،
لأن النصف الأول منه مفقود)
ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٣٧٥.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت
١٣٨/١-١٣٩.

٥٧ - أخبار مكة شرفها الله تعالى وما

جاء فيها من الآثار

محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق
(ت ٢٢٣هـ)

غوتنغن: ١٢٧٥هـ (بناية وستنفلد).

بيروت: ١٩٦٤م، (أوفسيت).

مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ط ٢،
١٩٦٥م.

بيروت: دار الأندلس، ط ٢، ١٤٠٣هـ

= ١٩٨٣م، ج ٢ (تحقيق: رشدي الصالح

ملحس).

بيروت: منشورات دار الثقافة،
١٩٨٨م، ٨٤٢ص.

قم: الشريف الرضي، ١٤١١هـ،

٨٢٩ص، ٢٤ سم، ج ٢، (تحقيق:

رشدي الصالح ملحس) (أوفسيت على
طبعة دار الأندلس).

طهران: چاپ ونشر بنياد، ١٣٦٨ش

= ١٩٨٩م، ج ٢، ٦٢٣ص، (تحقيق:

رشدي الصالح ملحس) [ترجمه الى

الفارسية: محمود مهدي دامغاني].

٥٨ - أخبار مكة والمدينة وفضلهما

رزين بن معاوية العبدي السرقسطي
(ت ٥٣٥هـ)

ظ:

بروكلمان، الذيل الأول ٦٣٠.

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٩٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٣٩/١.

٥٩ - إخبار الوري بأخبار أم القرى

محمد بن عمر (٨٠٩-٩١٧هـ)

في مجلدين، سجل فيه الحوادث

التاريخية لمكة منذ سنة ٨٧٢هـ الى سنة

وفاته (٩١٧هـ).

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥؛ (٣-٤/١٠٤١هـ

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠١.



القاهرة: مكتبة القرآن، ط ١، ١٩٨٤م،
٥٥ ص.

٦٦ - أدعية وآداب حرمين

(بالفارسية)

طهران: معاونت آموزشی بعثه،
١٣٧١ش، ٤٤٨ ص.

٦٧ - أدعية وآداب الحرمين

اعداد: معاونية بعثة قائد الثورة
الإسلامية لشؤون التعليم والبحوث
تعريب: محمد حسين تبرائيان
[د.م]: نشر مشعر، ط ١، ١٤١٣هـ،
٤٣٢ ص.

٦٨ - الأدلة الإسلامية في المدينة في عهد الرسول ... المسجد - المواخاة -

الدستور

حنفي عبد المتجلي
الدارة، س ١٦، ع ٤ (١٩٩١/١)،
٤٤-٨١ ص.

٦٩ - أدنى الحل «مواقيت العمرة

المفردة لمن كان بمكة»

حسن الجواهري
مِيقَاتُ الْحَجِّ، ع ٢، (١٤١٥هـ)،
٦٠-٧٩ ص.

٧٠ - الارتسامات اللطاف

(ثمرة رحلة شكيب أرسلان إلى الحجاز
سنة ١٣٤٨هـ)

٦٠ - كتاب اختلاف الحج

يونس بن عبد الرحمن
ظ:

رجال النجاشي ٤٤٧،

الذريعة ١٨/٥.

٦١ - الإخلاص في الحج

عادل العلوي

مِيقَاتُ الْحَجِّ، ع ٢ (١٤١٥هـ)
ص ٣١٨-٣٣٣.

٦٢ - أدعية زيارة المدينة المنورة

مكة المكرمة: ١٣١٦هـ، حجرية.
ظ:

معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس
١٩٩١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٤٦/١.

٦٣ - أدعية سعى

طهران: مشعر، ط ١، ١٣٧١ش، ٤٠ ص.

٦٤ - أدعية مناسك الحج والعمرة على

المذاهب الأربعة، ويليه زيارة المدينة

ودعاء ختم القرآن

أسعد محمد سعيد الحبال
[د.م]: شركة الشمري، ١٩٦٥م، ١١٦،
٣٦ ص، مصور.

٦٥ - أدعية مناسك الحج والعمرة

وزيارة قبر الرسول

محمد عثمان الغشت

٧٥ - إزاحة الوسوسة عن تقبيل

الاعتاب المقدسة

عبد الله بن محمد حسن المامقاني
(ت ١٣٥١هـ)

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية،
١٣٤٥هـ، ٢٧٧ ص، ٢٤ سم (مع مخزن
الآل)

ظ:

الذريعة ٥٢٨/١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٥٦/١.

٧٦ - الأزرقى المؤرخ من خلال رواياته

محمد علي مختار

في الندوة العالمية الأولى لدراسات
تاريخ الجزيرة العربية (الرياض:
١٣٩٧/٥ هـ = ١٩٧٧/٤ م).

٧٧ - از همان راه كه رسول خدا از

مدينه به تبوك رفت (بالفارسية)

محمد حسين مشايخ فريديني

مِيقَاتُ حَجَّ، س ١، ع ١ (پاييز
١٣٧١ ش) ص ١٧٧-١٨٤.

٧٨ - أساطين الشعائر الإسلامية

وفضائل السلاطين والمشاعر الحرمية

عبد القادر الطبري (٩٧٦-١٠٣٣هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٤٧٥، مج ٥١ (٣-٤/١٠٤١هـ
= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

شكيب أرسلان

القاهرة: دار الشعب، ٣٥٦ ص.

٧١ - الأبرج المسكي والتاريخ المكي

علي بن عبد القادر الطبري المكي
(ت ١٠٧٠هـ)

خ:

جامعة الملك عبد العزيز

مكتبة محمد نظيف في جدة،

مكتبة الحرم المكي، ٢ تاريخ دهلوي.

ظ:

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، ١٦.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٤٩/١.

٧٢ - أرجوزة في فقه الحج

حمود البغدادي

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ٢ (١٤١٥هـ)
ص ١٥-١٦.

٧٣ - إرشاد المؤمنين إلى تعاليم الحج

وزيارة المعصومين

جعفر شبر

النجف الأشرف: مط النعمان، ١١٦ ص.

٧٤ - ارمغان آوردهام بر خاک ره

مصطفى

(شعر بالفارسية)

شاعر من افغانستان

مِيقَاتُ حَجَّ، س ٢، ع ٤ (تابستان
١٣٧٢ ش) ص ١٩٧-١٩٨.



٧٩ - الأساطين في حج السلاطين

عبد القادر الطبري
(ألفه بمناسبة حج السلطان عثمان خان)
ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٤٧٥، مج ٥١ (٣-٤/١٠٤١٠هـ = ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

٨٠ - اسامى كعبه در قرآن

(بالفارسية)

محمد ابراهيم جناقي

مِيقَات حج، س ١، ع ١ (پاييز ١٣٧١ ش) ص ٣٧-٤٦.

٨١ - الأسباب الاقتصادية والاجتماعية

لمعارضة قريش الدعوة إلى الإسلام

نبيه عاقل

دراسات تاريخية (دمشق)، ع ٧ (ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ = يناير ١٩٨٢م) ص ٨٣-٩٧.

٨٢ - استطاعت چیست ومستطيع

کیست؟ (بالفارسية)

جعفر شهیدی

مِيقَات حج، س ١، ع ١ (پاييز ١٣٧١ ش) ص ٤٦-٥٥.

٨٣ - استعراض لتاريخ شبه الجزيرة

العربية من القرن الأول إلى ظهور

الإسلام

لولتير مولر

بحث مقدم في: الندوة العالمية الأولى
لدراسات تاريخ الجزيرة العربية
(الرياض: ١٣٩٧/٥ هـ = ١٩٧٧/٤م).

٨٤ - استفتات (بالفارسية)

باهتمام: محمد حسين فلاح زاده
مِيقَات حج، س ٢، ع ٧ (بهار ١٣٧٣ ش)، ص ٨١-٨٩،
س ٣، ع ٩ (پاييز ١٣٧٣ ش)،
ص ٣٨-٤٤.

٨٥ - أسرار الحج

ابن أبي جمهور الاحسائي
طهران: مطبعة أحمد الشيرازي، ١٣٢٩
هـ، ٥٨٥ ص، ٢٤ سم، حجرية.

٨٦ - اسرار حج در روايات (بالفارسية)

عبد الله جوادي آملی
مِيقَات حج، س ١، ع ٢ (زمستان ١٣٧١ ش)، ص ١٧-٣٠.

٨٧ - أسرار الحج ومقاصده

عبد الوهاب الساكت
منبر الاسلام (القاهرة)، س ٤٦، ع ١٢
(١٩٨٨/٧)، ص ٣٦-٣٩.

٨٨ - أسرار المدينة المنورة وخصائصها

لعل المؤلف هو أحمد بن محمد الدجاني
القشاشي المدني (ت ١٠٧١ هـ)
خ: الصبيحية بسلافن مجموعة برقم
٤٨٩ في ٥٥ ورقة.

ظ:

فهرسها ٤٣٢-٤٣٣.

٨٩ - أسس المجتمع الجديد في

المدينة المنورة

محمد أحمد علي سعلول

المجاهد (القاهرة)، س ١، ع ١١٧
(١٩٩٠/٨)، ص ٣٩-٤١.

٩٠ - إسعاف الحجاج بمناسك سيد

العباد ﷺ

صالح بن أحمد

القاهرة: مطبعة أمين عبد الرحمن،
١٩٥٦م، ١٥٩ ص، ٢٤ سم، (وبذيله
قصيدة ذكر الحج وبركاته للصنعاني).

٩١ - الإسلام في مكة ومقاومة

المشركين له

أحمد شلبي

مراجعة: محمد الطيب النجار

القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، مركز
السيرة والسنة، ١٩٨٩م، ١٢٦ ص،
٢١ سم، (أضواء على السيرة النبوية
الشريفة: ٢).

٩٢ - أسماء القبائل من قريش وأصولها،

وفروعها وخلفاؤها ومن كان معها من

العرب

محمد بن محمد بن علي الخزّاز النسابة

خ: التيمورية برقم ٩٣٠ تاريخ.

ظ:

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، ٤٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٨٣/١.

٩٣ - أسماء الكعبة المشرفة

محمد المكي بن الحسين بن علي بن عمر
(١٣٠١-١٣٨٢هـ)

تونس: مط التليلي، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م،
٢٢ ص.

٩٤ - أسماء المدينة المنورة ونعوتها

أحمد زماني

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ٣ (١٤١٦هـ)،
ص ٢٢٩-٢٥٦.

٩٥ - أسماء مكة

محمد مهدي فقيهي

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ١ (١٤١٥هـ)،
ص ١٨٧-٢١٢.

٩٦ - أسنى المواهب والفتوح لعمارة

المقام الإبراهيمي وباب الكعبة وسقفها

والسطوح

ابن علان المكي (ت ٩٩٦هـ/١٠٥٧م)
ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٤٧٥، مج ٥١ (٣-٤/١٠٤١٠هـ)

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

٩٧ - أسواق مكة والمدينة

عباس المهاجر



- مِيقَاتُ الْحَجِّ، ع ١ (١٤١٥هـ)، ص ٢٢٣-٢٤٣.
- ٩٨ - الإشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام
- علي بن أحمد المقرئ (ت ٨٤٥هـ)؛
ظ: كشف الظنون ٩٧/١،
معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ١٧،
معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١٨٧/١.
- ٩٩ - أشرف مكة وأمرؤها
- مجهول المؤلف؛
ظ: الأعلام ٢١٩/١.
- ١٠٠ - أشهر رحلات الحج لبيت الله الحرام
- حمد الجاسر؛
الحرس الوطني (الرياض)، س ١١، ع ٩٤ (١٩٩٠/٦)، ص ١٨-٢٥.
- ١٠١ - أشهر أودية الحجاز
- العرب، س ٧، ص ٨٣، ٢٤٧، ٣٥٨، ٥٧٨، ٦٤٧،
س ٨، ص ٩، ٩٠، ١٧١، ٢٥٥، ٣٧٢، ٤٩٥، ٦٤٥، ٨٥٤،
س ٩، ص ٥، ١٦٥، ٥٠٨.
- ١٠٢ - اصحاب صفه (بالفارسية)
- جواد محدثي؛
مِيقَاتُ حَجِّ، س ١، ع ١ (پاييز ١٣٧١ ش) ص ١٥٥-١٦٣.
- ١٠٣ - الأضحية: أحكامها وفلسفتها التربوية
- عبد المتعال الجبري؛
القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٥م، ٥٦ ص.
- ١٠٤ - الأضحية: حكمها وشروطها في مذاهب الفقهاء
- أحمد المحجي الكردي؛
نهج الإسلام (دمشق)، س ١١، ع ٤٠ (١٩٩٠/٧)، ص ٢٨-٣٤.
- ١٠٥ - الأضحية في الإسلام
- مجدي محمد عرابي؛
المنهل (جدة)، مج ٥٣، ع ٤٩٦ (١٤١٢/١٢هـ) ص ٨٣-٨٤.
- ١٠٦ - الأضحية في الإسلام والشرائع الأخرى
- علي عبد الواحد وافي؛
الدارة، س ٥، ع ١ (١٩٧٩م) ص ٢٠٧-٢١٩.
- ١٠٧ - أضواء من أسرار الحج
- جعفر السبحاني؛
مِيقَاتُ الْحَجِّ، ع ٣ (١٤١٦هـ) ص ٤٤-٥٠.

١٠٨ - **أطلس تاريخ الإسلام**

حسين مؤنس

القاهرة: دار الزهراء للاعلام العربي،
١٩٨٧م، ٥٢٧ ص.

١٠٩ - **أطلس المدينة المنورة**

محمد شوقي بن ابراهيم مكي

الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٥ هـ

١١٠ - **أطوار بناء المسجد النبوي**

الشريف

أحمد محمد صالح البرادعي

ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٧٤.

١١١ - **الاعتداء على حرمة البيت وأمنه**

محمد رضا باقر صادق

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ٣، (١٤١٦ هـ)
ص ١١٣-١٢٤.

١١٢ - **أعظم القربة في تعظيم الكعبة**

بدر الدين محمد سبط الشرينلالي

(ت ١١٨٢ هـ).

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١٠ هـ =
١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

١١٣ - **اعلام الأنام بتاريخ بيت الله**

الحرام

محمد صالح الشيببي (وهو من سدنة

بيت الله الحرام)

خ:

الدهلوي بالحرم المكي /٦.

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١٠ هـ
= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠١.

١١٤ - **الإعلام بأعلام بلد الله الحرام**

محمد بن أحمد القطب المكي النهروالي

(ت ٩٨٨ هـ)

طبع بعناية: وستنفلد في غوتنجن:

١٢٧٤ هـ.

مصر: ١٣٠٣ هـ.

القاهرة: المطبعة الخيرية الجمالية،

١٣٠٥ هـ.

(بهامش: خلاصة الكلام في بيان أمراء

البلد الحرام لأحمد زيني دحلان).

١١٥ - **إعلام العامة في صحة الحج مع**

العامة

عبد النبي محمد علي العراقي الاصفهاني

النجف: مط الغربي، ١٩٤٥م، ١٦٦ ص.

١١٦ - **إعلام العلماء، الأعلام ببنا،**

المسجد الحرام (مختصر كتاب: الاعلام

بأعلام بيت الله الحرام، لقطب الدين

النهروالي ٩١٧-٩٩٠ هـ)

عبد الكريم بن محبّ الدين القطبي

(ت ١٠١٤ هـ)

علّق عليه: أحمد جمال، وعبد العزيز



١٢٢ - افادة الأنام بذكر أخبار بلد الله

الحرام

الكرمي بن يوسف (الفلسطيني الأصل

ت ١٠٣٣هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

١٢٣ - افادة الأنام في أخبار البلد

الحرام (تاريخ مكة)

عبد الله بن غازي المكي (ت ١٣٥٧هـ)

مخطوط في مكتبة الحرم المكي

الشريف، ع ٤، مج.

ظ:

المنهل (جدة)، مج ٥١، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ١٩٩.

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٢٤٠.

١٢٤ - افتخار الحرمين المحروسين مكة

والمدينة

مجهول المؤلف

خ:

خزانة كمبردج / ٣.

ظ:

العرب (الرياض)، س ١١، ص ٤٢٤.

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠١.

الرفاعي، وعبد الله الجبوري.

الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣ هـ، ١٧٥

هـ، ٣٧ ص (دليل).

١١٧ - الاعلام لفنائل بيت الله الحرام

علي بن سلطان القاري الهروي

(ت ١٠٠٤هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٢.

١١٨ - أعمال الحج

محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

النجف الأشرف: مط الآداب، ١٣٨٤هـ

٢٩ ص.

١١٩ - أعمال الحرمين (الجزء الأول من

كتاب أرباح التجارات في الأدعية

والزيارات)

علي منصور المرهون

النجف: مط النجف، ط ٦١، ١٣٨١ هـ،

= ١٩٦١م، ١٢٩ ص.

النجف: مط النعمان، ١٩٦٩م، ٢٨٠ ص.

١٢٠ - أعمال مكة والمدينة

محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

طبع في كربلاء

١٢١ - أغلاط في كتاب «المغانم

المطابة في معالم طابة»

العرب (الرياض)، س ٥، ص ٤٩٣.

١٢٥ - الإفراء بالحج: مذهب الخليفة

الراشد عمر بن الخطاب

نور الدين عتر

الوعي الإسلامي (الكويت)، س٢٦،
ع ٣١١ (١١/١٤١٠ هـ = ١٩٩٠/٦)،
ص ٢٨-٣٢.

١٢٦ - أفضل القرى لقراء أم القرى

مجهول المؤلف

(لعله في تاريخ مكة)

خ: مكتبة كمبردج / ٣.

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ =
١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠١.

١٢٧ - الأقوال المعلمة في وقوع الكعبة

المعظمة

عبد القادر الطبري (٩٧٦-١٠٣٣ هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ =
١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٢.

١٢٨ - إلى بيت الله الحرام

محمود أحمد محجوب

الجيزة (مصر): جمعية المحافظة على
القرآن، ط ٢، ١٩٨٤ م، ١٢٨ ص.

١٢٩ - الإلحاد في المسجد الحرام كبيرة

من الكبائر

محمد سيد طنطاوي

منبر الإسلام (القاهرة)، س٤٦، ع ١٢
(١٩٨٨/٧) ص ٢٣-٢٧.

١٣٠ - الإمام في فضائل بيت الله

الحرام

زين الدين عبد الرحمن بن رجب
الحنبلي (٧٠٦-٧٩٥ هـ)
ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ
= ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٢.

١٣١ - أم القرى

عبد الرحمن الكواكبي

(تطرق فيه إلى مؤتمر عقد في مكة سنة
١٣١٦ هـ، تخيَّله هو ناقش فيه أحوال
المسلمين)

بيروت: دار الرائد العربي، ط ٢،
١٤٠٢ هـ، ٢٥٥ ص.

١٣٢ - أم القرى مكة المكرمة

فؤاد علي رضا

بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٨٧ م،
٢٧٨ ص.

١٣٣ - إمارة الحج وبيت الموسوي

فارس تبريزيان الحسون

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ٣ (١٤١٦ هـ) ص ٨٤-٩٦.

١٣٤ - إمارة مكة المكرمة

شكيب أرسلان

مجلة المقتبس (دمشق)، مج ٨ (١٩١٤ م)



- ص ٥٢٥. ١٤٠ - انتبه أيها الحاج إلى هذه النصائح
- حلمي عبد المنعم صابر
المجاهد (القاهرة)، ع ١٢٨ (١٩٩١/٦)،
ص ٣١-٣٨.
- ١٤١ - الانتقاء في أخبار المدينة
- أبو طاهر ابن المخلص
ظ:
كشف الظنون ١٧٥/١.
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٩٤.
- معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٣٨/١.
- ١٤٢ - أنساب قريش وأخبارها
- أحمد بن محمد بن أبي جهم الجهمي
(صاحب كتاب الانتصار في الرد على
الشعوبية)
ظ:
الفهرست ١٢٤.
- الذريعة ٣٨٢/٢.
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٤٧.
- معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٤١/١.
- ١٤٣ - أنعام الخالق بزيارة خير الخلائق
- أحمد بن محمد بن عبد السلام الشافعي
(المولود سنة ٨٤٧هـ)
(رسالة ذكر فيها أنه لخصها من شفاء
السقام للسبكي وزاد عليه)
ظ:
كشف الظنون ١٨٣/١.
- ١٣٥ - الأماكن الماثورة في مكة
المكرمة
- فيصل بن محمد عراقي
المنهل (جدة)، مج ٥١، ع ٤٧٥
(٣-٤/١٤١٠هـ) ص ٥٦-٥٨.
- ١٣٦ - الإمام الأكبر شيخ الأزهر في
حديث عن الحج
- محمد بكر
التصوّف الاسلامي (القاهرة)، س ١٠،
ع ٦ (١٩٨٨/٦) ص ١٨-٢١.
- ١٣٧ - أمثال أهل مكة المكرمة
- سنوك هر جونية
لاهاي: ١٨٨٦م.
- ١٣٨ - الإنارة في الزيارة
- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
ظ:
كشف الظنون ١٧٠/١.
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٣٥٤.
- معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٣٢/١.
- ١٣٩ - الأنباء المبيّنة عن فضل المدينة
- القاسم بن علي بن عساكر (ت ٦٠٠هـ)
ظ:
الضوء اللامع ٦٤٢.
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٩٤.
- معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٣٥/١.

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ١ (١٤١٥هـ)
ص ٢٧٩-٢٨٨.

١٤٩ - أمكذا التحقيق أيتها الدكتورة؟

حول كتاب «حسن الصفا والابتهاج
بذكر مَنْ ولي إمارة الحج»
حمد الجاسر
العرب، س ١٧، ص ٩٢٨.

١٥٠ - أهمية احكام حج

(بالفارسية)
عبد الله جواد آمل
مِيقَاتُ حَجَّ، س ٢، ع ٨ (تابستان
١٣٧٣ش)، ١٤-٣١.

١٥١ - أهمية شواهد القبور كمصدر
لتاريخ الجزيرة العربية في العصر
الإسلامي

(مع نشر مجموعة الشواهد بالمتحف
الآثاري بكلية الآداب، جامعة
الرياض)
حسن باشا

دراسات تاريخ الجزيرة العربية (ابريل
١٩٨٢م) ص ٥٨-٥٩.

١٥٢ - أهمية الوثائق العثمانية في

دراسة تاريخ الخليج وشبه جزيرة العرب
نجاة عبد القادر القناعي
دراسات الخليج والجزيرة العربية
(ابريل ١٩٨٢م) ص ١٤٣-١٩٢.

معجم ما أَلَفَ عن رسول الله ﷺ ٣٥٤.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٤٥/١.

١٤٤ - أنغام الرحيل

(شعر في الحج إلى البيت الحرام)
بنت الهدى (آمنة حيدر الصدر)
(ت ١٤٠٠هـ)

مِيقَاتُ الْحَجَّ، ع ١ (١٤١٥هـ)
ص ٣١٩-٣٢٢.

١٤٥ - انقلاب اسلامي ايران و مسئله

حج

(بالفارسية)

بهمن مهربان يهمدان
طهران: كلية العلوم السياسية والمعارف
الإسلامية، جامعة الإمام الصادق
(رسالة ماجستير).

١٤٦ - إن للبيت رباً يحميه

خاطر العابدي
القاهرة: ١٩٦٦م.

١٤٧ - أنيس الحاج

(بالفارسية)

صفي بن ولي
ظ:

منزوي ٣٩٩٢.

١٤٨ - الأهداف الاجتماعية للحج

الإبراهيمي

عبد الجبار شرارة



١٥٣ - الأوائل في تاريخ المدينة المنورة

أحمد ياسين الخياري (ت ١٣٨٠هـ)
ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٣٣٢.

١٥٤ - أودية مكة

عاتق بن غيث البلادي

مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع،
١٤٠٥هـ، ٢٢٢ ص، ٢١ سم.

١٥٥ - أودية مكة المكرمة

العرب، س ٩، ص ٦٤١، ٨٠٧.

١٥٦ - أوضح منهج إلى معرفة مناسك

الحج

عبد الباقي سعد الدين بن محمود الآلوسي
القاهرة: ١٨٦٠م، حجرية.

١٥٧ - أول من بنى البيت

أحمد عمر هاشم

المجاهد (القاهرة)، ع ١١٥ (٦/١٩٩٠)
ص ٤٤-٤٥.

١٥٨ - الايلاف القرشي

(بحث في التكوين الاقتصادي المكي
قبل الإسلام)

إبراهيم بيضون

تاريخ العرب والعالم (بيروت)، س ٤،
ع ٤٢ (نيسان ١٩٨٢م) ص ٢٢-٣٥.

١٥٩ - أين الحجون وأين كذا؟

العرب، س ٢، ص ٨٦٥.

س ٢٢، ص ٢٥٠.

١٦٠ - أين نزل رسول الله ﷺ بعد فتح
مكة؟

عبد المعطي قلعجي

المجلة العربية (الرياض)، س ٥، ع ٧
(١٠/١٩٨١م) ص ١٦-١٧.

١٦١ - بئر زمزم تاريخاً وعطاءً

محمد عيسى رضوان

المجاهد (القاهرة)، س ٩، ع ٩٢ (٨/
١٩٨٨) س ٣٩.

١٦٢ - بئر عسفان وبئر الحديبية

حمد الجاسر

العرب (الرياض)، س ١٩، ج ٣-٤
(٦-٧/١٩٨٤م) ص ١٦٨-١٨٧.

١٦٣ - باب السنة: الحج والعمرة

محمد علي عبد الرحيم

مجلة التوحيد (القاهرة)، س ١٩، ع ١١
(٦/١٩٩١م) ص ٦-٣٥.

١٦٤ - باب الكعبة

إسماعيل أحمد حافظ

الدارة (الرياض)، س ٧، ع ٣ (ربيع
الثاني ١٤٠٢هـ = شباط ١٩٨٢م).

١٦٥ - با كاروان ابراهيم

(بالفارسية)

رسول جعفریان، ومحمد علي خسروي
مراجعة: علي موسوي گرمارودي

- [د.م]: نشر مشعر، ط ١، ١٣٧١ ش، ص ٣٥٧، ٢٤ سم.
- ١٦٦ - با کاروان عشق
- (تقرير بعثة الولي الفقيه في الحج عن موسم حج عام ١٣٧٢ ش، بالفارسية) محمد علي مهدوي راد، ورسول جعفریان
- [د.م]: نشر مشعر، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٤٣٤ ص، تصاویر.
- ١٦٧ - البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق
- ابن ضياء المكي (ت ٨٥٤ هـ) (في مجلدين كبيرين وهو يتعلّق بمناسك الحج إلا أنّ صاحب الاعلام خلال حديثه عنه ذكر أنّ الربع الأخير منه يُسجل حوادث مكة والكعبة والمسجد الحرام).
- ظ: المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٤٧٥ (٣-٤/١٠٤١ هـ = ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٢.
- ١٦٨ - بحضور جمع من العلماء والكتاب والمفكرين: ندوة حول الحج تتعقد في الخرطوم
- الطاهرة (طهران)، ع ٢ (٨/١٩٨٨) ص ١٣.
- ١٦٩ - برّ الحج
- أحمد ناجي إبراهيم
- المجاهد (القاهرة)، ع ١٢٨ (٦/١٩٩١)، ص ٢٤-٢٦.
- ١٧٠ - برای نخستین بار در تاریخ حج: سخن ماه (بالفارسية)
- ن - م
- درسهایی از مکتب اسلام، س ٣٢، ع ٤ (مرداد ١٣٧١ ش) ص ٣٥.
- ١٧١ - برخی از سفرنامه‌های حج (بالفارسية)
- حمد الجاسر
- ترجمة: حسن اسلامي
- مِيقَاتُ حَجَّ، س ٢، ع ٤ (تابستان ١٣٧٢ ش) ص ٢١١-٢٢٨.
- ١٧٢ - بررسی حقیقت احرام (بالفارسية)
- محمد فاضل لنکرانی
- مِيقَاتُ حَجَّ، س ٢، ع ٦ (زمستان ١٣٧٢ ش) ص ٤٧-٥٧.
- ١٧٣ - البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي
- محمد بن طولون الحنفي
- العرب، س ١٠، ج ١١-١٢ (٥-٦/١٩٧٦ م) ص ٨٦٩-٩٠٥.
- ١٧٤ - بركات خاتمة خدا (بالفارسية)
- عبد الله جوادي آملي



- مِيقَاتُ حَجِّ، س ٢، ع ٤ (زمستان
١٣٧٢ ش) ص ١٧-٢٨.
 ١٧٥ - **برگی از حج ابراهیمی** ع
 (بالفارسية)
 علي سكندري
 فصلنامه فرهنگي، پيش شماره ٣،
 ص ١.
 ١٧٦ - **بزم غريب** ع
 (رحلة للحج، بالفارسية)
 محمد علي بن محمد رضي البروجردي
 ظ:
 به سوى ام القرى ١٦.
 ١٧٧ - **يه سوى ام القرى** ع
 سفرنامه حج سال ١٣٧٣
 (بالفارسية)
 رسول جعفريان
 [د.م]: نشر مشعر، ط ١، ١٣٧٣ ش،
 ١٤٩ ص، ٢٤ سم (معه ثلاث رسائل في
 رحلات الحج).
 ١٧٨ - **بسوى ضيافت خدا** (بالفارسية)
 علي كوراني
 طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي،
 ط ٢، ١٣٧٢ ش، ١٦٠ ص.
 ١٧٩ - **البشارة الهنية بأن الطاعون لا
 يدخل مكة والمدينة**
 خطاب الرعيني (٩٠٢-٩٥٤ هـ)
 ١٨٠ - **بشرى الأخبار في زيارات النبي
 والأئمة الأطهار**
 محمد رضا بن القاسم بن محمد الغراوي
 (١٣٠٣ هـ)
 ظ:
 شعراء الغري ٤٠٣/٨،
 ماضي النجف وحاضرها ٤٠/٣،
 معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٢٩١/١.
 ١٨١ - **بعث النبي أبا بكر ليحج
 بالمسلمين**
 رسالة المسجد (مسقط)، س ٨، ع ٣٨
 (١٩٨٨/٧) ص ٢٨-٣٠.
 ١٨٢ - **البعد العرفاني والتربوي
 والعبادي للحج**
 محمد حسين فضل الله
 مِيقَاتُ الْحَجِّ، ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ١١-٢٧.
 ١٨٣ - **بعضی از آداب حج** (بالفارسية)
 أحمد نراقي
 مِيقَاتُ حَجِّ، س ٢، ع ٧ (بهار
 ١٣٧٣ ش) ص ٤١-٤٩.
 ١٨٤ - **بغية الراغبين وقوة عين أهل
 البلد الأمين**
 عبد الله الزواوي (١٢٦٦-١٣٤٣ هـ)

(رسالة في أحوال عين زبيدة)

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ = ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٣.

١٨٥ - بلاد الحجاز في العصر الأيوبي

عائشة بنت عبد الله باقاسي
مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي،
١٤٠٠هـ، ١٣٨ص، ٢١سم (رسالة
ماجستير).

١٨٦ - بلاد الحجاز في المخطوطات

المغربية المدونة خلال القرنين الحادي

عشر والثاني عشر للهجرة

عبد الكريم كريم
في الندوة العالمية الأولى لدراسات
تاريخ الجزيرة العربية (الرياض:
١٣٩٧/٥هـ = ١٩٧٧/٤م).

العرب، س١٢، ج٤٥٣
(٩-١٠/١٩٧٧م)، ص١٨٦-٢٠٩.
دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ج١
(١٩٧٨م) ص٤٠٣-٤١٧.

١٨٧ - بلوغ القرى في ذيل إتحاف

الورى بأخبار أم القرى

عبد العزيز عمر بن فهد المكي (ت ٩٢٢هـ)

خ:

الحرم المكي، تاريخ، عبد الوهاب.

الدهلوي بالحرم المكي /٢.

ظ:

معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ١٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٣٠٢/١.

١٨٨ - بل ولد في مكة عليه الصلاة

والسلام

العرب، س٢٠، ص٢٨، ٣٧.

١٨٩ - بناء الكعبة: ثلاثة تواريخ

ابن علان محمد بن علي
(٩٧٦-١٠٥٧هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ = ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٢.

١٩٠ - بناء الكعبة على قواعد إبراهيم

أحمد بن عبد الغفور عطار (ت ١٤١١هـ)
[د.م]: ١٣٩٨هـ، ١٢٧ص.

١٩١ - بناء الكعبة المشرفة

إحسان صدقي العمدة

الوعي الإسلامي، س٢٥، ع٣٠
(١٩٨٩/٧) ص٢٤-٢٨.

١٩٢ - بناء الكعبة المعظمة

العرب، س٢، ص٥١٢.

١٩٣ - بناء الكعبة وأخبارها

إبراهيم بن يحيى اليزيدي (ت ٢٢٥هـ)

ظ:

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٠٤١هـ = ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٣.



- ١٩٤ - بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة،
والتعريف بمخطوط النجم بن فهد
(اتحاف الوري في أخبار أم القرى)
ناصر بن سعد الرشيد
في:
الندوة العالمية الأولى لدراسات
الجزيرة العربية (الرياض: ١٣٩٧/٥ هـ
= ١٩٧٧/٤ م).
مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢
(١٩٧٩ م) ص ٩٠-٩٦.
- ١٩٥ - بهجة الدماتة فيما ورد في فضل
المساجد الثلاثة
ابن فهد المكي
ظ:
المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١ هـ
= ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٣.
- ١٩٦ - بهجة الزمان بعمارة الحرمين
بملوك آل عثمان
جار الله محب الدين القرشي الشافعي
(المعروف بابن فهد ت ٩٥٤ هـ)
ظ:
المنهل (جدة)، س ٥٦، ع ٧٥ (٣-٤/١٠٤١ هـ
= ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٣.
- ١٩٧ - بهجة النفوس والاسرار في تاريخ
هجرة المختار
عبد الله بن عبد الملك القرطبي المرجاني
- التونسي البكري
خ:
الحرم المكي برقم ١٣، تاريخ دهلوي،
عارف حكمت ٤٥، تاريخ.
ظ:
كشف الظنون ٢٥٩/١.
المورد مج ٢، ع ٤ (١٩٧٣ م) ص ٢٢٤.
معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ٩٤.
تراجم المؤلفين التونسيين ٣٠٠/٤.
معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٣٠٨/١.
- ١٩٨ - بهره كيري از ابعاد سياسى حج
(بالفارسية)
محمد محمدي اشتها ردي
مقيقات حج، س ٢، ع ٤ (تابستان
١٣٧٢ ش) ص ٤٥-٥٢.
- ١٩٩ - البيئة الطبيعية لمكة المكرمة:
دراسة في الجغرافية الطبيعية لمنطقة
الحرم الشريف
رقية حسين سعد نجيم
مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية
العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافية،
١٤١٢ هـ (ماجستير).
- ٢٠٠ - البيان والاعلام في توجيه فرضية
عمارة الساقط من البيت لسلطان
الإسلام
ابن علان المكي (٩٩٦-١٠٥٧ م)

ظ:

٢٠٦ - بين يدي مكة

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٤١٠هـ) ص٤-٥.

٢٠٧ - يا به پای امين جبل

سفرنامه حج علامه سيد محسن الأمين
(بالفارسية)

ترجمه: جواد محدثي

مِيقَاتُ حَجَّ، س٢، ع٧ (بهار
١٣٧٣ش) ص٢١٩-٢١٠.

س٢، ع٨ (تابستان ١٣٧٣ش)،
ص١٧٦-١٨١.

٢٠٨ - پنجاه و يك فضيلت مشترك مكة

و مدینه

(بالفارسية)

محمد جواد حجتی کرمانی

مِيقَاتُ حَجَّ، س٢، ع٧ (بهار
١٣٧٣ش)، ص١٦-١٩.

٢٠٩ - پيشينه تاريخی طواف

(بالفارسية)

علي قاضي عسكر

مِيقَاتُ حَجَّ، س٢، ع٦ (زمستان
١٣٧٢ش)، ص٧٣-٨٩.

المنهل (جدة)، س٥٦، ع٧٥ (٣-٤/١٤١٠هـ)

= ١٠-١١/١٩٨٩م) ص٢٠٢.

٢٠١ - بيت الاحزان يك حقيقت فراموش

ناشدنی (بالفارسية)

محمد صادق نجمی

مِيقَاتُ حَجَّ، س١، ع٢ (زمستان
١٣٧١ش) ص١١٩-١٣٠.

٢٠٢ - بيت الله الحرام

نور الإسلام (بيروت)، س١، ع٥

(١٩٨٨/٧م) ص١٤٠-١٤١.

٢٠٣ - بيت الله الحرام: حول تاريخ بنائه

ومكانته

خليل رزق

نور الإسلام، س٣، ع٢٧-٢٨
(١١-١٢/١٤١٢هـ = ٥-٦/١٩٩٢م)

ص٨-١٢.

٢٠٤ - البيت الحرام ومكة المكرمة

أحمد شلبي

القدس (القاهرة): س٣، ع١٢٨
(٩/١٩٩٠م) ص٥٤-٥٥.

٢٠٥ - بين حج الجاهلية والحج في

الإسلام

عبد الرحمن العدوي

منبر الاسلام (أبو ظبي) س٤٩، ع١٢
(٦/١٩٩١) ص١١-١٤.

... يتبع

الفهرس العام لمجلة الميقات ١-٢

□ فهرس المواضيع :

العدد	الصفحة	المؤلف / المحقق	اسم المقالة
١	١٢		١- الحج في أحاديث الامام الخميني <small>عليه السلام</small>
٢	٣٢٩		٢- الحج في أحاديث الامام الخميني <small>عليه السلام</small>
٣	٦٨٣		٣- الحج في أحاديث الامام الخميني <small>عليه السلام</small>
٤	٩٧٧		٤- الحج في أحاديث الامام الخميني <small>عليه السلام</small>
١	١٥		٥- الحج في أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالي -
٢	٣٣١		٦- الحج في أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالي -
٣	٦٨٥		٧- الحج في أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالي -
٤	٩٧٩		٨- الحج في أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالي -
٢	٦٥٦		٩- حوار مع ممثل الولي الفقيه لشؤون الحج والزيارة

١ - القرآن والمج

٣٦	١	عبد الله جواد آمل	١ - الحج في القرآن
٦٨٨	٣	عبد الله جواد آمل	٢ - شريعة إبراهيم في القرآن المجيد
٩٨٢	٤	عبد الله جواد آمل	٣ - إبراهيم الخليل مؤسس أم القرى
١٠٠	١	محمد هادي معرفة	٤ - وقفة فاحصة عند لفظة «فلا جناح عليه»
٢٤٤	١	سامي البدر	٥ - دعوة إبراهيم وإسماعيل عند رفع القواعد من البيت
٣٥٠	٢	وهبة الزحيلي	٦ - ليشهدوا منافع لهم
٣٦١	٢	محمد باقر حجتي	٧ - إتمام الحج في تفسير «ولا جدال في الحج»

٢ - المَجَّ في السنّة الشريفة

٦٤٠	٢	عادل العلوي	١ - الإخلاص في الحج
٧٠١	٣	واعظ زاده الخراساني	٢ - الحج في السنّة (١)
٩٨٩	٤	واعظ زاده الخراساني	٣ - الحج في السنّة (٢)
٧٢٥	٣	السيد ماجد الحسيني	٤ - شرح فقرة من دعاء عرفة
١٠٢٩	٤	فارس تبريزيان	٥ - الحج في نهج البلاغة
١٠٥١	٤	محمد علي مقدادي	٦ - أسرار الحج في حوار بين الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> والشبلي



٣ - فقه الحجّ

١٤٣	١	حسن الجواهري	١- حدود عرفات، مزدلفة، منى
٣٨٢	٢	حسن الجواهري	٢- أدنى الحل
٢١٣	١	يعقوب الجعفري	٣- هل يحقّ لغير المسلم أن يدخل جزيرة العرب
١٠٨	١	محسن الأراكي	٤- وجوب الحج وفوريّته
٥١٧	٢	محسن الأراكي	٥- حجّ الصبيان
٤٠٢	٢	الشهيد الثاني	٦- نيات الحج والعمرة
		فارس حسّون كريم	
٧٤٥	٣	الشهيد الثاني	٧- أحكام الحج والعمرة
		رضا المختاري	
٤٧٢	٢	محمود البغدادي	٨- أرجوزة في فقه الحج
١٠٦٠	٤	الشهيد الأول	٩- المنسك الكبير
		محمد الإسلامي اليزدي	

٤ - مفاهيم الحجّ

١٨	١	محمد حسين فضل الله	١- الحج عبادة وحركة وسياسة
٣٣٣	٢	محمد حسين فضل الله	٢- البعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج
٢٧٩	١	عبد الجبار شرارة	٣- الأهداف الاجتماعية للحجّ الإبراهيمي

اسم المقالة	المؤلف / المحقق	العدد	الصفحة
٤- دور الحج في ترسيخ الإسلام...	محمد مهدي الآصفي	١	٢٨٩
٥- المنازل الثلاثة للرحمة في السعي	محمد مهدي الآصفي	٢	٤١٩
٦- القبلة والطواف	محمد مهدي الآصفي	٣	٧٩٩
٧- التلبية	محمد مهدي الآصفي	٤	١٠٨٧
٨- ما هي الإستطاعة ومن هو المستطيع؟	جعفر شهيدى	٢	٤٨٣
٩- الحج في مبناه ومعناه	لييب بيضون	٢	٦٠٨
١٠- رؤى الإمام الخميني (ره) في الحج	محمد محمدي ري شهري	٢	٦٧
الإبراهيمي			
١١- أضواء من أسرار الحج	جعفر السبحاني	٣	٧١٨
١٢- الحج والسلام العالمي	عبد الكريم آل نجف	٣	٧٧١
١٣- الحج والجهاد... المفاهيم المتكاملة	عبد الكريم آل نجف	٤	١١٨٠

٥- الحج والتأريخ

١- الحج الإبراهيمي والحج الجاهلي	صادق آئينهوند	١	٧٧
٢- يوم الحج الأكبر	علي قاضي عسكر	١	١٦٩
٣- تحقيق حول شعب أبي طالب	علي قاضي عسكر	٣	٨٤٢
٤- أسواق مكة والمدينة	عباس المهاجر	١	٢٢٣
٥- أسماء مكة	محمد مهدي الفقيهي	١	١٨٧
٦- نبذة تاريخية عن القبلة في المسجد النبوي الشريف	محمد هادي اليوسفي	١	٣٠٦
٧- دور علي (ره) في فتح مكة	عفيف النابلسي	٢	٤٩٢



اسم المقالة	المؤلف / المحقق	العدد	الصفحة
٨- اليهود في الجزيرة العربية	أحمد الواسطي	٢	٥٤٢
٩- أبعاد التأثيرات الفكرية على العقلية اليهودية	أحمد الواسطي	٣	٨٩١
١٠- الحج في موكب التاريخ	أحمد الواسطي	٤	١١١٠
١١- النواحي العمرانية لمكة المكرمة على مرّ العصور	عباس المهاجر	٢	٥٦١
١٢- غزوة بدر الكبرى	حسن أبو أمجد	٢	٥٨٤
١٣- أخبار مكة للفاكهي «تعريف»	محمد علي مهدوي راد	٢	٦١٥
١٤- إمارة الحج وبيت الموسوي	فارس تبريزيان الحسون	٣	٧٥٨
١٥- الاعتداء على حرمة البيت وأمنه	محمد رضا باقر صادق	٣	٧٨٧
١٦- أسماء المدينة المنورة	أحمد زمامي	٣	٩٠٣
١٧- الحرمان الشريفان وحجاجهما وتاريخ الإرهاب	علي خازم	٤	١١٨٨

٤ - رجال من المرمين الشريفين

١- عثمان بن مظعون	فارس تبريزيان الحسون	٢	٤٤١
٢- عبد الله بن مسعود	محمد سليمان	٣	٨٧٤
٣- المقداد بن الأسود الكندي	محمد سليمان	٤	١١٩٦

٧ - الحج في الأدب العربي

١- خواطر من الحج «عند بيت المولى»	علي الكوراني	١	٣١٠
-----------------------------------	--------------	---	-----

اسم المقالة	المؤلف / المحقق	العدد	الصفحة
٢- أنغام الرحيل	الشهيدة بنت الهدى	١	٣١٩
٣- لبيك قد لبّيت لك	أبو نواس	٢	٦٧٢
٤- مفتاح القلوب	رياض عبيد	٢	٦٧٣
٥- زمزم		٣	٨٣٥
٦- الحجازيات	الشريف الرضي <small>رحمه الله</small>	٤	١١٧٥

٨ - من مقدّسات المرمين

١- الروضة المقدّسة	محمد جواد الطبسي	٣	٩٣١
٢- الحجر الأسود	محسن الأسدي	٤	١١٢١
٣- جنة المعلّاة	علي قاضي عسكر	٤	١١٥٠
٤- المساجد والأماكن الأثرية	عبد الرحمن خويلد	٣	٩٤٥
المجهولة لزائر المدينة المنورة (١)			
٥- المساجد والأماكن الأثرية	عبد الرحمن خويلد	٤	١٢٢٣
المجهولة لزائر المدينة المنورة (٢)			

٩ - إرشادات صميّة

١- ضربة الشمس	مصطفى شاهر ضايي	٤	١٢٠٨
	نويد علياري		

١٠ - المعاجم

١- مختصر معجم معالم مكة التاريخية (١)	عاتق بن غيث البلادي	٣	٨١٥
---------------------------------------	---------------------	---	-----



اسم المقالة	المؤلف / المحقق	العدد الصفحة
٢ - مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٢)	عاتق بن غيث البلادي	٤ ١١٦٣
٣ - معجم ما كتب في الحجّ و... (١)	عبد الجبار الرفاعي	٤ ١٢٣٥

□ فهرس الكتاب والمحققين :

المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد الصفحة
١ - الامام الخميني	الحج في أحاديث الإمام الخميني	١ ١٢
٢ - الامام الخميني	الحج في أحاديث الإمام الخميني	٢ ٣٢٩
٣ - الامام الخميني	الحج في أحاديث الإمام الخميني	٣ ٦٨٣
٤ - الامام الخميني	الحج في أحاديث الإمام الخميني	٤ ٩٧٧
٥ - الإمام الخامنئي	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي	١ ١٥
- مد ظله العالي -	- مد ظله العالي -	
٦ - الإمام الخامنئي	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي	٢ ٣٣١
- مد ظله العالي -	- مد ظله العالي -	
٧ - الإمام الخامنئي	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي	٣ ٦٨٥
- مد ظله العالي -	- مد ظله العالي -	

المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد	الصفحة
٨- الإمام الخامنئي	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي	٤	٩٧٩
- مد ظله العالي -	- مد ظله العالي -		
٩- آئينهوند - صادق	الحج الابراهيمي والحج الجاهلي	١	٧٧
١٠- الآصفي - محمد مهدي	دور الحج في ترسيخ السلام في العلاقات الاجتماعية	١	٢٨٩
١١- الآصفي - محمد مهدي	المنازل الثلاثة للرحمة في السعي	٢	٤١٩
١٢- الآصفي - محمد مهدي	القبلة والطواف	٣	٧٩٩
١٣- الآصفي - محمد مهدي	التلبية	٤	١٠٨٧
١٤- آل نجف - عبد الكريم	الحج والسلام العالمي	٣	٧٧١
١٥- آل نجف - عبد الكريم	الحج والجهاد .. المفاهيم المتكاملة	٤	١١٨٠
١٦- أبو أجد - حسن	غزوة بدر الكبرى	٢	٥٨٤
١٧- أبو نواس	لبّيك قد لبّيت لك	٢	٦٧٢
١٨- الأراكي - محسن	وجوب الحج وفوريته	١	١٠٨
١٩- الأراكي - محسن	حج الصبيان	٢	٥١٧
٢٠- الأسدي - محسن	الحجر الأسود	٤	١١٢١
٢١- باقر صادق - محمد رضا	الاعتداء على حرمة البيت وأمنه	٣	٧٨٧
٢٢- البدري - سامي	دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع القواعد من البيت	١	٢٤٤
٢٣- البغدادي - محمود	أرجوزة في فقه الحج	٢	٤٧٢
٢٤- البلادي - عاتق بن غيث	مختصر معجم معالم مكة التاريخية (١)	٣	٨١٥
٢٥- البلادي - عاتق بن غيث	مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٢)	٤	١١٦٣



المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد	الصفحة
٢٦- بنت الهدى - الشهيدة	أنغام الرحيل	١	٣١٩
٢٧- بيضون - لبيب	الحج في معناه ومبناه	٢	٦٠٨
٢٨- تبريزيان الحسون - فارس عثمان بن مظعون		٢	٤٤١
٢٩- تبريزيان الحسون - فارس إمارة الحج وبيت الموسوي		٣	٧٥٨
٣٠- تبريزيان الحسون - فارس الحج في نهج البلاغة		٤	١٠٢٩
٣١- الجعفري - يعقوب	هل يحق لغير المسلم أن يسكن جزيرة العرب؟	١	٢١٣
٣٢- جوادى آمل - عبد الله	الحج في القرآن	١	٣٦
٣٣- جوادى آمل - عبد الله	شريعة إبراهيم في القرآن المجيد	٣	٦٨٨
٣٤- جوادى آمل - عبد الله	إبراهيم الخليل مؤسس أم القرى	٤	٩٨٩
٣٥- الجواهري - حسن	حدود عرفات ومزدلفة ومنى	١	١٤٣
٣٦- الجواهري - حسن	أدنى الحل	٢	٣٨٢
٣٧- حجتى - محمد باقر	اتمام الحجج في تفسير «ولا جدال في الحج»	٢	٣٦١
٣٨- الحسيني - ماجد	شرح فقرة من دعاء عرفة	٣	٧٢٥
٣٩- خازم - علي	الحرمان الشريفان وحجاجهما وتاريخ الإرهاب!	٤	١١٨٨
٤٠- خويلد - عبد الرحمن	المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة (١)	٣	٩٤٥
٤١- خويلد - عبد الرحمن	المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة (٢)	٤	١٢٢٣

المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد الصفحة
٤٢- الرفاعي - عبد الجبار	معجم ما كتب في الحجّ و... (١)	٤ ١٢٣٥
٤٣- الزحيلي - وهبة	ليشهدوا منافع لهم	٢ ٣٥٠
٤٤- زماني - أحمد	أسماء المدينة المنورة ونعوتها	٣ ٩٠٣
٤٥- السبحاني - جعفر	أضواء من أسرار الحج	٣ ٧١٨
٤٦- سليمان - محمد	عبد الله بن مسعود	٣ ٨٧٤
٤٧- سليمان - محمد	مقداد بن الأسود الكندي	٤ ١١٩٦
٤٨- شاهر ضايي / علياري	ضربة الشمس	٤ ١٢٠٨
٤٩- شرارة - عبد الجبار	الأهداف الاجتماعية للحجّ الابراهيمي	١ ٢٧٩
٥٠- الشهيد الأوّل ﷺ	المنسك الكبير	٤ ١٠٦٠
محمد الإسلامي اليزدي		
٥١- الشهيد الثاني ﷺ	نبات الحجّ والعمرة	٢ ٤٠٢
فارس حسّون كريم		
٥٢- الشهيد الثاني ﷺ	أحكام الحجّ والعمرة	٣ ٧٤٥
رضا المختاري		
٥٣- شهيدى - جعفر	الحجاز والحرمان الشريفان في القرن ١ الثالث عشر	١ ١٣٥
٥٤- شهيدى - جعفر	ما هي الإستطاعة ومن هو المستطيع؟	٢ ٤٨٣
٥٥- الطبسي - محمد جواد	الروضة المقدّسة	٣ ٩٣١
٥٦- عبيد - رياض	مفتاح القلوب (شعر)	٢ ٦٧٣
٥٧- العلوي - عادل	الإخلاص في الحجّ	٢ ٦٤٠
٥٨- فضل الله - محمد حسين	الحجّ عبادة وحركة وسياسة	١ ١٨



المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد	الصفحة
٥٩ - فضل الله - محمد حسين	البُعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج	٢	٣٣٣
٦٠ - الفقيهي - محمد مهدي	أسماء مكة	١	١٨٧
٦١ - قاضي عسكر - علي	يوم الحج الأكبر	١	١٦٩
٦٢ - قاضي عسكر - علي	تحقيق حول شعب أبي طالب	٣	٨٤٣
٦٣ - قاضي عسكر - علي	جَنَّةُ المعلّاة	٤	١١٥٠
٦٤ - الكوراني - علي	خواطر من الحج «عند بيت المولى»	١	٣١٠
٦٥ - محمدي ري شهري	رؤى الإمام الخميني (ع) في الحج الإبراهيمي	١	٦٧
٦٧ - محمدي ري شهري	حوار	٢	٦٥٦
٦٨ - معرفة - محمد هادي	وقفة فاحصة عند لفظة «فلا جناح عليه»	١	١٠٠
٦٩ - مقدادي - محمد علي	أسرار الحج في حوار بين الإمام زين العابدين (ع) والشبلي	٤	١٠٥١
٧٠ - المهاجر - عباس	أسواق مكة والمدينة	١	٢٢٣
٧١ - المهاجر - عباس	النواحي العمرانية لمكة المكرمة على مرّ العصور	٢	٥٦١
٧٢ - مهدوي راد - محمد علي	تعريف بكتاب «أخبار مكة» للفاكهي	٢	٦١٥
٧٣ - المؤمن - عبد الله	من رحلة ابن جبير عن الحج	٣	٩٥٥
٧٤ - النابلسي - عفيف	دور علي (ع) في فتح مكة	٢	٤٩٢
٧٥ - الواسطي - أحمد	اليهود في الجزيرة العربية	٢	٥٤٢

المؤلف / المحقق	اسم المقالة	العدد	الصفحة
٧٦- الواسطي - أحمد	أبعاد التأثيرات الفكرية والأدبية على العقلية اليهودية	٣	٨٩١
٧٧- الواسطي - أحمد	الحج في موكب التاريخ	٤	١١١٠
٧٨- واعظ زاده الخراساني	الحج في السنة (١)	٣	٧٠١
٧٩- واعظ زاده الخراساني	الحج في السنة (٢)	٤	٩٨٩

قسمة الاشتراك

الاسم :
مدة الاشتراك : ابتداءً من العدد :
العنوان :



الاشتراك لمدة سنة : | الجمهورية الإسلامية في إيران : ٥٠٠٠ ريال
| دول العالم الأخرى : ٢٠ دولاراً

تسدد قيمة الاشتراك على حسابنا الجاري المرقم ١٢٢٢ في بنك ملي
إيران - طهران - شعبه سازمان حج و زیارت - مجلة ميقات الحج.
وتراجع جميع فروع هذا البنك في البلدان الأخرى لدفع قيمة
الاشتراك على حسابنا أعلاه. وترسل الحوالة المصرفية مع قسمة
الاشتراك على العنوان البريدي التالي :

تهران : ص.ب ٥٨٥٦/١٢١٥٥

ملاحظات :

- ١ - يكتب الاسم والعنوان بخط واضح.
- ٢ - عدم إرسال المبالغ نقداً.
- ٣ - عند تغيير عنوانكم، يخبر مكتب المجلة فوراً.